
بين يوم وليلة
Bibliotheca Alexandrina
0098023
مكتبة مصر
توفيق الحكيم



مسرح المجتمع

(١)

بين يوم وليلة

توفيق الحكيم

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة



كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

١ ــ محمد ﷺ (سيرة حوارية)	١٩٣٦
٢ ــ عودة الروح (رواية)	١٩٣٣
٣ ــ أهل الكهف (مسرحية)	١٩٣٣
٤ ــ شهرزاد (مسرحية)	١٩٣٤
٥ ــ يوميات نائب فى الأرياف (رواية)	١٩٣٧
٦ ــ عصفور من الشرق (رواية)	١٩٣٨
٧ ــ تحت شمس الفكر (مقالات)	١٩٣٨
٨ ــ أشعب (رواية)	١٩٣٨
٩ ــ عهد الشيطان (قصص فلسفية)	١٩٣٨
١٠ ــ حمارى قال لى (مقالات)	١٩٣٨
١١ ــ براكسا أو مشكلة الحكم (مسرحية)	١٩٣٩
١٢ ــ راقصة المعبد (روايات قصيرة)	١٩٣٩
١٣ ــ نشيد الأنشاد (كما فى التوراة)	١٩٤٠
١٤ ــ حمار الحكيم (رواية)	١٩٤٠
١٥ ــ سلطان الظلام (قصص سياسية)	١٩٤١
١٦ ــ من البرج العاجى (مقالات قصيرة)	١٩٤١
١٧ ــ تحت المصباح الأخضر (مقالات)	١٩٤٢
١٨ ــ بجماليون (مسرحية)	١٩٤٢
١٩ ــ سليمان الحكيم (مسرحية)	١٩٤٣
٢٠ ــ زهرة العمر (سيرة ذاتية ــ رسائل)	١٩٤٣
٢١ ــ الرباط المقدس (رواية)	١٩٤٤

كتب للمؤلف نشرت فى لغة أجنبية

شهر زاد : ترجم ونشر فى باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت عضو الأكاديمية الفرنسية فى دار نشر (نوفيل أديسيون لاتين) وترجم إلى الإنجليزية فى دار النشر (بيلوت) بلندن ثم فى دار النشر (كروان) بنيويورك فى عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر (ثرى كنتننتزا بريس) واشنطن ١٩٨١ .

عودة الروح : ترجم ونشر بالروسية فى لينتجراد عام ١٩٢٥ وبالفرنسية فى باريس عام ١٩٣٧ فى دار (فاسكيل) للنشر وبالإنجليزية فى واشنطن ١٩٨٤ .

يوميات نائب فى الأرياف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩ (طبعة أولى) وفى عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفى عام ١٩٧٤ و١٩٧٨ (طبعة ثالثة ورابعة وخامسة بدار بلون بباريس) وترجم ونشر بالعبرية عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الإنجليزية فى دار (هارفيل) للنشر بلندن عام ١٩٤٧ ــ ترجمة أبا إيبان ــ ترجم إلى الأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٨ وترجم ونشر فى السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١ وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١ .

أهل الكهف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخى لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دى فرانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٤٦ .

عصفور من الشرق : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ،

ونشر طبعة ثانية فى باريس عام ١٩٦٠ :

عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس بعنوان (مذكرات قضائى شاعر) عام ١٩٦١ .

بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ ، وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

سليمان الحكيم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (كنتننتزا بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

عرف كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

المخرج : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠

بيت النمل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٢ .

الزمار : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

براكسا أو مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

السياسة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ . وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .

شمس النهار : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

صلاة الملائكة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الطعام لكل فم : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الأيدى الناعمة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

شاعر على القمر : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن ١٩٨١ .

الورطة : ترجم ونشر بالإنجليزية فى أمريكا (ثرى كنتننتز) واشنطن عام ١٩٨١ .

الشيطان فى خطر : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .

بين يوم وليلة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣ .

العش الهادئ : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أريد أن أقتل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الساحرة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٣ .

دقت الساعة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

أنشودة الموت : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينمان عام ١٩٧٣ وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٥٣ .

لو عرف الشباب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

الكنز : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .

رحلة إلى الغد : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ . وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتننتز بريس) بواشنطن عام ١٩٨١ .

الموت والحب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .

السلطان الحائر : ترجم ونشر بالإنجليزية لندن هاينمان عام ١٩٧٣

وبالإيطالية فى روما عام ١٩٦٤ .

يا طالع الشجرة : ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية فى لندن عام ١٩٦٦ فى دار نشر أكسفورد يونيفرستى بريس (الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس) .

مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣ .

مع : كل شيء فى مكانه .

السلطان الحائر .

نشيد الموت .

لنفس المترجم عن دار نشر هاينمان ـــ لندن .

الشهيـــد : ترجمة داود بشاى (بالإنجليزيـــة) جمع محمـــــود المنزلاوى تحت عنوان « أدبنا اليوم » مطبوعـات الجامعـة الأمريكيـة بالقاهرة ـــ ١٩٦٨ .

محمد ﷺ ترجمة د . إبراهيم الموجى ١٩٦٤ (بالإنجليزية) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ .

المرأة التى غلبت الشيطان : ترجمة تويليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦ ونشر روتن ولوننج ببرلين .

عودة الوعى : ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٩ لبيلى ونـدر ونشر دار ماكملان ـــ لندن .

هذا الكتاب يعرض من صور الأشخاص والأوضاع والأخلاق ما صدر عن وحى المجتمع المصرى فى أعوامه التى تمخضت عنها الحرب العالمية الأخيرة .. ويظهر أن الحروب وما تثيره فى الأمة من هزات اجتماعية ترغم المشتغل بالفن على الاستقاء من هذا النبع ، وتدفعه إلى الاستيحاء مما يضطرب فيه هذا المجتمع .. هكذا كان الحال أيضاً بالنسبة إلى الحرب العالمية الأولى ... فقد كان المجتمع المصرى وقتئذ يهتز لأمرين : الخلاص من الاحتلال ، والتخلص من الحجاب .. فى ذلك العهد دفعتنى تلك الهزة حوالى ١٩١٨ — ١٩١٩ إلى كتابة قصة تمثيلية اسمها « الضيف الثقيل » ترمز إلى معنى الاحتلال فى صورة عصرية انتقادية ... فقد كانت تدور حول محام هبط عليه ذات يوم ضيف ، ليقيم عنده يوماً ، فمكث شهرا .. ومانفعت فى الخلاص منه حيلة ولا وسيلة ... وكان المحامى يتخذ من سكنه مكتبا لعمله ... فما إن يغفل لحظة أو يتغيب ساعة ، حتى يتلقف الضيف الوافدين من الموكلين الجدد فيوهمهم أنه صاحب الدار ، ويقبض منهم ما يتيسر له قبضه من مقدم الأتعاب ... فهو احتلال واستغلال ، وأحدهما يؤدى دائما إلى الآخر ... ثم كتبت عقب ذلك ببضعة أعوام أى حوالى ١٩٢٣ — ١٩٢٤ قصة تمثيلية أخرى هى « المرأة الجديدة » عن طرح المرأة للحجاب وما يمكن أن يترتب على السفور من آثار ... ولكن الحروب ، ما يكاد يختفى شبحها ويسكن ثائرها ، وتنقشع غيومها ، حتى يطيب أحيانا للفن أن ينطلق من جو المسائل القومية إلى جو المسائل الإنسانية .. لهذا ما كادت الحرب العالمية الأولى تبعد شقتها وتهدأ هزتها باتجاه المجتمع المصرى إلى التغير الهادئ والتطور الطبيعى ، حتى اتجهت إلى مصدر آخر هو الإنسان فى أفكاره الثابتة فى كل زمان .. كان ذلك منذ عام ١٩٢٨ حيث أخذت فى كتابة تمثيليات أهل الكهف وشهرزاد والخروج من الجنة ونهر الجنون إلخ ... واليوم عند خروجنا من الحرب العالمية الثانية أى منذ نحو

خمس سنوات أو أكثر قليلا مضى المجتمع المصرى يضطرب فى هزات اجتماعية جديدة ، لم تكن ملحوظة على هذا النحو فى عام ١٩١٨ أو عام ١٩١٩ ..

فقد اتجه أكثر الناس إلى نشاطهم الداخلى فى مضمار التقدم الشخصى أو المنافسة العامة ، فأصبح للمال وسلطانه والسعى إلى طرائق جمعه وتدعيمه الأهمية الكبرى ... فعرفت مصر طرازاً حديثا من الناس هم رجال الأعمال والشركات وأثرياء الحرب ، كما كان للنظم الحديثة وسرعة التقلبات السياسية ، ومقتضيات الحياة العصرية أثر فى تصرفات الناس ، فنجم عن ذلك كله أنماط من الأخلاق تساير رغبة الطموح وتتابع سرعة الوصول . كما أن المرأة لم تعد تقنع بالسفور بل سعت إلى أن يكون لها مكان بارز فى السياسة والحياة العامة وأن تكون لها حرية أوسع وإرادة أقوى . وغير ذلك كثير مما جد على المجتمع المصرى من اتجاهات وشخصيات كانت هى الوحى لما فى هذا الكتاب من صور وحوادث وأناس ... وإن الحقيقة لتقتضينى التصريح بأنه ما من قصة هنا خلا منها مشهد « على الأقل » انتزع بالفعل من واقع الحياة ... حتى ما قد يبدو أحيانا أنه عجيب ... إن الحياة أجرأ من الفنان ...

ويضم هذا الكتاب « عشرين قصة وقصة » تمثيلية عصرية . منها ما يقع فى فصل .. ومنها ما يقع فى منظرين ، ومنها ما يقع فى أربعة فصول .. ويبدو من تاريخ الآداب العالمية أن التمثيلية ذات الفصل كان لها فضل فى تصوير المجتمع فى أوضاعه العديدة المختلفة .. فقد استخدمها لهذه الغاية : موليير ، ودى موسيه ، وماريفو ، وتشيخوف ، وتورجنييف ، وجوته ، وشيلر ، وفرتر ، ودودلى ، ووايلد ، وشو إلخ ، فالعمل على إقرارها أيضا فى الأدب العربى لما يمكن لهذا الأدب العريق فى أساليب أدائه ، وينوع له فى وسائل تعبيره ..

أما بعد .. فإنا نملك الجهد ولا نملك الثمرة .. والجهد الذى نملكه قد أعطيناه ، والثمرة لا يمنحها غير الله ..

ت . ا

من وحى أخلاق المجتمع

بين يوم وليلة

قصة تمثيلية فى منظرين

المنظر الأول

(حجرة الوزير ... فى إحدى الوزارات ... مدير المكتب يدخل من أحد الأبواب وخلفه الساعى يحمل مظروفا به رزمة من الخطابات ...)

الساعى : بوستة معالى الوزير ...

مدير المكتب : الوزير السابق .

الساعى : نوصلها إلى منزله ؟

مدير المكتب : طبعا اذهب بها إلى منزله ... كما ذهبت أمس إليه بأوراقه الخصوصية ... ألم تسلم إليه أوراقه ؟ ..

الساعى : سلمتها إلى معاليه يدا بيد . وقد ظهر على وجهه التأثر الشديد ... وسأل عن سعادتك ..

مدير المكتب : سأل عن سعادتى ؟ ..

الساعى : قال « كنت أنتظر من مدير مكتبى أن يحضر على الأقل ليودعنى ... خصوصا وهو يعلم أنى كنت قد أعددت مذكرة بترقيته ترقية استثنائية ... لولا سقوط الوزارة المفاجئ ... » .

مدير المكتب : أكان يريد منى أن أودعه ؟! أغاب عن فطنة معاليه أننا كنا نترقب زوال عهده البغيض بفروغ صبر ! ..

الساعى : قلت لمعاليه إن سعادتك مشغول .

مدير المكتب : طبعا مشغول . هذه الحجرة تحتاج إلى تنظيف ، قبل تشريف الوزير الجديد .. اذهب وأرسل إلى كبير الفراشين .

(الساعى يخرج .. بينما يفتح مدير المكتب « أدراج » مكتب

الوزير ويخرج منها الأوراق القديمة وينظر فيها ويمزقها)

الساعي : (**يعود بعد لحظة**) نسيب معالى الوزير السابق ...

مدير المكتب : (**ببرود**) نسيبه ؟!

الساعي : خطيب كريمة معاليه .

مدير المكتب : وما شأنى به ؟

الساعي : يريد مقابلة سعادتك ..

مدير المكتب : (**صائحا**) ما شاء الله ! أيوجد فى رأسك ذرة من العقل ؟! أتظن أن وقتى نهب مباح لمن يريدون أن يصاهروا الوزير السابق ويناسبوه ويطلبوا يد ابنته ؟! ..

الساعي : أقول له إن سعادتك غير موجود ..

مدير المكتب : قل له ماشئت .

(الساعي يهم بالخروج ... وإذا الخطيب يدخل مندفعا قبل أن يستطيع منعه ..)

الخطيب : (**لمدير المكتب**) نهارك سعيد يا بك ! .

مدير المكتب : (**بجفاء**) نهارك سعيد ! ..

الخطيب : لا تؤاخذنى ... ليس من حقى الدخول عليك بهذه الصورة ... ولكن الموضوع فى غاية الأهمية . تسمح لى بكلمة على انفراد ...

مدير المكتب : كلمة واحدة فقط لأنى مشغول .

الخطيب : لن أستغرق من وقتك أكثر من دقيقة ..

مدير المكتب : تفضل ...

(يشير إلى الساعي فيخرج)

الخطيب : الموضوع دقيق .. وإنى أعلم أن أمامى رجلا من رجال الوزير السابق ، المعروف عنهم شدة الاتصال به والتشيع له ..

مدير المكتب : من هذا الرجل ؟!

الخطيب : سعادتك طبعا .

مدير المكتب : (**ينظر إلى الأبواب بقلق**) ادخل فى الموضوع ... ادخل فى الموضوع ! .

الخطيب : هل الخطابات المرسلة إلى الوزير تفتحها سعادتك ؟

مدير المكتب : أى خطابات ؟

الخطيب : الخطابات الخاصة .

مدير المكتب : وما دخلى أنا فى خطاباته الخاصة ؟!

الخطيب : لا تطلع عليها إذن ولا تعرف محتوياتها .

مدير المكتب : أنا ؟!

الخطيب : هذا معقول ... ولكن بقى شىء ... هو أنك تتسلم هذه الخطابات قبل أن تصل إلى يد الوزير ...

مدير المكتب : ماذا تريد حضرتك أن تقول بالضبط ؟

الخطيب : هل تسلمت الخطابات الواردة باسم الوزير هذا الصباح ؟!

مدير المكتب : تسلمتها .

الخطيب : (**فى أمل**) أهى موجودة عندك الآن ؟ ...

مدير المكتب : مع الأسف ... لقد أرسلناها إلى منزله مع أحد السعاة ..

الخطيب : (**فى يأس**) يا للمصيبة ! ...

مدير المكتب : مصيبة ؟!

الخطيب : مصيبتى أنا ... لقد جئت من عزبتى فى الصعيد بقطار الليل ... ولكن كل شىء ذهب سدى ... القسمة ! ... أشكرك على كل حال ... (**يتحرك للانصراف**) .

مدير المكتب : لم أفهم منك شيئا حتى الآن .

الخطيب : لا داعى .. ولا فائدة . إنه سوء حظ والسلام .

مدير المكتب : سوء حظك !

الخطيب : وسوء حظك أنت أيضا .

مدير المكتب : سوء حظى أنا ، لماذا ؟ ...

الخطيب : لسقوط الوزارة ... وذهاب هذا الوزير النافع ، المصلح ، النشيط ... الشهم ... ألست معى فى هذا الرأى ؟!

مدير المكتب : (**ناظرا بخوف إلى الأبواب**) طبعا ...

الخطيب : كان من خيرة الوزراء ... وكان محبوبا من الجميع ... أليس كذلك ؟

مدير المكتب : جدا ..

الخطيب : ولكنه ذهب ... ولن يعود ... وذهبت آمالنا معه إلى غير رجعة .. إنى كما تعلم رجل مزارع ... من الأعيان والملاك ... صاحب أطيان واسعة ... ومصالح كثيرة (**يهمس**) ألا ترى أن اتصالى به سيعرضنى لغضب الوزارة القادمة ؟ !..

مدير المكتب : هذا محتمل الحدوث .

الخطيب : وأنت أيضا ؟ ... ما موقفك ؟

مدير المكتب : كما ترى ..

الخطيب : أرى أنه موقف لاتحسد عليه ... ألم تتنسم أخبارا عن تشكيل الوزارة الجديدة ؟

مدير المكتب : ربما تم تأليفها اليوم .

الخطيب : لو لم تسارع إلى إرسال خطابات الوزير السابق إلى منزله هذا الصباح ، لكان لى شأن آخر ..

مدير المكتب : ما الذي يهمك من هذه الخطابات ؟

الخطيب : خطاب واحد ... لا غير .

مدير المكتب : أفيه شىء خطير ؟

الخطيب : فيه ارتباطى بتحديد يوم الخميس القادم لعقد قرانى بكريمة هذا الوزير الساقط .. أقصد السابق !

مدير المكتب : أنت الذى حررت هذا الخطاب ؟

الخطيب : نعم .. وبعد أن وضعته فى صندوق البريد .. جاءت الصحف .. وإذا فيها خبر سقوط الوزارة !

مدير المكتب : عندئذ قمت فى الحال إلى مصر ...

الخطيب : بقطار الليل ... وجئت كما ترى فى الصباح الباكر ... عسى أن ألحق الخطاب قبل وقوعه فى يد الوزير ...

مدير المكتب : وماذا كنت تنوى أن تفعل لو أن خطابك وصل إلى يدك قبل أن يصل إلى يد الوزير ؟

الخطيب : طبعا .. أنت سيد العارفين . ما دامت الفاس لم تقع فى الراس ... ما الذى يحملنى على أن ألقى بمصالحى فى يد شخص لم يعد فى العير ولا فى النفير ؟!

مدير المكتب : حقا ... رجل ما عاد ينفع ولا يضر .

الخطيب : بالعكس يا سيدى البك ... بل قد يضر ولا ينفع ... فإن مجرد الانتساب إليه الآن قد يلحق بنا أضرارا ليست فى الحسبان .

(**الساعى يظهر وتحت إبطه المظروف** ...)

الساعى : نبهت على كبير الفراشين بالحضور مع أعوانه لتنظيف الحجرة لمعالى الوزير الجديد ... والآن ... هل تأمر سعادتك بذهابى لتوصيل البوستة إلى منزل الوزير السابق ؟

الخطيب : (**صائحا**) بوستة الوزير السابق ؟!

مدير المكتب : (**للساعى**) هات المظروف ! ... وانتظر فى الخارج حتى أناديك ..

(**الساعى يسلم مظروف الخطابات إلى مدير المكتب**

ويخرج ...)

الخطيب : (**فى صيحة فرح**) لم يكن قد ذهب بها ... ياحسن الحظ !

مدير المكتب : (**يفرغ المظروف وينثر ما فيه من خطابات على المكتب**) أين خطابك من بين هذه الخطابات ؟!

الخطيب : (**يفرز خطابا من بين الخطابات**) ها هو ذا خطى .. ها هو ذا خطى ! ..

مدير المكتب : انتظر ... ماذا تريد أن تصنع به ؟

الخطيب : وأنت ؟ ... ماذا كنت تصنع به لو كنت فى مكانى ؟

مدير المكتب : تريد أن تمزقه ؟

الخطيب : لو أمكن فتح الغلاف بحرص .. فإنى أستخرج منه الورقة التى فيها تحديد يوم القران . وأضع بدلاً منها ورقة فيها فسخ للخطبة أجعل تاريخها سابقا لتاريخ سقوط الوزارة بذلك يكون تصرفنا فى منتهى الكياسة ... ألا ترى ذلك ؟

مدير المكتب : أرنى الغلاف !

الخطيب : (**يناوله الخطاب**) صمغه ليس شديد الا لتصاق .

مدير المكتب : (**يفحصه**) حقا .. من الميسور فتحه وإعادة تصميغه .. خذ وافعل به ماشئت !

الخطيب : (**يتناول الخطاب ثم يتناول فتاحة معدنية من فوق المكتب يفتح بها الغلاف بحرص**) فتاحة معالى الوزير ! ...

مدير المكتب : الوزير الجديد !

الخطيب : أتعرف من سيكون ؟

مدير المكتب : ما من أحد يعرف بعد ... إن كل وزير جديد هو على أى حال خير من كل وزبر سابق !

الخطيب : (**وهو يضع الفتاحة**) فتح الغلاف بكل احتياط ، بدون أن يمس ختم البريد ... (**يستخرج ورقة من داخل الغلاف ...**)

وهذه هى الرسالة التى كانت ستوقعنا فى شر أعمالنا !

(**يمزق الرسالة قطعا صغيرة**)

مدير المكتب : (**مشيرا بيده**) إليك سلة المهملات !

الخطيب : (**وهو يلقى بالقطع الصغيرة فى السلة**) والآن ورقة بيضاء من فضل سعادتك !

مدير المكتب : (**يبحث بين أوراق المكتب**) خذ هذه ورقة عادية ! ..

الخطيب : (**وهو يتناولها مع قلم من فوق المكتب**) شكراً .. سأضع تاريخ أمس الأول .. أو الأفضل تاريخ اليوم السابق لأمس الأول ... (**يكتب**) ... حضرة صاحب المعالى ... بعد تقديم واجب الاحترام .. جدت ظروف عائلية ترغمنى على إرجاء التفكير فى الزواج فى الوقت الحاضر .. لذلك يؤسفنى أن أرجو من معاليكم اعتبار موضوع الخطبة كأن لم يكن ... وتفضلوا .. إلى آخره . لا داعى للإطالة. أليس فى هذه الكلمة كل المطلوب ؟

مدير المكتب : هذه الكلمة كافية جداً ...

الخطيب : (**وهو يضع الورقة فى الغلاف**) قليلا من الصمغ لنغلق الغلاف كما كان . (**يلمح زجاجة الصمغ على المكتب فيتناولها ويغلق الغلاف**)

مدير المكتب : خلصت الآن ؟

الخطيب : كالشعرة من العجين .. بفضل الله وفضلكم ... إليك الخطاب .. ضعه كما كان بين « بوستة » معالى الوزير ... السابق !

مدير المكتب : (**يتناول منه الخطاب ويدسه بين بريد الوزير ويضغط على زر الجرس فيدخل الساعى**) خذ « بوستة » الوزير السابق

واذهب بها فى الحال إلى منزله ..

الخطيب : (**للساعى**) بغاية السرعة من فضلك .

مدير المكتب : (**للساعى**) عندك العجلة طبعا ..

الساعى : (**وهو يتناول مظروف البريد**) نعم ... سأركب العجلة ... وأذهب فى طرفة عين ! (**يخرج مسرعا ..**)

الخطيب : (**لمدير المكتب**) لسانى عاجز عن الشكر ، ولن أنصرف الآن حتى آخذ منك وعداً أكيدا بأن تشرفنى فى بلدنا لنحتفى بك ونذبح الذبائح ونقوم نحوك ببعض الواجب ...

مدير المكتب : لم أفعل شيئا يستحق كل ذلك .

الخطيب : بل فعلت من المروءة ما لا أنساه .. ولكأن الله ألهمنى أن أرسل خطابى على الوزارة ، تباهيا أمام الفلاحين .. كى يتيح لى رجلا شهما مثلك ينقذنى من المأزق ..

مدير المكتب : بل قل إن الله هو الذى أراد إنقاذك وإزالة هذه الغمة عنك ، كما أزالها عنا ..

الخطيب : حقا كانت غمة وانزاحت ...

مدير المكتب : كان عهداً بغيضا وزال بشره ...

الخطيب : كان هذا الوزير والشهادة لله ثقيل الظل على قلبى ..

مدير المكتب : وماذا نقول نحن الذين عاشرناه فى العمل ؟ . كان رجلا فى غاية الحمق والسخف والغباء ...

الخطيب : كان الله فى عونكم ! إنى لم أكن قد خالطته بعد كل المخالطة ، ولكنى بالفراسة أدركت أنه مثل « شرابة الخرج » !

مدير المكتب : كل هذا فضلا عن ظلمه وقلة نزاهته وارتباكه واعوجاجه فى تصريف الأمور ...

الخطيب : يا حفيظ !

مدير المكتب : لذلك كان من الضرورى أن يأتى عهد جديد .. نرى فيه إصلاحا لهذا الفساد !

الخطيب : البركة فى الوزير الجديد ..

مدير المكتب : هذا هو أملنا .. وموضع ...

(جرس التليفون يدق ... فيرفع مدير المكتب السماعة ويضعها على أذنه ...)

مدير المكتب : ألو .. ألو .. رياسة مجلس الوزراء ؟ من حضرتك ؟ آه ... صباح الخير .. أفندم . الوزارة الجديدة تألفت .. مبروك ...

الخطيب : مبروك ...

مدير المكتب : **(يشير إليه بالصمت ويستأنف حديث التليفون)** ألو .. ألو .. قل لى من الوزراء الجدد .. أسماء الوزراء ... وزارتنا ... أولا .. أخبرنى من هو وزيرنا الجديد ؟ ماذا تقول ؟ هو نفسه ... عين الوزير السابق . لم يتغير . دخل الوزارة الجديدة فى نفس وزارته ! كفى . كفى . لا داعى لسماعى البقية .. متشكر ! **(يضع السماعة ...)**

الخطيب : هو نفسه !؟

مدير المكتب : وزيرنا الجديد هو نفسه الوزير السابق ! ..

الخطيب : **(صائحا)** ياداهيتنا الكبيرة ! الخطاب ... الخطاب !

مدير المكتب : صه ! .. أين الأوراق التى سأعرضها على معاليه ! . بنفسى .. الآن .. فى منزله منزل معاليه ! .

الخطيب : **(يشب ناهضا)** وخطابى ؟ من يرد إلىّ هذا الخطاب الملعون ... إلى منزله ... فى طرفة عين ... منزل معاليه !

(ستار)

المنظر الثانى

(بهو فى منزل الوزير ... فى صدره باب يؤدى إلى الحديقة ... وفى جانبه باب مفتوح يؤدى إلى حجرة مكتب ... وقد جلست فى البهو كريمة الوزير وهى تحتضن كلباً صغيراً ... وبقربها جلس الخطيب ...يحادثها وعينه لا تفارق حجرة المكتب)

الخطيبة : لماذا تنظر هكذا دائما إلى حجرة المكتب ؟!

الخطيب : معاليه ... والساعى ...

الخطيبة : إنه لن يبطئ علينا .. بعد لحظة يفرغ من هذا الساعى وأوراقه ... ويأتى إلينا ..

الخطيب : (**يمد عنقه نحو حجرة المكتب**) الخطابات .

الخطيبة : أى خطابات ؟!

الخطيب : (**يرسل نظراته إلى حجرة المكتب**) فى يده . إنها فى يده ... أسيفتحها الآن ؟!

الخطيبة : لا أظن .. ولا ينبغى لنا أن ندعه مشغولا عنا طويلا .

الخطيب : نعم .. أرجوك .. امنعيه من أن يقرأ الآن ..

الخطيبة : لا تخف .. إنه سيأتى إلينا حالا ... وسيشترك فى الحديث . لماذا كل هذه السرعة منك فى إعداد برنامج القران ؟!

الخطيب : (**وهو ينظر**) أسرعى . امنعى . إنه يقلب بين يديه الخطابات !

الخطيبة : (**مبتسمة**) كن صبوراً . تعلم الصبر .. على ذكر الخطابات .. لماذا لم تكتب إلينا حتى الآن ... كنا ننتظر منك

على الأقل خطابا ... تحدد فيه الموعد . وتقترح الترتيبات .

الخطيب : (**وهو ينظر إلى حجرة المكتب**) كتبت .. أقصد .. أقصد فكرت . ولكنى فضلت الحضور بنفسى ... حتي يتم القران يوم الخميس القادم إن شاء الله !

الخطيبة : الموعد قريب جداً .

الخطيب : (**وهو ينظر**) أسرعى .. إنه يريد أن يفتح خطاباً ...

الخطيبة : (**تلتفت إلى حجرة المكتب وتنادى**) بابا .. بابا .. نحن فى انتظارك ..

الوزير : (**من الداخل صائحا**) لا تؤاخذانى ...

(ثم يظهر مشيراً إلى الساعى بالانصراف ... ويتقدم نحوهما .. حاملا الخطابات فى يده . ويجلس على مقعد أمامه منضدة صغيرة ... بينما الخطيب ينهض لمجيئه ويجلس بجلوسه ...)

الوزير : (**لابنته**) ألم تطلبى قهوة لخطيبك ؟!

الخطيبة : طبعا يا بابا ! ..

الوزير : (**يضع الخطابات فوق المنضدة التى أمامه**) قبل أن أنقطع لكما ويجرفنا الحديث .. اسمحا لى بلحظة أتصفح هذه الخطابات ... (**ويخرج نظارته من جيبه** ...)

الخطيب : (**بسرعة ورجفة**) لا يا معالى الباشا ... لا .. موضوعنا فى غاية الأهمية . ويستحق من معاليك أن تنقطع الآن إلينا .. التفت إلينا ..

الخطيبة : الحق معه يا بابا ... يحسن أن تترك القراءة الآن ... وتشاركنا فى الحديث ...

الوزير : (**وهو يعيد نظارته إلى جيبه**) تركت القراءة . أخبرانى بما انتهى

إليه الرأى بينكما ..

الخطيبة : (**لخطيبها المحملق فى الخطابات**) قل رأيك ...

الخطيب : (**يرفع عينيه عن الخطابات مرتبكا**) أنا ؟!

الخطيبة : (**لخطيبها**) مالك ؟ لماذا تنظر هكذا إلى الخطابات ؟!

الخطيب : أنا نظرت إليها ؟!

الخطيبة : أتخشى أن يعود إلى القراءة ويشغل عن موضوعنا ؟!

الخطيب : (**بسرعة**) نعم .. هو ذاك .. (**يمد يده نحو الخطابات**) اسمح لى يا باشا .. أضعها فوق ذلك المكتب .. سأذهب بها بعيداً . هناك . هاتها ... هاتها .

الوزير : (**يضع يده فوق الخطابات**) لا .. دعها واطمئن . إنى معكما الآن بكل فكرى وقلبى . وهل عندى موضوع أهم من موضوعكما . تكلما إنى مصغ !

الخطيب : لن أطمئن حتى آخذ هذه الخطابات .. بعيداً.. بعيدا عن أنظارك يا باشا ! . (**يمد يده محاولا أخذ الخطابات**)

الوزير : (**يسبقه إلى الخطابات**) انتظر سأريحك . سأضعها فى جيبى .. لأقرأها فيما بعد .. عندما آوى إلى حجرة نومى ... (**يدس الخطابات فى جيب جاكتته ...**) هدأ بالك الآن ؟ هيا تكلم .. وقل رأيك .

الخطيب : (**ناظرا فى يأس إلى جيب الوزير**) رأيى ؟!

الخطيبة : نعم . رأيك الذى أبديته لى منذ قليل ..

الخطيب : (**وهو يختلس النظر يائساً إلى جيب جاكتة الوزير التى فيها الخطابات**) رأيى أن كل شيء انتهى ! .

الوزير : انتهى ؟!

الخطيب : (**مستدركا**) على خير ... على بركة الله ! ..

الوزير : والموعد ؟!

الخطيب : يوم الخميس القادم إن شاء الله ..

الوزير : سوف يكون يوما مشهودا ... أرى فيه وجوها تنكرت لى بسرعة البرق ... إن هذه الساعات الأربع والعشرين التى مرت ما بين استقالتى وعودتى للحكم قد أرتنى عجائب وغرائب من طباع الناس ... حتى مدير مكتبى ... مدير مكتبى الذى شرعت فى ترقيته ترقية استثنائية قد رفض توديعى ودخول منزلى . ووصف عهدى ، كما بلغنى بالعهد البغيض ! ..

الخطيب : قصر نظر يا معالى الباشا ... قصر نظر ! ..

الخطيبة : وماذا تنوى يا بابا أن تفعل بمثل هذا الموظف ؟! ..

الوزير : مدير مكتبى ؟! .. سوف تسمعون بما أنا صانع به وبأمثاله من الزائفين الذين يرتدون ثياب المخلصين ! ..

الخطيب : (**وهو ينظر إلى جيب جاكتة الوزير**) لعنة الله على الذبذبة والمذبذبين ! .

(**يدخل الخادم يحمل صينية القهوة ويتقدم نحو الخطيب**)

الخطيبة : (**وهى تدلل كلبها الصغير**) بوبى هذا الصغير لم يتغير وفاؤه فى الأيام السود ولا الأيام البيض ! ..

الخطيب : (**للخادم المقبل عليه بالقهوة**) معالى الباشا أولا !

الوزير : لا .. الضيف أولا ! .

الخطيب : (**يتناول فنجانا وينهض به إلى الوزير**) لا يمكن ... مستحيل أتناول القهوة قبل معاليك ...

الوزير : أستغفر الله ! .

(**الخطيب يتعمد إسقاط الفنجان على جاكتة الوزير ...**)

الخطيب : (**متظاهرا بالألم**) يا للكارثة ! ... يا لخيبتى وسوء فعلتى ! ..

كيف أعبر عن أسفى يا معالى الوزير ؟ ..

الوزير : لاتنزعج .. هذا شيء بسيط ! ...

الخطيب : اخلع « الجاكتة » يا باشا .. وأنا أتولى تنظيفها بنفسى ..

الخطيبة : (**تطلق كلبها فى الخارج وتصيح**) وأنا .. ما وظيفتى ؟ .

الخطيب : (**وهو يحاول أن يخلع الجاكتة عن الوزير**) أقسم ما من أحد يمس هذه« الجاكتة » غيرى ! ... أنا الذى أصلح ما أفسدت ... دعوها لى ... دعوها لى .

الوزير : (**يبعد عنه يد الخطيب برفق**) مهلا .. مهلا .. لا أنت ولا خطيبتك ... (**يشير إلى الخادم**) خذ « الجاكتة » إلى محل التنظيف والمكوى ... وأحضر لى « الروب » من حجرتى ! .. (**يخلع الجاكتة ويسلمها إلى الخادم**) هل هناك أبسط من هذا الحل ؟!...

(**الخادم يمشى بالجاكتة ... وأنظار الخطيب تمشى خلفها ... ثم يتحرك خلف الجاكتة بدون وعى ...**)

الخطيبة : (**لخطيبها**) إلى أين ؟ .. إلى أين ؟ ..

الخطيب : (**يقف مرتبكا**) الجيب ... ما فى الجيب ... الجيوب ! .

الوزير : صدقت ... هات « الجاكتة » يا ... (**الخادم يعود بالجاكتة إلى الوزير فيخرج ما فى جيوبها ثم يشير إليه بالذهاب بها ...**)

الخطيب : (**يمد يده إلى محتويات الجيوب فى يد الباشا**) ناولنى هذه الأشياء يا معالى الباشا .. حتى لا تتعب يديك ! .

الوزير : ولماذا أتعب بها يديك أنت (**يلتفت إلى ابنته**) خذيها أنت وضعيها فى « درج » المكتب ... وأغلقى عليها ... هاك المفتاح ! . (**يخرج من جيب « بنطلونه » سلسلة بها بضعة مفاتيح صغيرة ...**)

الخطيبة : (**تتناول من أبيها المحتويات وبينها الخطابات وسلسلة المفاتيح وتتجه إلى حجرة المكتب وهى تنادى كلبها**) بــوبى . بوبى ! ...
(**الخطيب يتبع بنظراته الحائرة الخطابات فى يد الخطيبة المتجهة إلى حجرة المكتب .. ويمشى خلفها بلاوعى** ...)

الوزير : (**للخطيب**) إلى أين ؟ .. إلى أين ؟ ..

الخطيب : إنها تنادينى ...

الوزير : إنها تنادى « بوبى » .

الخطيب : ربما كنت أنا « بوبى » ..

الوزير : (**ضاحكا**) لا .. تعال .. تعال اجلس . إنها لا تقصدك أنت .. سوف تطلق عليك اسما من أسماء التدليل . فيما بعد .. ولكنه لن يكون « بوبى » على كل حال ..

الخطيب : (**وهو يجلس يائسا فى مقعده**) هذا من سوء حظى ! .

الخطيبة : (**من الداخل**) ما الذى أضحكك يا بابا ؟ ..

الوزير : خطيبك يقول لك ! ... (**يعطس**) ...

الخطيبة : (**تظهر وهى تلعب بسلسلة المفاتيح**) أنت يا بابا الذى عطست ؟

الوزير : نعم ...

الخطيبة : سيصيبك برد من تخفيف ثيابك ...

الوزير : (**ينهض**) حقا يحسن أن ألبس ثيابا كاملة .. انتظرونى .. سأعود بعد لحظة ! ... (**يخرج مسرعا ..**)

الخطيبة : (**لخطيبها**) ماذا كنتما تقولان فى غيبتى ؟ ..

الخطيب : (**ناظرا إلى سلسلة المفاتيح فى يدها**) هذه السلسلة من الفضة ؟ ..

الخطيبة : لا .. إنها عادية . من المعدن ..

الخطيب : (**يمد يده إليها**) أريني .. أريني ..

الخطيبة : ماذا ترى فيها يثير الاهتمام ؟ ..

الخطيب : شكلها ... شكل المفاتيح ..

الخطيبة : مفاتيح عادية جداً .

الخطيب : إنها متشابهة فيما بينها ... أهي كلها « لأدراج » المكتب ؟ ..

الخطيبة : نعم ... كل « درج » له مفتاحه ...

الخطيب : وكيف تستطيعين التمييز بين المفاتيح ؟ ..

الخطيبة : أهو أمر صعب إلى هذه الدرجة ؟! .

الخطيب : يبدو لى أن من الصعب استخراج مفتاح كل « درج » بمجرد النظر .

الخطيبة : هذا شيء سهل . يكفى أن تنظر إلى سن كل مفتاح .. إن الأسنان فيما بينها تختلف ...

الخطيب : حقيقة .. ولكن كيف تعرفين أن هذا الدرج بالذات له مفتاحه بهذه الأسنان بالذات ؟ .

الخطيبة : مدهش ! .

الخطيب : ما هو المدهش !

الخطيبة : هذا الموضوع الذى نتحدث فيه . إنه فى غاية الشاعرية ! .. ألا تلاحظ ؟ .. منذ وجد الزواج .. وكل خطيب وخطيبة ، إذا اجتمعا فى خلوة ، تحدثا فى القمر وفى النسيم وفى الفراق وفى اللقاء .. ولكن .. قلما خطر لواحد منهما أن يتحدث فى الأدراج والمفاتيح ..

الخطيب : (**يفيق**) آه .. لا مؤاخذة ! ..

الخطيبة : لعل هذا الموضوع له عندك أصل أو مناسبة ...

الخطيب : لا .. لا .. أبداً . لا يوجد أصل ولا مناسبة ... المسألة مجرد ..

الخطيبة : مجرد ماذا ؟

الخطيب : مجرد .. إعجاب بذكائك ...

الخطيبة : ذكائى ؟! .

الخطيب : نعم ... لقد لفت نظرى الآن منك أنك لم تستغرقى وقتاً طويلا وأنت تضعين الخطابات ... أقصد محتويات جاكتة الباشا ... فى درج المكتب ... وفتحت الدرج وأغلقته بالمفتاح ... مع أن المفاتيح فى السلسلة متشابهة . هذا طبعا يدل على الذكاء ..

الخطيبة : متشكرة ..

الخطيب : العفو ... أنا مثلا لو كنت فى موضعك لكنت حرت وتهت بين الأدراج والمفاتيح .. وإذا لم تصدقى فلنجرب .. هلمى امتحنى درجة ذكائى .

الخطيبة : إنى واثقة أنك ستنجح ..

الخطيب : من يدرى ... عند الامتحان يكرم المرء أو يهان ...

الخطيبة : كيف تريد منى أن أمتحنك ؟ .

الخطيب : المسألة بسيطة .. أرينى بسرعة مفتاح الدرج الذى وضعت فيه الخطابات ... أقصد المحتويات ... وقولى لى : اذهب وافتحه بمفردك .

الخطيبة : إنك ستفتحه طبعا .

الخطيب : أبداً ..

الخطيبة : فلنجرب ..

الخطيب : نعم فلنجرب .

الخطيبة : (بسرعة) هذا هو المفتاح ..

الخطيب : ليس بهذه السرعة .. إنى لم أر شيئا . مرة أخرى من فضلك .

الخطيبة : (**ضاحكة وهى تشير إلى مفتاح من بين مفاتيح السلسلة**) التفت جيدا هذه المرة ... هذا هو المفتاح ..

الخطيب : (**يسرع ويقبض عليه**) هاتى ...

الخطيبة : (**تتركه له**) خذ واذهب وافتح فى طرفة عين مثلما فعلت أنا ! ..

الخطيب : (**ينهض بالمفتاح مسرعا وقد جاءه الفرج**) بقى أن أعرف الدرج ! ..

الخطيبة : سأعد من واحد إلى عشرة ..

الخطيب : إلى عشرين من فضلك ..

الخطيبة : (**فى تسامح**) إلى عشرين ..

الخطيب : (**وهو متجه بالمفتاح إلى حجرة المكتب**) يا بركة الله !

الخطيبة : وعند العشرين أهرع أنا إلى المكتب لأرى النتيجة ... (**تعد بصوت مرتفع**) واحد ... اثنين . ثلاثة ...

الخطيب : (**على عتبة حجرة المكتب**) انتظرى .. وحياة عينيك ... « غششينى » قليلا وإلا سقطت سقوطا شنيعا .. قولى لى أين الدرج . ؟

الخطيبة : (**ضاحكة**) وماذا بقى إذن من مواد الامتحان ؟ .

الخطيب : (**متوسلا**) قولى لى ... الله لا يفضحك ! ...

الخطيبة : (**ضاحكة متسامحة**) الدرج الذى فى الصدر ! ... سأستأنف العد .. أربعة ... خمسة .

الخطيب : لا . لا .. أرجوك .. عدى من الأول ... (**ثم يختفى سريعا فى حجرة المكتب**) .

الخطيبة : أمرك . واحد ... اثنين . ثلاثة . أربعة . خمسة . ستة . سبعة ..

الخطيب : (**صائحا من الداخل**) اسكت يا بوبى .. ! . ابعد يا بوبى !
(**يسمع نباح الكلب من الداخل**) .

الخطيبة : (**ضاحكة ومستمرة فى العد**) ثمانية . تسعة . عشرة .

الخطيب : (**صائحا**) حوشى بوبى ... يا للكارثة . الكلب خطف السلسلة . خطف المفاتيح .

الخطيبة : (**ناهضة بسرعة**) بوبى ! ..

الخطيب : (**يظهر مهرولا**) قفز بالمفاتيح من النافذة إلى الحديقة .

الخطيبة : وأنت ... إلى أين تجرى ؟ ..

الخطيب : خلفه ... أمسك به . أحضر المفاتيح . لم أفتح بعد .. يا للحظ العاثر يا لليوم الشئوم ! .. (**يهرول من الباب المؤدى إلى الحديقة**)

الخطيبة : (**تتبعه بأنظارها عند الباب ضاحكة**) لن تلحق به . ارجع .. خيرا لك ...

الخطيب : (**فى الحديقة يصمصم بفمه للكلب**) بوبى .. تعال ... تعال يا حبيبى ... أرجوك . أنا فى جاهك . كن لطيفا .. أرجع المفاتيح ! ... (**يخفت صوته كمن ابتعد خلف الكلب** ...)
(**الخطيبة بالباب تضحك .. وعندئذ يسمع فى الخارج قرب الباب جلبة وهمهمة أصوات مقتربة ... ثم صوت مدير المكتب يهتف**)

مدير المكتب : (**فى الخارج**) وزيرنا المحبوب !

أصوات : (**فى الخارج تردد هاتفة**) فليحى وزيرنا المحبوب !

مدير المكتب : (**فى الخارج لمن معه**) لا تدخلوا لا تزعجوا الباشا . انتظروا أنتم حتى يخرج لكم .. (**يظهر بالباب وتحت إبطه مظروف**) معالى الوزير فى حجرة المكتب ؟ ..

الخطيبة : إنه يلبس ... لحظة واحدة ! . (**تخرج مسرعة من أحد الأبواب الجانبية ...**)

(**مدير المكتب يتقدم فى البهو ... ويضع مظروفه على المنضدة ويهم بالجلوس ... وعندئذ يظهر « الخطيب » داخلا من الحديقة يمسح عرقه بمنديله ...**)

الخطيب : أف ! .. اختفى الكلب ! ..

مدير المكتب : (**يلتفت نحوه**) الكلب ؟...

الخطيب : (**يرى مدير المكتب**) أنت ؟ .. وقعتى « هباب » ... (**يهمس فى أذنه**) كلام فى سرك .. الخطاب الملعون فى هذا المكتب .. فى درج الصدر .. ومكثت ساعة أحاول الحصول عليه بكافة الوسائل .. وأخيراً نجحت فى أخذ المفتاح . وما كدت أدنو به من الدرج ... حتى خطفه ذلك الكلب الأزعر ... إنى فى أحرج مركز . إنى منكوب .. لن أعرف طعم الراحة ما دام الخطاب هناك ... لم أحصل عليه قبل أن يقرأه ..

مدير المكتب : هدئ بالك ... اعتمد على ...

الخطيب : أعتمد عليك أنت . الآن ؟! ... أنت أيضاً وقعتك ثقيلة ... سبحان المنجى ! .

مدير المكتب : (**يلتفت إلى الباب الجانبى**) صه ! .. معالى الوزير ...

الوزير : (**يظهر ويقول بنبرة تهكم**) أهلا بمدير مكتبنا المخلص !

مدير المكتب : دائما يا معالى الوزير ...

الوزير : طبعاً ... دائماً وفى كل وقت . حتى بعد الاستقالة .

مدير المكتب : هل عند معاليك شك فى إخلاصى ؟! ..

الوزير : (**متهكما**) أبداً ... حاشا لله ! . وهل هناك إخلاص أشد من أن تدخل بيتى بعد استقالتى ... وتودعنى ذلك الوداع

المؤثر ... دون أن تتنصل أو تخاف أو تهرب ؟!

مدير المكتب : أودع معاليك ؟ لماذا ؟ ... لا يا معالى الوزير ... إنى لم أرد أن أجيئك مودعاً .. لأنى كنت عميق الإيمان بك وبعودتك فى الوزارة الجديدة . يودعك اليائس .. أما أنا فلم أيأس ... كنت على يقين أن كفاءتك العظيمة ومواهبك النادرة لا يمكن أن توضع على الرف .

الوزير : أهذا حقاً كان تفكيرك ؟! ..

مدير المكتب : تفكيرى وإيمانى وعقيدتى يا معالى الوزير ... وإنه من بواعث فخرى أن إيمانى بك لم يتزعزع فى يوم من الأيام ...

الوزير : وعهدى ألم يكن بغيضا ؟! ..

مدير المكتب : طبعاً ... كان بغيضاً ... عند خصومك وحسادك ... وأولئك الجاحدين الذين لم يروا أعمالك ومشروعاتك وإصلاحاتك ! ..

الوزير : كانوا هم إذن الذين يقولون ذلك !! ..

مدير المكتب : بالتأكيد ... كل الأفذاذ والمصلحين يسمعون أحيانا ما يكرهون ويبلغهم من تقولات الناس ما لا يحبون ... ويشهد الله كم كان يؤذى سمعى أن أسمع فيك بعض هذا الجحود ... ولكننى كنت أعزى نفسى دائماً بقولى : معاليه من العباقرة العظماء .. وتلك ضريبة العبقرية والعظمة ...

الوزير : إنى على كل حال لم أصنع لك إلا كل خير ..

مدير المكتب : وهل من المعقول أن أنسى ... كل ترقية لى كانت على يدى معاليك ! .. إن أقل الواجب وأضعف الإيمان أن أكون على الأقل من أشد المتحمسين لك وأخلص المتصلين بك ! ...

الوزير : يجب أن يكون الأمر كذلك ...

مدير المكتب : أقسم لمعاليك أن هذا هو الواقع .. وإن كره الواشون والحساد والنمامون ... إن إخلاصى لمعاليك شيء فى دمى ... وإيمانى بشخصيتك الممتازة وعقليتك الجبارة دين راسخ فى قلبى ..

الوزير : أرجو أن تكون دائما مدير مكتبى الذى أضع فيه كامل ثقتى !...

مدير المكتب : ثقة معاليك الغالية كل زادى ... وكل ثروتى ... والله يشهد فى سمائه أنى بهذه الثقة جدير ..

الوزير : عندى مجلس وزراء بعد نصف ساعة ..

مدير المكتب : (**يتناول المظروف**) جهزت لمعاليك كل الأوراق اللازمة .

الخطيبة : (**تدخل حاملة بوبى والمفاتيح**) ها هو بوبى جاءنى بنفسه يحمل سلسلة المفاتيح .

الخطيب : (**بدون وعى**) هاتى ... أرجوك ...

الوزير : (**لابنته**) أعطى المفاتيح لمدير مكتبى ليعرض على ما فيه من بريد وأوراق ... كالعادة .

مدير المكتب : (**وهو يتسلم المفاتيح**) شكراً .. تسمح معاليك لحظة ...

الوزير : ماذا ؟ ...

مدير المكتب : (**يقترب من الباب ويهتف**) فليحى وزيرنا المحبوب ! ...

الأصوات : (**فى الخارج**) فليحى وزيرنا المحبوب ! ...

الوزير : ماذا ؟ ...

مدير المكتب : موظفو مكتبى جاءوا معى يظهرون ابتهاجهم بعودة معاليك للوزارة ...

الوزير : (**باسما**) أنت الذى نظمت هذه المظاهرة !! ..

(**يتجه الوزير نحو الباب وخلفه ابنته ...**)

مدير المكتب : هذا شعور طبيعى قد تفجر .. ومنذا الذى ينسى إحسان معاليك

لموظفى مكتبك ؟

الوزير : لاتنس أن تذكرنى بقرار ترقيتك الاستثنائية ! ...

(يخرج إلى عتبة الباب ويحيى الهاتفين بيديه ... وخلفه ابنته تشاهد هى وكلبها بوبى .. بينما يمسك الخطيب بذراع مدير المكتب ويحاول جذبه إلى ناحية حجرة المكتب ...)

الخطيب : (**هامساً لمدير المكتب**) المفتاح فى يدك .. أنا فى جاهك ... أنقذنى ! ...

مدير المكتب : (**هامساً**) هدئ بالك ! .. قلت لك اعتمد على .. ولكنك لم تصدق ...

الخطيب : صدقت .. وآمنت .. كنت مغفلا و لم أفهم .

مدير المكتب : تفهم ماذا ؟ ...

الخطيب : أن صاحب السلطة بسهولة يصدق الملق ... وبسرعة ينسى النفاق ! ..

(ستار)

من وحى الطبائع البشرية

أريدُ أن أقتل

قصة تمثيلية فى فصل واحد

(بهو استقبال صغير فى «شقة» يقطنها زوجان وحيدان .. كل شىء فيها ينم على البساطة والهدوء والاطمئنان .. وفى وسط البهو منضدة عليها حقيبة صغيرة مفتوحة لمندوب شركة التأمين على الحياة وهو يقدم إلى الزوج عقدا . ويناوله قلما من الأبنوس)

مندوب التأمين : وقع بإمضائك هنا .. بقلمى الأبنوس .. فهو يجلب السعد ! ..

الزوج : **(وهو يلقى على العقد نظرة أخيرة)** إذا مت فإن زوجتى تقبض من الشركة ألفى جنيه ؟ .

المندوب : فى الحال بمجرد الوفاة .

الزوج : **(وهو يتناول منه القلم)** إليك إمضائى ...

(يوقع على العقد ثم يضع القلم فوق المنضدة ويسلم العقد للمندوب ...)

المندوب : **(وهو يتناول العقد)** مبروك ! ...

الزوج : على وفاتى ؟ .

المندوب : على إتمام « البوليصة » .

الزوج : أهم شىء عندى هو أن زوجتى لا تعلم بخبر هذا التأمين وأنا على قيد الحياة .. إنها رقيقة الشعور شديدة الإخلاص إلى حد يؤثر أحيانا فى صحتها . ما من أمر يزعجها فى النهار ويؤرقها فى الليل إلا فكرة موتى قبلها .. فهى لا تطيق أن تتصور هذا يحدث يوما .. وإذا مر شبح بخاطرها صاحت : « اللهم اجعل يومى قبل يومه ! . » ولكننى أنا أشد منها انزعاجا ، ولا أسأل الله شيئا إلا أن يجعل يومى قبل يومها ! ..

المندوب : ما شاء الله ! ... إخلاص متبادل ...

الزوج : لذلك أخشى أن يبلغها خبر هذا التأمين على حياتى من أجلها فتتشاءم ، ويتملكها الفزع ! .

المندوب : اطمئن ! . لن يبلغها شيء من جهتنا ... المحافظة على الأسرار من أهم واجباتنا واختصاصاتنا .

الزوج : من حسن الحظ أنها الآن فوق .. عند الجيران ... تعود فتاة مريضة ولكن .. إذا شاءت المصادفة السيئة أن تلقاك هنا أو تفاجئك .. فحذار أن تخبرها أنك مندوب شركة التأمين على الحياة ! ..

المندوب : لا تخف ! ... اعتمد علي لباقتى ...

الزوج : إنى معتمد على الله وعليك وعلى الشركة أن تعيش أرملتى فى سعة وبحبوحة وعزة وراحة ..

المندوب : لكن فى العقد شرطاً : إذا توفيت أرملتك قبلك ، أقصد زوجتك .. فإن كل ما دفعته أنت من أقساط ، وإن بلغ المئات ، يضيع عليك .

الزوج : (**فزعا**) صه ! .. صه ! . تتوفى قبلى .. تموت قبلى .. وما فائدة حياتى بعدها .. وما قيمة مالى ... ولماذا أطالبكم بشيء .. وأفكر فى شيء . أجننت أيها المجنون ... أيها المندوب ...

المندوب : عفوا .. معذرة ... إنى ما قصدت .. إلا مجرد الإشارة إلى نص من نصوص ...

الزوج : كفى ... لا أريد أن تقع عينى على مثل هذا النص المؤلم .

المندوب : خانتنى اللباقة ... سامحنى ... سأحتاط منذ الآن .. كل ما أرجوه أن ترضى .. وأن يطيل الله بقاء السن ..

الزوج : وأن يتوفانى قبلها ...

المندوب : وأن يتوفاك قبلها ... وتقبض هى مبلغ التأمين ، فى خير وسرور .

(يحمل الحقيبة الصغيرة ويتأهب للانصراف ...)

الزوج : تنصرف ... ولم أقدم إليك القهوة ... لا تؤاخذنا ... خادمنا اليوم فى إجازة .. وأنا والست وحدنا فى « الشقة » ... وهى كما قلت الآن لك فوق عند الجيران ..

المندوب : لا داعى للكلفة ... إنى سعيد أن أكون دائما فى خدمتك ...

الزوج : تذكر دائما .. زوجتى لا يجب أن تعلم ...

المندوب : لن تعلم ... إلى اللقاء ..

(فى هذه اللحظة يدفع باب الشقة المفتوح وتظهر الزوجة نازلة من عند الجيران ... فترى المندوب متجها إلى الباب وفى يده الحقيبة الصغيرة ...)

الزوجة : (**للمندوب بلهجة سريعة**) الدكتور .. حضرتك الدكتور ؟ .

المندوب : (**مفاجأ**) أنا ؟ .

الزوج : (**للمندوب بسرعة**) زوجتى .. زوجتى ..

المندوب : الست ؟ .. آه ... تشرفنا يا هانم .

الزوجة : وحضرتك طبعا ...

الزوج : (**بارتباك**) نعم ... حضرته طبعا ...

الزوجة : الدكتور ..

المندوب : (**ينظر إلى الحقيبة الصغيرة فى يده**) دكتور ؟

الزوج : (**يغمز بعينه للمندوب**) نعم ... دكتور .. ولكن اطمئنى ... اطمئنى .. إنى فى أتم صحة .

الزوجة : الدكتور طبعا غلط فى الطابق .. المريضة فوق عند الجيران .. لقد طلبوك بالتليفون منذ نصف ساعة ...

الزوج : اصعد يا دكتور ... اصعد ...

المندوب : سأصعد .. حالا ..

(يتجه بسرعة إلى الباب كمن يريد أن ينجو بنفسه من الموقف ....)

الزوجة : انتظر يادكتور .. حذار أن تقول للمريضة إنك طبيب جاء لعلاجها .. فهى لا تعتقد أنها مصابة بمرض ... وهى تتكلم بكل هدوء ، وكل منطق .. وقد ترفض مقابلتك إذا علمت أنك طبيب . فيحسن أن تقول لها ... إنك .. أى شيء آخر .. قل لها مثلا إنك ..

المندوب : إنى مندوب شركة تأمين ... جاء يؤمن على حياتها ...

الزوج : (**للمندوب**) ألم تجد شيئا آخر غير هذا ..

الزوجة : لا بأس ... لا بأس ... فلينتحل أى صفة يراها .. المهم أن يخفى عنها أنه دكتور ...

المندوب : (**بسرعة وهو منصرف**) لن تعلم .. لن تعلم ...

الزوجة : انتظر يا دكتور .. انتظر .. إنك ستجدها الآن منفردة فى حجرتها مستغرقة فى تأملاتها ... فهى كثيرة العزلة .. تعيش وحدها مع أمها .. لا تخرج كثيرا ، وتقرأ طويلا .. وقلما أراها عندما أصعد زائرة ... ولكنى أرى أمها المسكينة التى تحدثنى عن أمرها العجيب ودموعها تسيل . وما من خادمة أو خادم يطيل المقام عندها خوفا على حياته ..

المندوب : خوفا على حياته ؟!

الزوجة : نعم يا دكتور .. لقد أصبحت هذه الفتاة خطرة .. وإن كان

ظاهرها لا يدل على ذلك .. بالعكس .. إنك ستراها حسناء وديعة دمثة مؤدبة مثقفة ، ولكنها ما تكاد تنفرد بخادم فى المطبخ وفى يدها سكين .. حتى تلمع عيناها ببريق غريب .. وتهم بطعنه .. لولا صياحه وفراره وظهور الأم ..

المندوب : (**فى خوف**) يا مغيث ! ..

الزوجة : ماذا تسمى هذه الحالة يا دكتور عندكم فى الطب ؟

المندوب : (**مرتبكا**) هذه الحالة .. تسمى .. تسمى ..

الزوج : (**بسرعة**) تسمى من غير شك اختلالا عصبيا أو على الأقل اعتلالا نفسانيا ..

الزوجة : (**لزوجها**) دع الدكتور يتكلم ... إنه أدرى بمهنته . ما رأيك يا دكتور ؟ ..

المندوب : رأيى أن هذا شيء مخيف جداً ..

الزوجة : بماذا تشخصه .. بماذا تعلله .. بماذا تعالجه ؟ .

المندوب : (**بارتباك**) من رأيى .. أن المستحضرات الطبية تعالج الآن كل شيء .. ومخازن الأدوية مملوءة بالعقاقير .. وكل يوم يظهر اختراع جديد .. والأمراض فى انقراض .. والأعمار تضاعف طولها فى المتوسط .. حتى أصبحت شركات التأمين ...

الزوج : (**همساً**) مالنا ومال التأمين ؟! .

الزوجة : (**للمندوب**) قصد الدكتور أنه يوجد مستحضر طبى لعلاج هذه الحالة ؟!

الزوج : (**لزوجته**) أتطلبين من الدكتور أن يتكلم عن حالة لم يفحصها بعد .

المندوب : هذا صحيح .. لا أستطيع الكلام عن حالة لم أفحصها بعد ..

الزوجة : عفواً يا دكتور .. اعذرنى .. إن الفضول دفعنى إلى كل هذه الأسئلة بل شيئا آخر أكثر من مجرد الفضول .. هو شفقتى على الأم المسكينة .. لا ينبغى أن أحجزك هنا أكثر من ذلك .. إنهم فوق فى انتظارك .. وأرجو أن يتم لهذه الفتاة الشفاء على يديك .

المندوب : شكراً .. ليلتكم سعيدة ! .. (**يتحرك للانصراف**) .

الزوجة : انتظر يا دكتور .. خذ حذرك من الفتاة .. لقد أخبرتنى أمها منذ لحظة أنها لمحت فى حجرتها اليوم شيئاً يشبه المسدس .

المندوب : مسدس ؟! .

الزوجة : نعم .. لقد خرجت الفتاة فى الصباح كما قالت لى أمها .. ولم تعد إلا فى الظهر .. ولا تدرى الأم من أين جاءت ابنتها بهذا المسدس .. ولماذا جاءت به . ؟

المندوب : (**مسرعا بالانصراف**) سلام عليكم ! ..

الزوجة : انتظر لحظة يا دكتور . هل تعرف أين هى شقة هؤلاء الجيران ؟ ..

المندوب : (**باندفاع**) لا ...

الزوجة : تعال معى .. أنا أريك الشقة .. وأصعد بك إلى هناك .

المندوب : (**يفزع**) لا .. لا .. أرجوك .. أنا أعرفها . أعرفها . سأسأل عنها ... لا داعى لتعب حضرتك .

الزوج : (**يبادر إلى إنقاذه فيمسك بزوجته**) نعم .. لا داعى لتعبك أنت يا عزيزتى .. دعى الدكتور يذهب بمفرده .. ابقى معى هنا .. أريد أن أحدثك بشىء ..

الزوجة : (**للمندوب**) الشقة يا دكتور فوقنا مباشرة .. على اليمين .

المندوب : (**وهو يخرج مهرولا**) سأنزل حالا .. أقصد ..

سأصعد .. أشكركم ! ..

(يخرج بسرعة ...)

الزوجة : (تتجه إلى زوجها) والآن .. حدثنى .

الزوج : بماذا ؟ ..

الزوجة : ألم تقل إنك تريد أن تحدثنى بشىء ؟ .

الزوج : آه .. نسيت .. نسيت ما كنت أريد أن أقول لك .

الزوجة : أهو شىء مهم ؟ ..

الزوج : لا أذكر .

الزوجة : أهو شىء يتعلق بك ؟

الزوج : لا .

الزوجة : يتعلق بى ؟

الزوج : لا .

الزوجة : إذن لا تفكر ولا تهتم .. كل ما خرج عنا ، نحن الاثنان لا قيمة له .

الزوج : صدقت يا عزيزتى ... نحن الاثنان .. كل الدنيا .. وكل الكون ... روح فى جسدين وحياة فى شخصين .. وهذا سر عذابى ! .

الزوجة : أنت أيضاً يا عزيزى فؤاد ؟ ..

الزوج : نعم إنى أعيش فى خوف دائم من أن يصيبنى سوء .. فتفجعى .. ومن أن يصيبك سوء .. فأموت ..

الزوجة : إذا كان لا بد للسوء من أن يصيب أحدنا .. فإنى أفضل دائماً أن أكون لك الفداء .

الزوج : إنك لن تنقذينى بذلك فأنت تعرفين النتيجة ! .

الزوجة : حقاً .. هى روح واحدة .. لنا معاً .. لا يمكن لأحدنا أن

يستقل بها ..

الزوج : لو كان لنا أطفال يا لطيفة لكانت لك فيهم أرواح أخرى وحيوات عدة .

الزوجة : إنى لست آسفة ..

الزوج : ولا أنا بآسف .

الزوجة : تكفينا هذه الروح الواحدة يا فؤاد ، نتقاسمها معاً .. ولا يستأثر بها واحد منا .. وإذا انطفأت عند أحدنا .

الزوج : انطفأت فى الحال عند الآخر .

الزوجة : كفى يا فؤاد .. أرجوك .. اترك هذا الموضوع . إنى أحس الدوار وأشعر بالدنيا تسود فى عينى .. اللهم اجعل يومى قبل يومك ! .

الزوج : لا تسمع منها يا رب ! ..

الزوجة : لا تقل ذلك .. لا تقل ذلك ! ..

الزوج : اللهم اجعل يومى أنا قبل يومها ! ..

الزوجة : لا تسمع منه يا رب ! .

(تظهر فتاة فى الثامنة عشرة .. رشيقة أنيقة .. آتية متسللة من جهة باب الشقة ..)

الفتاة : إنه لن يسمع من أحدكما دون الآخر ! ..

الزوجة : (**مأخوذة**) سهام ! .

الزوج : من هذه ؟ ..

الزوجة : (**بخوف**) فتاة الجيران ..

الزوج : (**همساً فى رعدة**) المجنونة ! ..

الفتاة : (**تبرز مسدسا من جيبها**) أرجو منكما أن تجلسا هاهنا أمامى ... أحدكما بجوار الآخر ... وأن تصغيا مليا إلى ما

أقول ..

(تشير لهما بطرف المسدس إلى الأريكة ... فيجلسان متلاصقين وقد عقد الخوف لسانيهما ...)

الفتاة : اسمحا لى أولا أن أجلس على هذا الكرسى أمامكما ..

(تجلس على الكرسى المجاور للمنضدة .. بحيث تكون المنضدة فاصلا بينها وبين الزوجين ..) .

الفتاة : وأذنا لى فى أن أشكر الظروف التى شاءت أن يكون بابكما مفتوحا . فتهيأ لى هذه الفرصة السعيدة ! ..

(الزوجان فى صمت وذهول ..)

الفتاة : لقد وصل إلى علمى أنكما وحدكما اليوم فى هذه الشقة .. وهذا أيضا من حسن حظى ! . تعرفان طبعا الغرض من زيارتى المفاجئة ..

(الزوجان يهزان الشفاه ... دون أن ينبسا بجواب ......)

الفتاة : (**بهدوء**) المسألة فى غاية البساطة : جئت لأقتل ... أقتل أحدكما .

الزوجة . (**بصوت مرتجف**) سهام ! .. سهام ! ..

الفتاة (**بأدب**) إنى متأسفة .. إنى فى شدة الأسف .. ولكن لا بد من أن أفعل ذلك .

الزوجة : (**بتوسل**) سهام ! .

الفتاة : مضطرة .. رغبة جامحة .. قوة قاهرة تدفعنى إلى أن أقتل شخصا .

الزوجة : (**بلفظ مرتجف**) نحن جيرانك ياسهام .. إنى صديقة والدتك .. إنك مثل أختى الصغرى .. كيف يطاوعك قلبك

أن تلحقى بنا شرا .

الفتاة : إنى لا أريد أن ألحق بكما شرا .. ولا أفكر فى الضرر الذى يصيبكما .. ولكنى أفكر فى خنق هذا الصوت الصارخ فى نفسى : أن أقتل .. أقتل .. أقتل ..

الزوجة : (برجاء) .. اعقلى يا سهام .. أرجوك .. أرجوك !

الفتاة : إنى أعقل ما أفعل .. إنى فى أتم قواى العقلية .

الزوجة : لو كنت تعقلين ما كنت تقدمين على هذا الفعل الشنيع .

الزوج : (**يغمز زوجته ويهمس**) لا تثيرى غضبها ..

الفتاة : إنى أعلم أنه فعل شنيع .. ولكن ما حيلتى ؟ ليس فى استطاعتى أن أمتنع عن فعله . لقد حاولت كثيرا أن أصد نفسى عنه .. لطالما استعنت بإرادتى .. وبحكمتى وقاومت وحاربت . وقامت فى نفسى معارك طويلة .. ولكنى هزمت .. ما من شىء تغلب على هذه الرغبة الجارفة عندى : أن أقتل .. أقتل ..

الزوج : (**بصوت مهزوز**) يا آنسة . كلمة ..

الفتاة : تفضل .

الزوج : إنك آنسة مهذبة . وكثيراً ما كنت أقابلك فى السلم فأحييك وتحييننى بكل احترام . ألا تذكرين ؟ ..

الفتاة : وإنى لم أزل أحمل لك كل احترام ..

الزوج : أيرضيك إذن أن ترفعى يدك نحونا بسوء ؟!

الفتاة : لا يرضينى ذلك بالطبع ولكنى مدفوعة إلى ذلك على الرغم منى .. لا بد أن أقتل الليلة شخصاً .. وإلا جننت . علاجى الوحيد لما أنا فيه من ضيق هو أن أقتل ..

الزوج : تريدين قتل أى شخص ؟ ..

الفتاة : نعم ..

الزوج : لماذا إذن لا تهبطين الشارع وتقتلين أى شخص يصادفك ؟ ..

الفتاة : فكرت فى ذلك بالفعل .. وكنت فى طريقى إلى تنفيذه .. ولكنى وجدت بابكما مفتوحاً وتذكرت أنكما وحدكما ..

الزوجة : يالسوء بختنا ! .

الفتاة : بل هذا من حسن بختى أنا .. لأن الشخص الذى أقتله فى الشارع سيحدث ضجيجاً يجمع حوله الناس ، فلا أستطيع أن أجنى بهدوء ثمرة هذا الفعل .

الزوج : أهناك ثمرة تجنينها من مثل هذا الفعل ؟

الفتاة : بالتأكيد .. لقد ألحفت على نفسى فى السؤال : لماذا تضطرم فيها شهوة القتل هذا الاضطرام ؟ فكان جوابها : إنى أريد أن أعرف شعور الإنسان وهو يموت .. وشعور القاتل وهو يحدث الموت ! . وإذا كانت هناك صلة معرفة بين القاتل والمقتول فإن هذا الشعور يتضح ويبرز ويأتى بنتيجة .. لذلك أرى فيكما خير مثال لمطلبى .. هأنذا قد شرحت لكما حالتى باختصار .. كى تعذرانى وتساعدانى . إن شفائى فى يد أحدكما .. إنى سأكون شاكرة طول حياتى .. معترفة بالجميل لمن سأقتله منكما .. والآن استعدا .

(ترفع مسدسها ... فيلتصق الزوجان رعباً ويدرآن بيديهما ...)

الزوجة : (**صائحة**) سهام !

الزوج : (**متوسلا**) يا آنسة ! .

الفتاة : إنى لا أريد أن أقتلكما معا .. لأن هذا لا يلزمنى .. بل قد

يفوت غرضى .. ويشتت ذهنى . أريد أن أقتل واحداً منكما فقط .. أما الحى منكما فسينفعنى أجزل النفع .. لأنى سأقرأ على وجهه من مختلف الشعور ، مالا يقل فى القيمة عما أطالعه فى وجه المقتول .

الزوجة : (**بصوت باك**) يا سهام .. يا حبيبتى سهام .. إنى لم أصنع لك شيئا . نحن لكم خير الأصدقاء وخير الجيران ... وأنت عندى أعز من كثيرات من قريباتى ... لكم تمنيت أن تكون لى بنت مثلك .. لطالما قلت ذلك لوالدتك .. وامتدحت أدبك وسلوكك ورقتك .. أتفعلين ذلك بنا ؟ ..

الفتاة : بالرغم منى .

الزوج : نحن يا آنسة أبرياء .. تذكرى أنك تريدين سفك دماء بريئة .. نحن لا نحمل لك غير الود ... أتعتدين على أناس وادعين طيبين أبرياء ؟! .

الفتاة : نعم .. أنتم أبرياء .. وهذا عين مطلبى .. لأن رغبتى فى القتل ليس باعثها الانتقام .. وأنتم فى غاية الطيبة والوداعة .. لأنكم لو كنتم أشرارا وأهل سوء ، لحمل باعثى على أنه عقاب .. لا .. لا .. إن فعلى لا باعث له على الإطلاق . ولا ينبغى أن يكون له باعث ... إنه شهوة القتل لذاتها ... مجردة عن أى باعث ..

الزوجة : أأنت قاسية القلب بهذا المقدار ! .

الفتاة : إنك تعرفين أنى لا أطيق سماع مواء قطة جائعة ! .

الزوجة : حقا يا سهام .. سمعت ذلك من والدتك ... ورأيتك بعينى تصومين وتصلين ، ويتمزق قلبك رحمة بالطفل البائس ابن الكناس ، فتصنعين له بيدك ثوبا يكسو عريه .

الزوج : يا آنسة .. لك مثل هذا القلب ، ولا ترحمين زوجين متحابين وحيدين مثلنا ؟!

الزوجة : ألم تحدثك والدتك عنا يا سهام ؟ . ألم تقل لك إننا أخلص زوجين ؟!

الفتاة : أعلم ذلك ..

الزوج : وتريدين بعد ذلك أن تهدمي هذه الأسرة الصغيرة ؟! ..

الفتاة : إنكما لم تفهما بعد موقفي .. و لم تدركا ما أنا فيه .. اعلما جيداً أن فى أعماق نفسى الآن صوتاً يطغى على رحمتى وحكمتي وعلى أصوات توسلاتكم وحججكم .. ليس يهمنى الآن هذا العالم بناسه وجيرانه ورحمته ومنطقه وبراهينه وثوابه وعقابه وخيره وشره .. لا .. لا .. لا يهمنى كل ذلك الساعة .. كل ما يهمنى فى هذه اللحظة هو أن أخنق هذا الصوت الخفى ، الذى لا أدرى من أين هو صاعد ! .. صوتاً يقول لى : اقتلى .. يجب أن تقتلى ! .. هذا الصوت لا مفر لى من أن أطيعه ..

الزوج : هذا الصوت .. لم يقل لك لماذا يأمرك بذلك ؟ ..

الفتاة : لا .. إنه لا يفسر ولا يعلل .. إنه يأمر . ما من شك أن هناك أناسا غيرى سمعوا فى حياتهم أصواتاً تأمرهم بفعل أشياء . فلم يجدوا بداً من فعلها .. ولعل من بين تلك الأشياء ما كان له معنى .. أو ما كان له غرض عظيم .. فغيروا بذلك مصير البشر .. كما أن من بين تلك الأشياء ما ليس له معنى على الإطلاق .. فحار الناس فى تأويله .. صوتى هو من هذا النوع الأخير . إنه يأمرنى بشىء ، حرت فى معناه ومغزاه : شىء لا خير فيه .. ولكن لا قبل لى بالامتناع عنه .. لا بد أن أحققه

وأؤديه ، لأستريح .. هل فهمتما ؟ وأدركتما حقيقة موقفى ؟ . الآن اسمحا لى أن أطلق النار ..

(ترفع المسدس .. فيتراجع الزوجان رعباً .. ويرفعان الأذرع توسلا ...)

الزوجة : **(باكية)** ستفعلين . ستفعلين .

الفتاة : الوقت أزف .. يجب أن أكف عن الكلام ... وأن أعمل .. وأسرع فى العمل .

الزوج : **(مرتجفا متوسلا)** لحظة يا آنسة . لحظة .. لحظة .

الفتاة : ثقا أنه لا فائدة من المناقشة ومن التوسل ومن البكاء .. سأطلق الرصاص على أحدكما .. هذا أمر مفروغ منه .. أيكما ؟ . أيكما ؟

الزوجة : **(برعب)** أينا ؟؟

الفتاة : نعم . أيكما ... على أيكما أطلق .. بسرعة .. يجب أن يقع الاختيار على أحدكما .

الزوج : **(فى رعدة)** أستختارين ؟ .

الفتاة : **(وهى تتأمل كل واحد منهما)** نعم . يجب أن أختار واحداً منكما وهذا ليس بالأمر السهل .. كيف أرجح بلا مرجح ... وأنتما هكذا جامدان متلاصقان ... ما من واحد حاول الهرب أو هم بحركة ، حتى ألاحقه برصاصى .. وأطرح عن نفسى مشقة التخير إنكما تضعان على كاهلى عبئا ثقيلا .. من أختار منكما ؟ الزوجة ؟ أو الزوج ؟

الزوجة : **(تشهق)** أسنموت الآن .. حقا .. سنموت . اللهم الرحمة . الرحمة الرحمة ..

الزوج : أنموت هكذا يا رب بهذه السرعة ؟! أهو إذن الموت ؟

ارحمينا أيتها الآنسة .. الرحمة ؟

الفتاة : (**كالمخاطبة نفسها**) كلما ذكرتما الموت ، تأججت شهوتى لإحداثه . أزف الوقت (**صائحة**) أسمع الصوت .. يجب أن أقتل . أيكما .. أيكما .. ؟ يجب أن أقرر الآن .. يجب أن أختار من ؟ من ؟ .

(ترسل نظرات حائرة بين الزوج والزوجة ... بينما يتبعان هما نظراتها واجفين والشفاه منهما تهتز فرقا ...)

الفتاة : (**صائحة فى تصميم**) أنت أيتها الزوجة .. تقدمى ! ..

الزوجة : (**فزعة منهارة**) أنا !! ... لا .. لا .. لا .

الفتاة : لا تريدين أن تموتى ؟

الزوجة : لا . لا أريد .. أن أموت ..

الفتاة : إذن فليتقدم زوجك بدلا منك . أيها الزوج .. تقدم !

الزوج : (**فزعا**) أنا ؟ .. لا .. لا يا آنسة . لا ... أتوسل إليك دعينى أعش ..

الفتاة : لا تريد أن تموت ؟ .

الزوج : لا .. لا أريد .. أرجوك .

الفتاة : هذا مستحيل . هذا الوضع مستحيل . لا بد لأحدكما أن يموت . لا بد أن أطلق الرصاص على أحد . على من ؟ . على من ؟ . لا توقعانى فى هذه الحيرة .. ساعدانى . عاونانى . سأطلق المسدس على أحدكما فى الحال . كيفما اتفق . (**ترفع المسدس فى يدها**) فليكن عليك أنت أيتها الزوجة ! ..

الزوجة : (**صائحة برعب**) لا لا يا سهام .. لا تطلقى علىّ أنا .. يجب أن أعيش . يجب أن أعيش لأنى .. لأنى .. حامل .

الفتاة :حامل ؟ لماذا لم تقولى ذلك من قبل . حمدا لله الذى نجاك فى الوقت

المناسب .. حقا يجب أن تعيشى أنت .. لطفلك .. أى جرم كنت ارتكبته لو أنى قتلتك وفى بطنك جنين ! ستعيشين .. وليتقدم زوجك ! ..

الزوج : (**مرتجفا من الهلع**) .. يا آنسة .. لا تقتلينى أنا .. لا تقتلينى ! .

الفتاة : (**وهى تصوب المسدس نحوه**) لا مفر من قتلك أنت .. لم يبق غيرك .. وقد رجحت كفة . وليس من المعقول ولا من المقبول أن تبقى أنت حياً .. وتموت زوجتك وهى حامل !

الزوج : إنها ليست حاملا .. إنها تكذب أقسم لك أنها تكذب ..

الفتاة : تكذب ؟ أأنت واثق من ذلك ؟ .

الزوج : أحلف بأغلظ الأيمان ، لقد أكد لها كل الأطباء أنها لا يمكن أن تأتى بأطفال ..

الزوجة : (**لزوجها**) يالك من وغد ؟ ..

الفتاة : (**للزوجة**) تكذبين هكذا لتنقذى حياتك ؟!

الزوجة : (**تشير إلى زوجها**) بل هو الذى يحتال لينقذ حياته !

الفتاة : يخيل إلىّ أنى سمعت من أمى أنك عاقر .. مهما يكن من أمر فقد أوقعتمانى فى الحيرة من جديد ... هأنذى لم أخط بعد خطوة .. وما من واحد منكما يريد أن يموت . أو يقبل أن يتقدم بدلا من الآخر . ماذا أصنع الآن ؟ لا بد من العمل السريع .. هل أطلق الرصاص فى اتجاهكما ولتصب النار منكما من تصيب ؟ .

(**ترفع المسدس وتصوبه نحوهما فيدرآن بأيديهما صائحين ...**)

الزوجة : لا .. لا .. لا تطلقى ..

الزوج : لا تطلقى . لا تطلقى ..

الفتاة : لا بد أن أطلق هكذا عليكما معا . إذن .. اتفقا فيما بينكما على وضع . من منكما يتطوع بتلقى الرصاصة عوضا عن صاحبه ؟ .

(الزوجان يصمتان ..)

الفتاة : (**بعد لحظة**) أمخيف الموت إلى هذا الحد ؟ ... أحلوة الحياة إلى هذا الحد ! تكلما .. لا تريدان الاتفاق ... اسمعا إذن .. ما رأيكما فى أن أجرى القرعة بينكما ؟ وليحكم الحظ وحده فيكما بما يرى .. أخرج من جيبك عملة صغيرة أيها الزوج . وليختر أحدكما وجها من وجهيها .... ولتلق العملة على هذه المنضدة فمن كانت له الصورة أنقذ ، ومن كان له الرقم قتل .

(الزوج يخرج من جيبه عملة صغيرة ...)

الزوج : أنا اخترت الصورة .. (**يهم بإلقاء العملة على المنضدة ...**)

الزوجة : (**تمسك بيده**) لا .. لا تلق أنت .. إنى الآن لا أثق بك ..

(يظهر عندئذ مندوب التأمين مطلا برأسه ، آتياً من جهة باب الشقة .. وينقر بأصابعه على باب القاعة منبها ...)

المندوب : لا مؤاخذة ! نسيت هنا قلمى « الأبنوس » ... وهو تذكار ثمين !

الزوجة : (**ترى المندوب فتصيح به**) الدكتور ... أنقذنا يا دكتور ! ..

المندوب : المريضة .. فوق .. بخير ! . اطمئنى ! ..

الزوجة : (**تغمزه مشيرة إلى الفتاة هامسة**) ها هى ..

الفتاة : (**ملوحة بالمسدس**) حضرته دكتور ؟ .. يا دكتور اجلس

بكل هدوء إلى جانب البك والست .. دون أن تجادل أو تناقش ! ..

المندوب : (**بخوف**) لا .. لا داعى للمناقشة ! ... (**يجلس حيث أشارت له الفتاة بالجلوس**) .

الفتاة : أنتم الآن ثلاثة .. لا اثنان .. وهذا قد يجعل المسألة بالنسبة إلّى أشد تعقيداً أو أكثر بساطة .. على كل حال سأنفض يدى .. وسأترك لكم أنتم اتخاذ القرار النهائى ...

المندوب : أى قرار نهائى ؟! .

الفتاة : واحد منكم أنتم الثلاثة يجب الآن أن يموت ..

المندوب : (**مذعوراً**) يا حفيظ ! .. (**يتلفت حوله** ...)

الفتاة : (**تلوح بالمسدس**) أى حركة فى ذاتها قرار ... وقد تريحنى وتعفينى من حيرة الاختيار ...

المندوب : (**يثبت فى كرسيه**) إنى تمثال من حجر ! ..

الفتاة : لا تحاولوا أن تضيعوا وقتا . ها أنذى أحذركم .. فقد تأتى لحظة لا أتمكن فيها من التحكم فى الموقف .. فأطلق النار على غير هدى .

الزوجة : (**هامسة بلا حراك**) يا دكتور .. أما من علاج ؟ .

المندوب : (**هامسا**) علاج لى أنا ؟ . أين هو ؟ ... دمى هرب ! ..

الزوجة : (**همسا بدون أن تتحرك**) أوَ تتركها تقتلنا هكذا يا دكتور ؟! ..

الزوج : (**بصوت عال**) إنه ليس بدكتور .. إنه مندوب شركة تأمين على الحياة ! .

الزوجة : ليس بدكتور ؟ .. حضرته ؟ ..

المندوب : (**للزوج همسا**) تذكر أن الست زوجتك لا يجب أن

تعلم ...

الزوج : (**بصوت مرتفع**) فلتعلم .. فلتعلم .. لم يبق هناك محل لأن نخفى عنها .. فكرة موتى لن تفزعها أو تفجعها أو تصيبها بمكروه !

الزوجة : (**للزوج**) وفكرة موتى .. هل هزت منك الآن شعرة . ! ..

الفتاة : (**صائحة فيهم**) وأخيرا .. وأخيرا ... إنكم تلعبون بالنار .. إنكم لا تقدرون أنى قد أخرج عن طورى وأرتكب عملا طائشا .. فيه فناؤكم جميعا ... قلت لكم أريد واحدا منكم فقط ... وعليكم أن تعينوه .. أنتم الآن ثلاثة .. حكموا فيكم الأغلبية .. كما يحدث فى المحاكم .. يكفى أن يتفق اثنان منكم على قرار ليصبح هو النافذ .. أسمعتم ... لن أقف منكم غير موقف المنفذ ... اثنان منكم يستطيعان أن يصدرا حكم الإعدام فى الثالث ... هلموا . تداولوا ... وانطقوا بالحكم . سريعا ... سريعا ..

(**الزوج والزوجة يتبادلان النظرات** ...)

الزوج : هذا معقول .

الزوجة : هذا عدل .

الزوج : (**يشير إلى نفسه وإلى زوجته**) نحن الاثنان متفقان ..

الزوجة : نعم ... أنا وزوجى من رأى واحد ..

الفتاة : حكمتما طبعا على .. (**تشير إلى المندوب**)

الزوج : (**ومعه زوجته فى صوت واحد**) نعم .

المندوب : (**صائحا**) حكما علىّ أنا . بماذا ..

الفتاة : (**وهى ترفع مسدسها**) بالموت .

المندوب : (**يرفع يديه صائحا متوسلا**) يا ست .. يا آنسة .. لا تطلقي .. لا تطلقي .. كلمة واحدة .. كلمة لا غير .

الفتاة : (**تتمهل**) ماذا تريد أن تقول ؟ ...

المندوب : (**وهو يتنفس**) فهموني .. من فضلكم .. ما هذا الحكم .. وما هذه المحكمة ... وما جنايتي ؟ .. أنا رجل مسكين ... مندوب تأمين ... جئت هنا أؤمن على الحياة .. فأجد أمامي الموت ؟!

الفتاة : لم يبق وقت لأقص عليك أنت أيضا القصة من جديد ... نعم .. أنت رجل مسكين ومندوب تأمين ...

المندوب : وزوج أمين .

الفتاة : وزوج أمين .

المندوب : ووالد أطفال صغار .

الفتاة : ووالد أطفال صغار تعولهم وتربيهم ... ولا جريمة لك ولا ذنب ... وما من سبب يدعو إلى قتلك .. ولم تسئ إليّ ... ولم أحمل لك أنا ضغنا .. كل هذا أعلمه علم اليقين .. ومع ذلك لا بدلي من أن أقتلك .

المندوب : يامغيث يا رب ! .

الفتاة : (**وهي ترفع المسدس**) هل عندك كلام آخر بعد ذلك ؟ .

المندوب : (**يرفع يديه**) انتظرى يا آنسة ... انتظرى .. لحظة .. لحظة أخرى .

الفتاة : تفضل .. إنى كما ترى هادئة الأعصاب إلى حد أحسد عليه .. تكلم .

المندوب : افرضى يا آنستى أنى لم أحضر الآن .. ولم يرجعنى إلى هنا قلمى الأبنوس النحس ... ماذا كنت ستصنعين ؟ ..

الفتاة : كنت سأقتل أحد هذين الزوجين ..

المندوب : اجعلى إذن أنى غير موجود ... وامضى فى إجراءاتك السابقة ..

الفتاة : هذا غير ممكن .. لأنك موجود بالفعل وصدر عليك حكم الأغلبية .

المندوب : الأغلبية ؟! .. إن هذه الزوجة لا تدرى ما ينفعها .. لو أنها عرفت مصلحتها لحكمت معى ضد هذا الزوج .. فإنها بمجرد موته تقبض ألفين من الجنيهات ..

الزوج : أيها المندوب .. لاتلجأ إلى هذا الإغراء الوضيع ! . إنك فى قرارة نفسك تتمنى موت الزوجة ... لأن شركتك تكسب بذلك كل ما دفعت أنا من قسط .. ولا بد أن يكون لك من وراء ذلك عمولة ..

الفتاة : (**صائحة**) كفى .. كفى .. لقد ضقت بهذا الجدل .. اريد التنفيذ .. أريد العمل .. أريد أن أقتل .. تقدم أيها المندوب ! .

المندوب : يا آنستى .. رحماك .. أقبل قدميك .. لا تقتلينى بهذه السرعة .. أبقى على دقيقة .. ألا تعرفين الرحمة ؟ .

الفتاة : أعرف الرحمة .. ولطالما غمرت قلبى ..

المندوب : ألا تعرفين الله ؟ ..

الفتاة : أعرف الله .. ولطالما صمت له وصليت ..

المندوب : ألا تعرفين الحب ؟ .

الفتاة : الحب ؟! . ماذا تعنى ؟ .

المندوب : الحب .. أعنى الحب .. الذى يجعلك تعيشين . وتدركين للحياة معنى نابضا راقصا .. ذلك الحب شعرت به عندما

رأيت زوجتى أول مرة وهى فتاة .. خيل إلىّ يومئذ أنى أحيا لأول مرة ... وأن كل شىء ألمسه يحيا تحت لمساتى ... وكل منظر أراه يحيا تحت نظراتى .. الحب ذلك الشعور الذى يحيى الأشياء والأشخاص .

الفتاة : ما هذا الكلام؟.. إنى ما سمحت لنفسى قط، وما سمحت لى أمى أن أجعل لمثل هذه العواطف مكانا فى قلبى ... إنى لم أزل فى الثامنة عشرة من عمرى ... ومنذ الصغر وأمى تحذرنى من هذا الشعور الأثيم الذى تجرؤ أنت فتطريه هذا الإطراء .

المندوب : آه .. لقد قتلت فيك حب الحياة .. فحل فيك حب الموت ..

الفتاة : احتفظ بهذه الأفكار لنفسك .. لست أنت على كل حال من يقدر أن يرى ماتنطوى عليه نفسى . منذا الذى يستطيع أن يعرف حقيقة ما يحب ومدى ما يحب .. إليك زوجين هما مثال الإخلاص والوفاء .. طالما لمحت ذلك منهما بعينى وسمعت من أمى ..

الزوجة : أوَ كان يدور بخاطرى أن زوجى يخدعنى هذا الخداع ؟!

الزوج : أأنا الذى خدعك أم أنت التى خدعتنى ؟!

الفتاة : ما من واحد منكما خدع صاحبه .. إنما كان كل واحد منكما يخدع نفسه ! .. أو نفسه هى التى تخدعه .. لأنه ما من إنسان هبط إلى قاع نفسه ليرى ما فيها .. هذا البحر ذو الوجه الصافى الذى تختلط فى جوفه الرمال بالأعشاب والصخور بالأسماك واللآلئ بالعقارب .. هكذا قال لى الطبيب الذى ذهبت إليه هذا الصباح ...

الزوجة : أو ذهبت إلى طبيب هذا الصباح ؟ ..

الفتاة : نعم .. طبيبٌ من أبرع الأطباء فى الحالات النفسية .. لم أربداً من أن أستشيره اليوم .. دون أن أخبر أحداً ، حتى ولا أمى .. لقد استشرته فى أمر هذا الصوت الداخلى الذى يأمرنى بالقتل ..

الزوجة : وبماذا أشار عليك ؟ .

الفتاة : أشار علىّ بأن أطيع الصوت .. ولا أخالفه ولا أكبته .. وأن أقتل .. .

المندوب : (**صائحا**) قال لك اقتلى ؟! .

الفتاة : قال إذا قتلت فإنك تشعرين فى الحال بأنك استرحت .. وأعطانى هذا المسدس ...

المندوب : أعطاك المسدس وقال لك اقتلى ؟! . هكذا بكل بساطة ؟! كما لو أعطاك برشامة « أسبرين » وقال لك اشربى ؟! .

الفتاة : لقد أكد لى أن هذا هو الدواء .. ولا يجوز لى أن أهمل تعليمات الطبيب .. ويحسن بك أن تساعدنى على الشفاء ... لأقدر لك هذه الخدمة فيما بعد .. تقدم ! . (**تصوب مسدسها نحوه** ...)

المندوب : (**فى ذهول**) فيما بعد ؟! .. أين ؟ .. ومتى ؟ . وأنت تخطفين الآن روحى ! . (**يفيق ويصيح**) لا تصوبى نحوى . انتظرى .. انتظرى ..

الفتاة : انتظرت أكثر مما يجب .. أريد أن أستريح .. أريد أن أستريح .. أن أتعاطى الدواء ...

المندوب : تتعاطين الدواء ! ..

الفتاة : نعم .. وبسرعة .. وأرجو أن تتلطف معى وترفق بى ... ولا تؤخرنى عن مباشرة العلاج ..

المندوب : ارحمونى يا ناس ! .. سأجن قبل أن أموت ! .. تريد منى أن أترفق بها ، لتطلق رصاصها فى صدرى ! ..

الفتاة : نعم .. ترفق بى وأرحنى ... أرحنى .. عالجنى .. امنحنى الراحة والشفاء .

المندوب : (**صائحا**) بموتى .. بدمى ..

الفتاة : وأى غرابة فى ذلك ؟! . إن دماء البعض علاج للبعض .. وليس هذا بالشيء الجديد تحت الشمس ! .. أرجوك أن تتقدم خطوة حتى لا تصيب الرصاصة غيرك .. إنى سأطلق .. (**تصوب المسدس**) .

المندوب : (**صائحا بفزع**) يا آنسة .. ارحمينى .. ارحمى الأيتام ! .. (**يسرع إلى الزوجين فيلتصق بهما**) .

الزوج : (**يدفعه عنه**) ابعد عنا .. ابعد ..

المندوب : (**يتشبث به**) أبعد عنك الآن .. وأنت سبب المصيبة يا زبون الشؤم !

الزوج : (**يحاول التخلص**) اتركنى .. اتركنى ..

المندوب : (**يستميت فى التشبث به**) لن أتركك أبدا .. فلنمت معا .. لن أموت وحدى .. ماذنبى أدخل بيتك لأؤمن عليك .. فإذا أنت الزبون تعيش ... وإذا أنا المندوب غير المؤمن عليه أموت ؟!

الزوج : (**لزوجته**) خلصينى ... خلصينى منه ! ..

الزوجة : كيف أخلصك .. وذراعاه قد ماتتا عليك ! .

الزوج : حاولى .. ابذلى مجهودا ! .. لا تقفى هكذا تشاهدين ! . (**يتماسكون جميعا**)

الفتاة : (**وهى تراقبهم**) آه .. المسألة قد تعقدت فيما أرى .. وقتى

ضيق وأنفاسى تكاد تقف .. أشعر أنى أختنق .. لا .. لا بد من العمل حالا .. لأستعيد تنفسى .. لن أموت من أجلكم .. ولا من أجل أحد .. تماسكتم وأصبحتم كتلة ... ربما كان فى ذلك انفراج العقدة .. سأطلق رصاصة واحدة على كتلة أجسامكم المتلاصقة .. ولتصب منكم من تصيب .. كل وحظه ... هأنذى أقتل واحداً من بينكم .. أى واحد .. أقتل .. أقتل .. أقتل .

(تقول هذه الكلمة من بين أسنانها وتلمع عيناها ببريق عجيب .. وتطلق عيارا ناريا ، يدوى فى القاعة ، على الثلاثة وهم متكتلون يتدافعون .)

الثلاثة : **(يسقطون على الأرض صائحين)** قتلتنا ..

الفتاة : **(تتجه إليهم)** من منكم الذى أصيب ؟ ..

الزوجة : **(صائحة)** أنا ... أنا مت ..

الزوج : **(صائحا)** أنا توفيت .

المندوب : **(صائحا)** أنا انتقلت إلى رحمة الله ! .

الفتاة : مستحيل .. مستحيل أن تموتوا جميعا .. أنتم الثلاثة من رصاصة واحدة ! . فيكم اثنان على الأقل فى صحة جيدة .. انهضوا لأرى .. واحد من بينكم فقط هو الذى أصيب ..

(الثلاثة ينهضون على أقدامهم .. وهم يجسون أعضاءهم فاحصين ..)

الفتاة : **(وهى تنظر إليهم)** ما هذا السواد فى وجوهكم وعلى ثيابكم ؟! ..

المندوب : « هباب » بارود ! .

الفتاة : والرصاصة ؟ .. أين الرصاصة ؟ .. من منكم استقرت فيه الرصاصة .

الزوج : (**وهو يفحص جسمه ويبحث فى جيوبه**) أوَ تلقين علينا أيضا عبء البحث عن رصاصتك ؟!

الفتاة : هذا لا يحتاج إلى بحث .. أما من دم سال من أحدكم ؟ .

الزوجة : (**وهى تمسح عرقها**) وهل بعد كل هذا يبقى فى أحدنا قطرة دم!..

(المندوب يتناول المسدس حيث كانت قد وضعته الفتاة على المنضدة بعد الطلقة .. ويفحصه ويصيح ...)

المندوب : المسدس لم يكن محشواً بغير البارود ! .

الفتاة : (**تلتفت نحوه**) أأنت واثق ؟ ..

المندوب : (**قدم إليها المسدس**) خذى وانظرى بنفسك !.

الفتاة : هذا إذن تدبير من الطبيب . مهما يكن من أمر فإنى أشعر حقا أني استرحت .. وكأن كابوسا انزاح عنى ..

المندوب : وعنى أنا أيضا .. اسمحى لى يا آنسة بالانصراف .. توبة إلى الله ! .. لن أدخل هذا البيت ... قبل أن أؤمن على حياتى لمصلحة الأولاد ! .

(يحمل حقيبته الصغيرة .. ويلتقط قلمه الأبنوس الذى . كان قد نسيه فوق المنضدة .. ويخرج بسرعة ...)

الفتاة : (**للزوجين**) آسفة .. أزعجتكما كثيرا .. اعذرانى وافهما حالتى .. إنى على كل حال شاكرة لكما أجزل الشكر .. لقد استرحت حقاً بعد أن أطلقت النار .. واعتقدت أنى قتلت ..

(تشير بالتحية وتتحرك منصرفة بينما تتجه الزوجة مطرقة إلى باب حجرتها على اليمين دون أن تنظر إلى زوجها .)

الزوج : (**للفتاة المنصرفة**) لقد قتلت سعادتنا الزوجية !..

(ستار)



من وحي الحركة النسوية

النائبة المحترمة

تمثيلية في منظرين

(بين يوم وليلة)

(**حجرة طفل فى الرابعة من عمره .. وهو جالس فى سريره الصغير ، بملابس النوم .. وإلى جانبه أبوه .. على مقعده .. فى ثياب البيت .. والساعة تدق التاسعة مساء ...**)

الطفل : كم دقت الساعة يا بابا ؟

الأب : التاسعة .. موعد نومك فات .. ياميمى . يجب أن تنام فى الحال .

الطفل : لا أريد أن أنام الآن .

الأب : يجب أن تنام .. أغمض عينيك ..

الطفل : ليس فى عينى نوم .

الأب : (**نافد الصبر**) وما العمل ؟ ..

الطفل : لماذا تريد منى أن أنام ؟

الأب : لأنى لا أستطيع أن أبقى بجوارك طول الليل .. ألم تر المحفظة الكبيرة التى جئت بها اليوم ؟ ..

الطفل : ماذا فيها ؟ .

الأب : أوراق .. عمل مصلحى . لا بد من إنجازه .. نم . أرجوك . هل تحبنى ؟ .

الطفل : نعم .

الأب : كثيراً ؟ .

الطفل : كثيراً جداً .. أكثر من براغيت الست ! .

الأب : (**مأخوذاً**) براغيت الست ! .

الطفل : نعم .. ألا تعرفها ؟ إنها أصغر من « البونبون » الذى تحضره لى .. لكنى أحبها أكثر من «البونبون». أتعرف من أين أشتريها؟.. من الرجل الذى يسير بالعربة أمام البيت ، وينفخ فى النفير ..

الأب : (**كالمخاطب نفسه**) أهذه الحلوى نظيفة ؟ .

الطفل : نعم .. أتريد أن تذوق منها ؟ .

(**يحاول النزول من سريره ... فيمنعه الأب برفق ...**)

الأب : ابق فى سريرك ابق .. كل ما أريد منك هو أن تنام ..

الطفل : تريد أن أنام ؟

الأب : (**بعجلة ورجاء**) نعم يا ميمى .

الطفل : قص على حكاية .. وأنا أنام .. هكذا تفعل ماما .. أين ماما الليلة ؟ .

الأب : (**بغير انتباه**) فى البرلمان .

الطفل : ما هذا ؟

الأب : لن تفهم الآن ما هو ... عندما تكبر ستعرف ..

الطفل : أريد أن أعرف الآن .

الأب : سلها هى عندما تحضر .

الطفل : ومتى ستحضر ؟ .

الأب : (**كالمخاطب نفسه**) الله أعلم متى ستحضر .. هذا يتوقف على جدول الأعمال .

الطفل : ماذا تقول يا بابا ؟ ...

الأب : لا شىء .. لا شىء .

الطفل : ربما كانت ماما فى السينما .. ذهبت بدونى .. لترى الفيل وخرطومه الذى يحمل به الأشياء .. والببغاء ذات الألوان الحمراء والخضراء والصفراء .. لقد أخذتنى مرة .. فرأيت كل ذلك . ولكن الببغاء لم تكن فى السينما ، محبوسة فى القفص .. كما رأيتها فى حديقة الحيوانات .. بل كانت منطلقة فى مكان واسع به أشجار .. نعم رأيتها كذلك فى السينما .. ولكنى نمت بعد ذلك . و لم أشاهد ماذا جرى .

الأب : نم الآن أيضا يا ميمى أرجوك ! ..

الطفل : قص على الحكاية أولا ..

الأب : (**فى حيرة**) أى حكاية ؟

الطفل : الحكاية التى تعرفها ماما ..

الأب : لا أعرفها .

الطفل : وماذا تعرف إذن ؟

الأب : (**فى يأس**) لا أعرف شيئا ..

(التليفون يرن فى الخارج ... وهو ذو حبل طويل ... فلا يلبث الخادم أن يظهر وهو يحمله إلى رب البيت ...)..

الخادم : الست فى التليفون !

(ويسلم السماعة لسيده ... ويضع آلة التليفون على منضدة ويخرج ...)

الأب : آلو .. نعم يا عزيزتى .. ميمى لا يزال مستيقظا .. لا يريد النوم بدون حكاية .. ماذا تقولين ؟ . أنا أقص عليه ؟؟ حكاية الفيل والببغاء ؟! لا أعرفها .. ماذا ؟أخترع له ؟ربنا يقدرنى ! . وأنت ؟أين أنت الآن ؟ فى البهو الفرعونى ! شيء جميل جداً .. فى الاستراحة .. مفهوم ! ومتى تحضرين ؟ . لا تعرفين بالضبط .. مناقشة ميزانية وزارة الأشغال . ماذا إذن ؟ . آه .. استجواب عن مشروع تعلية خزان جبل الأولياء ! .. طبعاً .. طبعاً .. معلوماتك الفنية ضرورية جداً فى هذا الموضوع .. أفندم ؟. أخرس ؟؟ . خرست وقطعت لسانى ! .

(يضع السماعة بكل هدوء ...)

الطفل : (**مشيراً إلى التليفون**) هذه ماما .؟

الأب : هى بعينها ..

الطفل : ماذا كانت تقول لك ؟

الأب : قالت لى أن أقص عليك حكاية الفيل والببغاء ..

الطفل : نعم . نعم .. قص على هذه الحكاية ..

الأب : إنها حكاية طويلة إذا داعب جفنك النوم ، وأنا أحكيها فنم ..

الطفل : ابدأ من أولها ..

الأب : (**محاولا أن يهيئه للنوم**) ضع أولا رأسك على الوسادة ! . وأغلق عينيك نصف إغلاق .. هكذا (**يعطيه المثل**) ..

الطفل : (**يقلده**) هكذا ؟

الأب : نعم هكذا .. وإياك أن تتكلم أنت .. دعنى أنا أحك .

الطفل : احك يا بابا ..

الأب : تريد حكاية عن الفيل والببغاء حكاية جديدة طبعاً .. آه يا ربى ! . ماذا أقول له .. كان هنا فيل . فيل له خرطوم ..

الطفل : كل فيل له خرطوم يا بابا .

الأب : طبعاً .. طبعاً .. هذا ما أقصد .. ألم أوصك أن لا تتكلم أنت ؟ .. أغمض عينيك قليلا .. نعم هكذا .. كان الفيل يمشى فى طريق متسع به أشجار .. وكانت هناك شجرة عظيمة .. وكانت تحت الشجرة ببغاء حمراء خضراء صفراء . تريد أن تثرثر .. وأن تظهر فصاحتها ... فلما رأت الفيل فرحت وقالت له : « سعدت صباحا أيها الفيل ماذا جئت تصنع ها هنا ؟ . »

فقال لها الفيل من فوق الشجرة : « جئت أبحث عن الماء ... »

الطفل : (**مقاطعا**) وكيف يكون الفيل فوق الشجرة ؟!

الأب : أنا قلت ذلك ؟

الطفل : نعم .. ألم تقل الآن إن الفيل قال لها من فوق الشجرة : « جئت أبحث عن الماء » ؟!

الأب : أقصد أنه قال لها من تحت الشجرة ..

الطفل : وأين كانت الببغاء إذن ؟ ..

الأب : ماذا قلت أنا ..

الطفل : قلت يا بابا إنها كانت فوق الشجرة .

الأب : لا .. أبداً .. أقصد أنها كانت فوق الشجرة .

الطفل : وبعد . ماذا حصل .

الأب : أغمض عينيك .أغمض عينيك .

الطفل : ماذا حصل للفيل ؟

الأب : لم يحصل له شيء .. أقصد أنه جعل يبحث عن الماء فوجد بحيرة كبيرة .. فيها تمساح .. فلما مد خرطومه ليشرب من البحيرة أمسك التمساح بالخرطوم بين فكيه .. فقال له الفيل : « ماذا تريد ؟ »

فقال التمساح : « أمنعك من شرب الماء ... » فقال الفيل : ولماذا تمنعنى ؟ » .. فقال التمساح : « لأن البحيرة ملكى » .. فقال الفيل : « وأنا من أين أشرب ؟ » فقال له التمساح : اشرب من البحر ! » فقال : « أين البحر ؟ .. » فقال له : ابحث عنه .. » فمشى الفيل .. ومشى .. ومشى .. ومشى .. (**ينظر فى وجه طفله ويسكت**) الحمد لله (**هامساً**) دب النوم فى عينيه .

الطفل : وبعد أن مشى .. ماذا حصل ؟

الأب : أعوذ بالله ! .. ألم تزل مستيقظا ؟! .

الطفل : نعم .. احك لى ما الذى حصل . بعد أن مشى الفيل ؟ ..

الأب : مشى .. ومشى .. ومشى . فوجد شيئا يلمع من بعيد .. فقال (وهذا هو البحر وهذه أمواجه تلمع فى الشمس) فمشى أيضا .. ومشى .. ومشى آه (**يتثاءب**)

الطفل : إنك تتثاءب يا بابا .. أستنام ؟!

الأب : لا ..

الطفل : إياك أن تنام قبل أن تقول لى ماذا وجد الفيل ؟ .

الأب : لم يجد شيئا ..

الطفل : والبحر ؟ ..

الأب : لم يكن هناك بحر ..

الطفل : وما هذا الشيء الذى كان يلمع ؟ .

الأب : سراب .

الطفل : سراب ؟ .. ما هذا ؟ ماذا يعنى ..

الأب : عندما تكبر تعرف . (**يتثاءب**) ..

الطفل : عدت تتثاءب يا بابا . أريد أن أعرف ماذا صنع الفيل ..

الأب : مشى عائدا .. مشى ومشى .. ومشى .

الطفل : ولماذا يمشى مرة ثانية ..

الأب : لأنه يجب أن يمشى ... ويمشى .. ويمشى .

الطفل : ليقابل التمساح .

الأب : (**وهو يغالب النعاس**) نعم .

الطفل : ليسأله عن الماء ..

الأب : طبعا ...

الطفل : والببغاء ... ماذا حصل لها ...

الأب : الببغاء أى ببغاء .

الطفل : أنسيتها !؟ ..

الأب : آه .. حقا .. الببغاء .. نسيناها ..

الطفل : إنك تنام يا بابا ...

الأب : لا ... أبداً .. الببغاء حقيقة ..

الطفل : أين هى ..

الأب : هناك ...

الطفل : هناك أين ..

الأب : (**ناعسا**) فى .. البرلمان .

الطفل : البرلمان . !

(**يفتح الباب .. وتدخل الأم بسرعة .. وهى تلهث ...**)

الأم : (**مندفعة نحو الطفل**) ميمى ! ... ألم تزل مستيقظا حتى الآن ؟! ..

الطفل : نعم يا ماما ... (**يشير إلى أبيه**) بابا هو الذى نام ! ..

الأم : (**تلتفت إلى زوجها**) ما شاء الله ! (**تصيح به**) : عبد السلام عبد السلام ! ..

الأب : (**يتنبه فجأة**) ماذا ؟ . ماذا حصل ؟ .

الأم : قلت لك أن تنيم طفلك . لا أن تنام أنت ! ..

الطفل : حكى لى يا ماما حكاية « بايخه » لم تنمنى ..

الأم : أنامته هو طبعا ! ..

الطفل : قال لى يا ماما إن الببغاء فى البرلمان .. أين هذا البرلمان يا ماما ..

لأم : (**وهى ناظرة إلى زوجها**) أهو قال لك ذلك ؟! .

لأب : يا للمصيبة ! .. أأنا قلت ذلك ؟ ..

لأم : (**وهى ترقد الطفل فى فراشه**) لا بأس ! .. نم الآن يا ميمى .. إذا كنت تحب ماما .. (**تجس رأسه**) جبينه ملتهب ! . الولد عنده حرارة ! .

الأب : حرارة . ! .

الأم : الترمومتر بسرعة ! . كان يجب أن تدرك ذلك ..

الأب : كيف يخطر لى هذا أيضا . !

الأم : إنه مستيقظ إلى الآن من أثر الحمى .. والقلق ... والأرق ..

الأب : (**كالمخاطب نفسه**) الحمى .. لا بد أنها نتيجة براغيث الست ! .

الأم : ماذا تقول ..

الأب : لا شيء ... الترمومتر . أين هو الترمومتر . !

لأم : (**مشيرة إلى خزانة ملابس الطفل**) فى هذا « الدولاب » ابحث ف

الرف الأعلى .

(**التليفون يرن ... يسرع الأب إليه ويتناول السماعة ...**)

الأب : ألو ! من ؟ .. معالى وزير الأشغال ؟ ... موجودة يا افندم ! .. (**يقول لزوجته هامسا باحترام :**) معالى الوزير طالبك فى التليفون ! ..

الأم : ماذا يريد ؟ . الاستجواب تأجل إلى جلسة الغد .. (**تتناول السماعة**) معالى الباشا ؟ . الآن ؟ . بعد ربع ساعة ؟ . أمر خطير . ألا يمكن تأجيل المقابلة للصباح ؟ . خمس دقائق فقط .. وهو كذلك . أنا فى الانتظار ..

الأب : (**باهتمام**) سيأتى هنا الآن . لا بأس .. دعى لى ميمى .. واذهبى أنت لمشاغل الدولة ! ..

(**ستار**)

المنظر الثانى

(**حجرة الاستقبال وفى نفس الليلة بعد نحو ربع ساعة يدخل الوزير فتستقبله النائبة وزوجها .**)

النائبة : (**وهى تقود الوزير إلى مقعد وثير**) تفضل هنا يا باشا ..

الوزير : أخشى أن أكون قد أزعجتك .. ولكن الضرورة ..

الزوج : (**وقد ارتدى ملابس الخارج كاملة لاستقبال الوزير**) معاليك شرفت منزلنا الليلة ! .

الوزير : (**سائلا النائبة**) حضرته . ؟

النائبة : زوجى .. عبد السلام حموده .. مهندس بمصلحة الطرق والكبارى ...

الزوج : مهندس منسى .. منذ عشر سنوات يا معالى الوزير !

النائبة : عبد السلام .. اطلب قهوة للباشا ..

الزوج : حالا ..

(**يخرج مسرعا ...**)

الوزير : لماذا لم تخبرينى أن زوجك فى مصلحة تابعة لى ؟

النائبة : وما الداعى أن أخبرك ؟

الوزير : أمرك .

النائبة : الاستجواب تأجل .. فما هو الأمر الخطير يا ترى ...

الوزير : هذا الأمر الخطير هو ..

الزوج : (**يدخل**) حالا تأتى القهوة .. (**يجلس**) ..

الوزير : (**وهو يراه قد جلس**) لم تسألنى كيف أريدها ؟

الزوج : سكر مضبوط .

الوزير : سادة من فضلك .

الزوج : (**ناهضا**) لحظة واحدة ! .. (**يخرج مسرعا**)

الوزير : (**للنائبة فى شبه همس**) أنا الذى أريد لحظة واحدة .. أحادثك فيها على انفراد ... أسرار السياسة العليا لا يصح أن تقال أمام صغار الموظفين ! ..

النائبة : إنى مصغية .

الزوج : (**يدخل**) من حسن الحظ أن البنت الخدامة لم تكن وضعت السكر بعد .

(**يريد أن يجلس ...**)

النائبة : أرجوك يا عبد السلام أن تلاحظ ميمى .. وأن تعطيه نصف قرص أسبرو .

النائبة : (**ناهضا**) وهو كذلك ..

(**يخرج متباطئا ....**)

النائبة : (**للوزير**) إنى مصغية .

الوزير : الموضوع بالاختصار أن الاستجواب يجب أن يسحب من المجلس غدا .

النائبة : لماذا ؟ ..

الوزير : لأنه مجرد مناورة سياسية من المعارضة ..

النائبة : لأنه محرج لمركز الوزارة .

الوزير : لأن المعارضة تستغله لا للمصلحة العامة ... بل للتشنيع .

النائبة : هل أنت متأكد أن مشروع تعلية الخزان ؛ وما سيتكلفه من ملايين . ليس فيه غبن للمصلحة العامة ..

الوزير : ثقى أن رفع منسوب المياه نصف متر فقط ... تفهمين طبعا فى الهندسة ..

النائبة : لا .. بكل أسف ... زوجى هو المهندس .

الوزير : آه .. ولكنك أنت المختصة بالمناقشة فى المشروعات الهندسية ! .

النائبة : شعورى العميق هو أن هذا المشروع على هذا الوضع ليس فى مصلحة البلد ...

الوزير : الشعور العميق لا يكفى يا سيدتى ... لقد بحثت المشروع لجنة فنية لايرقى الشك إلى كفاءتها وخبرتها ...

النائبة : ولكن الحزب الذى أنتمى إليه يعارض هذا المشروع .

الوزير : نعم ... مع الأسف ! .

النائبة : ماذا تنتظر منى إذن أن أصنع ..

الوزير : أن تساعدينا على سحب الاستجواب ...

النائبة : وأخون حزبى .. ! .

الوزير : ليس فى الأمر خيانة على الإطلاق .. إنك تقومين بعمل شخصى .. وتتوسطين بصفتك الخاصة .. لقد أدت لنا مثل ذلك وأكثر منه وأصعب ، كثيرات من حزبك .. زميلتك الشقراء نائبة ..

النائبة : نائبة كرموز ..

الوزير : نعم .. وزميلتك النائبة المحترمة الأخرى التى تضع دائما فى شعرها مشط نيلون بنفسجى مسخسخ ..

النائبة : نائبة شبرا العنب ..

الوزير : نعم .. نعم .. المسألة فى غاية البساطة . هذا النائب الذى قدم الاستجواب .. يحاول دائما أن يجلس فى الصف الذى تجلسين فيه ... ويبدى الاهتمام دائما بكل ما تقولين .. وليس غيرك يستطيع أن يقنعه بسحب استجوابه ...

النائبة : كيف أقنعه .. ؟

الوزير : بابتسامة ...

النائبة : (**ثائرة**) ما هذا الذى تقول يا باشا . ! إنك تهيننى فى بيتى .

الوزير : معاذ الله ! . معاذ الله ! إنى ما قصدت قط إهانة .. ولكنه اقتراح صغير . تقدمت به إلى مروءتك ، خدمة للمصلحة العامة ..

النائبة : المصلحة العامة .. المصلحة العامة ... أهكذا تخدم المصلحة العامة . ! وإذا كنت تعتقد حقا أيها الوزير أن فى مشروعك مصلحة عامة ، فلماذا تخشى هذا الاستجواب . !

الوزير : لأن .. لأن الغرض منه غير شريف ..

النائبة : ولماذا لا تكون أنت شريفا بكشف الأوراق وإعلان الحقائق . ! .

الوزير : سرية المشروع ضرورية للتنفيذ .

النائبة : الحكومة التى تخفى عن البرلمان مثل هذه الأسرار ، كالزوجة التى تخفى عن زوجها ما يجب أن يعرف عن حقيقة سلوكها وتصرفها ...

الوزير : منطق نسائى .. لا منطق سياسى ! ..

النائبة : هذا ما أعتقد ... وهذا ما يجب ! ..

الوزير : ثقى أن الحكومة لا تخون زوجها البرلمان ... بإخفائها عنه تفاصيل بعض الإجراءات .. أنت مثلا .. وكلنا يعرف أنك زوجة نموذجية . ألم تخفى عن زوجك شيئا قط ..

النائبة : لم أخف عنه قط شيئا يجب أن يعلمه ..

الوزير : « برافو » !

النائبة : والآن .. هذا هو كل موقفى مما تريد .. ولا تنتظر منى أبداً أن أغير هذا الموقف .

الوزير : وزوجك ..

النائبة : ما شأن زوجى ! .

الوزير : مهندس منسى فى مصلحة الطرق والكبارى ..

النائبة : نعم .

الوزير : فى أى درجة .

النائبة : فى الدرجة الخامسة .

الوزير : فقط ! .. منذ عشر سنوات .. هذا وضع غريب .. هذا ظلم .. عشر سنوات منسى فى مصلحة الطرق . ! . فى أى طريق من هذه الطرق نسوه . ! وأنت كيف تسكتين عن المطالبة بحقه .. وأنت امرأة عمو .. لا مؤاخذة .. امرأة مشتغلة بالسياسة العامة ! ..

النائبة : وماذا أستطيع أن أصنع له ..

الوزير : تستطيعين كثيرا .. ولكنك لا تعرفين ولا تريدين ..

النائبة : لا أريد أن أعرف إلا الإخلاص لمبدئ ..

الوزير : إن المرأة لا تستطيع أن تخلص لمبدأ .. بل تستطيع أن تخلص لشخص ! .

النائبة : ليس هذا رأيك وحدك .. إنه رأى الرجال جميعاً .. ورأى الدنيا منذ خلقت .. وهذا هو الذى يجعلنى أحرص على مسلكى هذا .. إلى حد العنف أحيانا والصرامة والتعصب ..

الوزير : وما فائدة ذلك .. ما دمت بمفردك .. ! إن غيرك من النائبات المحترمات لهن ، كما تعرفين ، أشياء أخرى يخلصن لها .

النائبة : ماذا تعنى ..

الوزير : أنسيت المشروع الذى اقترحن فيه تخفيض الضريبة الجمركية عن الأحمر والأبيض وأصابع « الروج » للشفاه ، وأدوات الزينة . والجوارب الحريرية . والأقمشة النسائية . !

النائبة : لقد عارضت أنا هذا المشروع ...

الوزير : لأنك شاذة فى تفكيرك .

النائبة : ألست على حق ؟! .

الوزير : لا .. لست على حق .. إنك تأخذين صفتك النيابية على سبيل الجد ، أكثر من اللازم .. هذا حقا عيب المرأة ، عندما تخلص مرة لشىء ،

فإنها تتطرف وتتعصب .. لا تنسى أن لأسرتك ولزوجك عليك حقوقا .. إن المصلحة لن تمس منها شعرة ، إذا فكرت قليلا فى مستقبل زوجك . هذا الضال التائه فى « الطرق والكبارى » ... إنه فى حاجة إلى « كوبرى » يصل به إلى الدرجة الرابعة والثالثة . وفى يدك أنت هذا الكوبرى ...

النائبة : فى يدى أنا ؟! .

الوزير : الكوبرى الذى يوصله إلى الدرجة الثالثة مباشرة .. إن مجلس الوزراء ، وأنا أعطيك عهداً بلسانه الآن .. يستطيع أن يسوى حالة زوجك فى الجلسة القادمة بدون تأخير ..

النائبة : مفهوم .. إذا ساعدتكم على سحب الاستجواب ! ...

الوزير : إن الذكاء لا ينقصك ..

النائبة : مرفوض ! ..

الوزير : ترفضين ؟! .

النائبة : أرفض .

الوزير : نهائيا ؟!

النائبة : نهائيا .

الوزير : (**ناهضا**) ماذا كنت قبل انتخابك ؟ .. مدرسة .. كما بلغنى ... فى التعليم الثانوى .. نعم .. إنك لا تعرفين الدنيا .. لم تعيشى إلا بين جدران المدارس . تحسبين البرلمان جدران مدرسة . لن يكون لك مستقبل فى السياسة ولا فى الحياة العامة .. إنى لأبشرك من الآن ! . أرجو أن تصبحى على خير ...

النائبة : أشكرك ! ..

الوزير : (**على عتبة الباب**) إذا غيرت رأيك ، فأخبرينى .. فى أى ساعة ! .

(**يخرج الوزير .. وتشيعه النائبة .. ثم تعود وترتمى على مقعد وتضع**

رأسها فى كفيها .. ويدخل الزوج من باب آخر يحمل صينية القهوة ....)

الزوج : (**يبحث بعينيه فى القاعة**) أين معالى الوزير ؟ .

الزوجة: (**وهى فى إطراقها**) انصرف .

الزوج : والقهوة ؟ .

الزوجة: اشربها أنت ..

الزوج : أشربها أنا . ! .

الزوجة: (**ثائرة الأعصاب**) نعم .. اشربها أنت .. اشربها أنت ..

الزوج : طبعا .. أنا الذى أشربها .. من غيرى .. لأنها « سادة » .. مرة .. سوداء .. كحياتى وحظى وأيامى ..

الزوجة: (**تلتفت إليه**) لا تنتظر منى أنا أن أضع السكر فى حياتك ..

الزوج : (**بإذعان**) لا يا سيدتى لقد طرحت من رأسى هذا الأمل .. منذ زمن .

(**صمت** ...)

الزوجة: (**كالمخاطبة نفسها**) إن هذا السكر باهظ الثمن ! ..

الزوج : ماذا تقولين ؟

الزوجة: لا شىء .. (**صمت** ...)

الزوج : لو كنت على الأقل تحادثيننى مليا فى أعمالك وما يشغل بالك ! ...

الزوجة: ماذا أقول لك . ! . إنك لا تفهم شيئا فى السياسة ! .

الزوج : طبعا .. لست أفهم شيئا إلا أن أقوم بعمل المرضعة للولد بالليل .. وبعمل كناس نظيف فى مصلحة الطرق بالنهار .. أما حضرتك ...

الزوجة: حضرتى ...

الزوج : تقومين بمناقشة الوزراء والحكام .. والمداولة فى تصميمات المشروعات والخزانات ..

الزوجة: ألن تكف عن هذه السخرية بى ..

الزوج : لست أسخر بك .. بل بنفسى ! ..

الزوجة: ومن الذى قال لميمى إنى ببغاء فى البرلمان ..

الزوج : لعله لفظ خرج من فمى وأنا نعسان ..

الزوجة: بل هذا رأيك دائما ، أعرف جيداً ، من يوم ترشيحى للانتخابات .

الزوج : رأيى .. أنا حر فى رأيى .

الزوجة: دائما كنت تقول ذلك متهكما : المرأة فى البرلمان .. ببغاء فى قفص ستحفظ كلمات مما يلوكه رجال السياسة ، كى ترددها ، وهى فى ريشها الأحمر والأخضر والأصفر .. من ثياب الموسم آخر « موضة » ! ألم تقل ذلك ... ولكنك لم تستطع التنبؤ بالمتاعب التى ستتعرض لها النائبة المحترمة حقا .. تلك الشباك من المغريات ، التى تنصب لها ، لتكون ألعوبة فى أيدى الحكومات ! ... الكل يعتقد أن النساء سريعات التحول ، سريعات التقلب ، ينجرفن مع التيار بسهولة .. ويتركن مبادئهن للريح ... كما يتركن شعورهن على شاطئ البحر يحركها النسيم ! . أصواتهن مكسوبة مقدما لمن يلمح لهن بإشارة براقة ! .. ربما كان هذا صحيحا بالنسبة إلى أغلب النساء .. لأن تلك التى تريد أن تثبت على مبدئها وتخلص لحزبها ، لا بد أن تضحى .. تضحى .. تضحى ..

الزوج : تضحى بماذا ..

الزوجة: بأشياء كثيرة ! ..

الزوج : بزوجها .

الزوجة: هذا أهون الضرر .

الزوج : شكراً .. شكراً ..

الزوجة: نعم .. هذا ضرر هين أن تبقى فى الدرجة الخامسة كما أنت .. بل قد

يضغط علينا الوزير أو يسخط .. فينتقم منك أنت ، وينقلك إلى أقاصى الصعيد ..

الزوج : ارحمونى يا ناس ! .. ما ذنبى أنا .. امرأتى تشاكس الحكومة . وأنا الذى ينتقم منى .. وأنقل إلى آخر البلاد ! ..

الزوجة: الثبات على المبدأ مرتفع التكاليف ! ..

الزوج : المبدأ . ! وما شأنى أنا بمبدئك ! .. وما مصلحتى .. وما منفعتى ... أنسى .. وأمتهن .. وأضطهد .. هل إذا جاء حزبك إلى الحكم يصلح حالتى ؟.

الزوجة: أبداً .

الزوج : (**منفجرا**) يا للكارثة التى وقعت على رأسى ! . يا للمصيبة التى جاءتنى بك ! .. أيتها النائبة التى قصمت ظهرى ! ..

الزوجة: (**ترهف الأذن**) صه ما هذا ؟ ... ميمى قد استيقظ ! .

(**يدخل الطفل ميمى ... وهو يفرك عينيه ...**) ..

الطفل : ماما .. ماما ..

الأم : ميمى ! لماذا قمت من فراشك يا حبيبى ... (**تحتضنه**) إنك تتصبب عرقا .

الطفل : أريد أن أشرب .

الأم : (**لزوجها**) كوب ماء بسرعة يا عبد السلام ! .

الزوج : (**فى إذعان**) حاضر .

(**يخرج وهو يتنهد ...**)

الأم : (**تجس طفلها**) أنت محموم يا ميمى .. ماذا تحس ؟ .

الطفل : بطنى ..

الأم : بطنك ؟ . أين ؟ ..

الطفل : (**يشير إلى معدته**) هنا ..

الأم : (**تجس الموضع**) هنا ؟ بماذا تشعر هنا ..

الطفل : توجعنى ..

(**يدخل الزوج بكوب الماء** ...)

الأم : (**لزوجها وهى تتناول منه الكوب لتسقى الطفل**) يشعر بألم فى المعدة !

الزوج : من براغيث الست !

الأم : ماذا ...

الزوج : براغيث الست التى يشتريها من أمام الباب ، ويملأ بها بطنه ! .. هذا أهون ضرر يصيبه .. ما دام متروكا لعناية بنت خدامة صغيرة جاهلة .. بينما الست فى البرلمان ثابتة على المبدأ ! ..

الأم : كيف تدعه البنت يأكل شيئاً من الطريق .. لقد أوصيتها مراراً ونبهتها ..

الزوج : ماذا تنتظرين من خادمة لا يزيد مرتبها على تسعين قرشا فى الشهر ! ..

الأم : إلهى ! .. ماذا أستطيع أن أصنع ..

الزوج : لو كان زوجك فى الدرجة الثالثة .. أما كان لطفلنا ميمى الآن مربية محترمة .. أيتها النائبة المحترمة ! ..

الأم : (**بصوت ضعيف مطرقة**) آه يا عبد السلام .. لا تحاول أن تضعفنى .

الزوج : لست أحاول شيئاً .. هذا حقك .. من حقك أن تضحى بزوجك و .. بطفلك ! ..

الأم : (**تضم طفلها بشدة**) ميمى ! .

الطفل : ماما ..

الأم : نعم يا ميمى ..

الطفل : أين كنت الليلة ..

الأم : كنت فى .. فى ..

الطفل : فى السينما ..

الأم : لا .. فى مكان .. آخر ..

الطفل : لماذا لم تأخذينى معك فى هذا المكان ...

الأم : لأنى .. لا أستطيع أن آخذك معى .. هناك ..

الطفل : ولماذا تركتنى بالليل ؟

الأم : لأنى .. لأنى .. ألم يكن معك أبوك ..

الطفل : بابا لم يعرف كيف يحكى لى الحكاية .. قصى على أنت حكاية الفيل والببغاء .

الأم : (**كالمخاطبة نفسها**) الببغاء .. (**تفكر لحظة ثم تنهض فجأة** ...) عبد السلام .. خذ ميمى لحظة (**تضع الطفل فى حضنه**)

الزوج : لماذا ! . ماذا تريدين أن تصنعى . ! ...

الأم : ستعرف الآن .. تتجه إلى مكتب صغير فى ركن القاعة . وتكتب خطابا سريعاً .

الزوج : (**وهو يراقبها**) إنى أعرفك ... إنك مقدمة على قرار خطير ... أقرأ كل شىء على صفحة وجهك .. قبل أن أقرأه على صفحة خطابك ! .

الأم : والآن . إلى التليفون ..

(تترك القلم .. وقد فرغت من الخطاب السريع .. وتمسك السماعة وتدير القرص ..)

الزوج : تطلبين من ... فى هذه الساعة . ! .

الأم : (**فى التليفون**) ألو .. ألو .. معالى الباشا .. مساء الخير .. نعم .. غيرت رأيى فعلا .. إقناع النائب بكل وسيلة .. لا يا سيدى .. لن أتخذ أبدا هذه الوسائل .. أنت لم تفهم قصدى .. غيرت رأيى فى حياتى نفسها .. كتبت خطابا إلى رئيس المجلس ، أستقيل من عضوية

البرلمان .. مفاجأة غير سارة لك ؟ ولكنها سارة لى ولزوجى ولا بنى ،
أرجو أن تصبح على خير ! ..
(**تضع السماعة .. وتتجه إلى زوجها ..**)

الزوج : (**مذهولا**) تستقيلين من البرلمان ! ...

الأم : (**تمديديها نحو طفلها**) أعطنى ميمى الآن لأحكى له الحكاية .

(**ستار**)



من وحى الحياة الزوجية

أصحاب السّعادة الزوجية

تمثيلية فى فصل واحد

(حجرة استقبال .. « حسنى » وزوجته « علية » فى ثياب السهرة : جالسان ينتظران بصبر نافد ، وأعينهما تتطلع إلى أحد الأبواب المغلقة ......)

حسنى : (**يلتفت إلى زوجته**) هل عرفت من ستزف العروس الليلة من المطربات ؟ ..

علية : والله فاتنى أن أتحرى لك هذا ..

حسنى : لا داعى للتحرى ... لم يعد سراً أن لى صلة شخصية وثيقة بأكثر مطربات البلد ! ..

علية : نعم .. إنك تطلعنى أولا بأول على كل صلاتك وعلاقاتك ! .

حسنى : إنها ليست كلها بريئة .

علية : (**بهدوء**) قلت لى ذلك أيضا مراراً يا زوجى العزيز !

حسنى : أنا كما تعرفين رجل صريح .. عيبى الأساسى أنى رجل فى غاية الصراحة ..

علية : صراحتك لا تسوؤنى على كل حال ..

حسنى : نعم .. لا تسوؤك .. لا شىء يسوؤك أو يؤلمك أو يزعجك أو يثيرك ... وهذا من حسن حظى .. فأنا رجل اعتدت أن أخونك مع كثير من النساء ... لا رغبة فى جرح إحساسك غير الموجود .. بل لأنى هكذا خلقت .. ملتهب العواطف .. قلبى فرن .. فرن متسع .. لا يكفيه أن يلقى فيه رغيف واحد .. (**يشير إلى زوجته**)

علية : (**باسمة**) هذا الرغيف دخل الفرن منذ خمسة أعوام .. لا بد أن يكون قد احترق !

حسنى : (**صائحا**) أبدا .. لم يزل عجينا باردا .. وهنا المصيبة .. من أى مادة أنت مصنوعة . من حجر .. من أسمنت .. من حديد .. من

صلب ..

علية : بل من الدقيق الذى يصنع منه البسكويت ...

حسنى : بسكويت .. أنت .. ولا تتفتين من الغيرة على زوجك ..

علية : لقد منحت زوجى ثقتى الكاملة .. أليست الثقة الكاملة هى خير ما تعطيه الزوجة لزوجها ...

حسنى : الثقة الكاملة ... هذا شيء يفرح به السياسى والوزير والبرلمانى .. أما الزوج .. الزوج يا سيدتى .. الزوج ..

(يفتح الباب المغلق قليلا ... ويسمع من خلفه لغط ...)

علية : صه .. أختى تحية انتهت من اللبس ... أخيرا ..

حسنى : (**وهو يرى الباب يغلق من جديد**) عادا فأغلقا الباب ..

علية : لتناقش زوجها .. سنصل إلى بيت العرس آخر الناس .. لأنهما فى حجرتهما غارقان يتناقشان ...

حسنى : (**متحسرا**) زوجان سعيدان ..

(يسمع صوت ضجيج وصياح فى الحجرة المغلقة وأوان تتحطم وأثاث يلقى على الأرض ... ثم لا يلبث الباب أن يفتح ، وتخرج « تحية » ولم تتم كل لبسها .. وخلفها زوجها « صلاح »)

تحية : لن أذهب إلى هذا الفرح ..

علية : لماذا .. ما الذى جرى ..

تحية : (**تشير إلى زوجها صلاح**) سلى هذا الزوج الكاذب الغادر الخائن ..

صلاح : لا حول ولا قوة إلا بالله ..

علية : ماذا حدث ؟

صلاح : المسألة فى غاية البساطة ..

تحية : بل فى غاية الخطورة .

صلاح : بالطبع فى غاية الخطورة لو أنها كانت قائمة على أساس .. ولكن مجرد

الاتهام ..

تحية : ليست المسألة مجرد اتهام .. إنها حقيقة لا تقبل الشك .. حقيقة أمسكها بيدى .. حقيقة أراها بعينى . إنى أقسم . أقسم . أقسم .

صلاح : اعقلى يا تحية . اعقلى .

تحية : أقسم أنك تخوننى ..

صلاح : أنا ؟

تحية : أقسم أنك متصل بكثيرات من النساء . ومنهن مطربة الفرح . الليلة .

صلاح : ما هذا الظلم يا ناس . يا لها من زوجة ظالمة ..

حسنى : (**كالمخاطب نفسه متحسرا**) يا له من زوج سعيد ..

صلاح : ثقوا أنى لا أعرف من هذه المطربة ..

تحية : ألم تسمع باسم المطربة الشهيرة « نهاد » ...

صلاح : سمعت . ولكننى لا أعرفها معرفة شخصية .

تحية : هذا لا يمنع من أنك تعرف كيف تداعبها وتغازلها .

صلاح : وهل هذا حصل ؟

تحية : حصل . وشاهدته بعينى التى فى رأسى .

صلاح : أين . ومتى .. أين .. ومتى ؟ .

تحية : صلاح لا تحاول الكذب على زوجتك ..

صلاح : عقلى سيطير من دماغى ..

علية : أأنت واثقة يا تحية مما تقولين . إن المعروف عن صلاح أنه فى منتهى الاستقامة .. وأنه لا يقل فى الاستقامة عن زوجى .

حسنى : (**محتجا**) ومن قال لك أنى مستقيم .

علية : ثقتى بك التى لا حد لها .

حسنى : يا مصيبتى .. يا شقائى ...

تحية : ظنونى دائما فى محلها .. مع الأسف الشديد . اذهبوا أنتم بدونى ..

أرجوكم ...

علية : العروس بنت خالتنا .. وسيكدرها تغيبك .

تحية : زوجي ينوب عني .. قولوا إنى مريضة ...

صلاح : لن أذهب ..

تحية : ستذهب .. لن أحرمك من حضور هذه السهرة الممتعة .. ومن مقابلة هذه المطربة الساحرة .. ومن ..

صلاح : كفى .. لن أذهب بدونك .

تحية : لا .. لا أحب أن أحرجك بوجودى معك .. أو أضطرك إلى مغافلتى لاختلاس النظر إليها .. اذهب وحدك .. لتكون على راحتك ..

صلاح : لن أذهب أنا .. أبدا .. اذهبى أنت بدونى ..

تحية : بدونك .. نعم .. لأنك تخشى أن أرى احمرار وجهك وأنت تحادثها . وأن أسمع دقات قلبك وأنت تدنو منها ..

صلاح : أف .. إذن .. لا نذهب نحن الاثنين .

تحية : هذا هو الحل .. الآن فى رأيك .. وقد انكشف أمرك .. على وعلى أعدائى يا رب .. أليس كذلك . فليكن .. فلنخلع ثيابنا .. ولنمكث فى بيتنا ... ولأتحمل أنا إطراقك الطويل ، وتقريعك الصامت لى ، إذ كنت السبب فى هذا التفريق الليلة بينك وبينها ...

صلاح : بينى وبينها ! .. من هى يا ناس .. إنى سأجن .. يا علية .. هل أختك هذه فى حالة طبيعية ...

علية : (**تتجه نحو أختها**) دعونا لحظة على انفراد ! ...

حسنى : (**يتشبث بمقعده**) لن أترك مكانى .. ماذا ستقولين لها .. إنها فى حالة طبيعية جدا .. إنها الزوجة المثالية . إياك أن تحاول تغيير طباعها وإفساد أخلاقها .

علية : ابقيا إذن ها هنا . ولنترك لكما نحن المكان .. هلمى بنا يا تحية إلى

حجرتك .. أساعدك على إتمام لبسك .

تحية : لن ألبس . ولن أذهب . أكان هذا الكلام كله فى الهواء ..

علية : إذن هلمى أساعدك على خلع ملابسك هذه . وارتداء ثياب البيت ...

تحية : أما هذه فنعم . هيا بنا .

صلاح : (**كالمخاطب نفسه**) مستحيل .. إنى لا أصدق .

(تدخلان الحجرة وتغلقانها عليهما .. يبقى الرجلان « الزوجان فى مكانهما ...)

حسنى : لا تصدق ماذا ؟

صلاح : لا أصدق أن زوجتك ستنجح فى إقناع زوجتى ! .

حسنى : إقناعها بماذا ؟

صلاح : بأن تطرح هذه الظنون السيئة التى لامبرر لها .

حسنى : أتسمح لى أن أطرح عليك سؤالا ؟ ..

صلاح : تفضل !

حسنى : جاوبنى بصراحة ؟ ما هى حقيقة شعورك . الخفى الداخلى ؟ .. بماذا تشعر فى أعماق نفسك عندما ترى امرأتك تشك هكذا فى إخلاصك ، وتظن فى حبك الظنون .. وتنزعج .. وتتألم .. وتنفعل وتثور عليك !

صلاح : أشعر أنى فى جهنم !

حسنى : كفى ! ..

صلاح : ماذا دهاك . لماذا تنظر إلىّ هذه النظرات . !

حسنى : أتأملك وأفحصك وأدرسك .. آه .. لو لم أكن محامياً .. وكانت لى قدرة على التصوير وصناعة التماثيل ... لكنت الآن قد صنعت لك تمثالا أطلقت عليه اسماً منطبقاً ناطقاً فى لفظ واحد ! .

صلاح : ماهو ..

حسنى : البطر ..

صلاح : البطر . !

حسنى : نعم . البطر بالنعمة والكفر بالسعادة !

صلاح : أتمزح ..

حسنى : (**وهو يتأمله**) تمثال يصورك وأنت تتبرم بزوجة ، تحيطك بدفء الحرص وحرارة الاهتمام .

صلاح : الحرارة عندما ترتفع إلى درجة الغليان .. ألا يسمونها « الجحيم » ؟!

حسنى : لا يا عزيزى .. « الجحيم » هو عندما تنخفض الحرارة إلى ما تحت الصفر !

صلاح : اسمع يا حسنى .. إنك تدافع عن موقف تحية .. لأنك محام .. لا بد لك بحكم مهنتك وطبيعتك من شخص تترافع عنه . حتى وإن كنت لا تنتظر « أتعاباً » .. ولكن ..

حسنى : لا . ليس المحامى الآن هو الذى يتكلم .. ولست أدافع عن تحية ولا عن قضية .

صلاح : عن أى شىء تدافع إذن ؟

حسنى : عن الحقيقة .. التى أعرفها وأحسها وألمسها .

صلاح : إنك لا تعرف عنها شيئاً كثيراً ، هذه الحقيقة .. وما رأيت منها الليلة أمامك ليس إلا قدراً يسيراً مما يقع بينى وبين تحية .. ولو قصصت عليك مانتبادله من أحاديث ملتهبة ومناقشات ؟ طوال الساعات واللحظات .

حسنى : قص على . وأمتعنى ! .

صلاح : إن عملى فى « العيادة » مرهق .. كما تعلم . ما أكاد أنتهى منه وأعود إلى منزلى .. حتى أجد « تحية » فى استقبالى بماذا ؟ .. بابتسامة ؟ لا . بخبر لطيف ؟ .. لا .. بحكاية ظريفة ؟ . لا .. أتدرى بماذا

تستقبلنى ...

حسنى : بماذا ؟ .

صلاح : بفتح ..

حسنى : بفتح قلبها لك .

صلاح : بفتح « محضر تحرى » لى .. من جاء « العيادة » اليوم من النساء .. كم عددهن . وهل كن جميلات .. ألم تعجبك واحدة من بينهن ... ماذا قلت لهن . ولماذا جئن إليك .. بأى مرض . أو لم تحادثهن بغير هذه الكلمات .. أهذا معقول ؟ ألم تضرب لك إحداهن موعدا ... ألم تنظر إليك واحدة منهن نظرة ذات معنى ؟ . ماذا كن يرتدين من الثياب والزينة والحلى عند حضورهن إليك . لم تلق بالا إلى ذلك . ! هاها .. من تريد أن تستغفل بهذا الكلام . والشعر . ستقول أيضا إنك لم تلتفت إلى « تسريحة » الشعر . ! ستزعم أنك « مزكوم » ... وأحمر الشفاه ستقول إنه فى عينك قد انقلب أصفر ! والنطق « بدلع » ودلال ستزعم أنه لم يقرع طبلة أذنك ! .. تريد من زوجتك التى شاء لها سوء الحظ والطالع أن يكون فى رأسها عقل ومنطق ، أن تقتنع بأنك فى البيت سليم معافى ، وفى « العيادة » أعمى ، أخنف ، أخرس ، أصم ! أيها الزوج الخائن . أيها الزوج القاتل إنك تعذب زوجتك .. إنك تقتلها . إنك تحرقها .. إنك تدميها .. إنك تشويها ... ثم تأخذ هذه الزوجة بعد هذا البرق والرعد تذرف من عينيها الدمع كأنها المطر ..

حسنى : (**ملتذا**) ما أجمل كل هذا . وما أبدعه ! .

صلاح : كارثتى الكبرى هى أنى لم أكذب قط يوما على زوجتى ومع ذلك فهى تأبى أن تصدق حرفا واحداً مما أقول ، ثق أنى أحب امرأتى .. ولا أحب النظر إلى غيرها أبدا من نساء الأرض . ولكنها إذا رأتنى ألاطف

عجوزا شمطاء .. أو أحادث خادمة حقيرة . أو أجامل زائرة عابرة .. فإنها توقن لساعتها أن خيانة قد وقعت أو فى طريق الوقوع .. وتطوى الأمر فى صدرها أياما .. ويجسمه الوهم حتى يصيره حقيقة . فإذا هى تعاملنى كما لو كنت مجرما . إنها أحيانا تخيفنى وتضعنى فى مواضع الحرج . بلا ضرورة ولا مبرر .. زارتها صديقة لها ذات يوم . وكنت على وشك الخروج إلى العيادة فأصرت على أن أمر بالصالون وأحيى الضيفة . فلما فعلت ما أرادت قالت لى الضيفة مازحة :

« ما من أحد يراك إلا فى عيادة أو فى حالة مرض ؟! أتمنى أن أراك فى ظرف سار .. ما رأيك لو دعوتك إلى تناول الغداء أو العشاء ، وقدمت إليك اللون الذى تحبه من الطعام » ؟ فوعدتها خيرا وانصرفت لشأنى ، فلما عدت إلى البيت فى المساء وجدت امرأتى متجهمة تقول : لماذا كانت مهتمة بك كل هذا الاهتمام . » فقلت : « لم ألاحظ اهتماما غير عادى .. » فقالت فى غيظ مكتوم : « انتظر إذن دعوتها » فقلت : « هذا مزاح .. أأخذته مأخذ الجد ؟ إنها كانت تمزح » أوَ تدرى يا حسنى ماذا حدث فى اليوم التالى ؟

حسنى : ماذا حدث ؟

صلاح : خاطبتنى بالتليفون هذه الضيفة حقيقة . طلبتنى فى العيادة .. ودعتنى إلى العشاء وقالت لى إنها أعدت لى لونا من الطعام سيعجبنى .

حسنى : وقبلت الدعوة ؟

صلاح : أأنا مجنون ؟ .

حسنى : ماذا قلت لها إذن ؟

صلاح : سألتها : « هل اتصلت بزوجتى ودعوتها ؟ .. فأجابت « لا » فقلت لها عندئذ بلهجة خشنة جافية . « وهل تظنين أنى أقبل حضور عشائك بدون أن تكون زوجتى معى ؟ » ووضعت فى الحال السماعة دون أن

أنتظر منها كلاما .

حسنى : يااللأمانة والوفاء .. بادرت طبعا وأخبرت زوجتك بموقفك المشرف .

صلاح : لا . لم أخبرها بشيء على الإطلاق ..

حسنى : ولماذا لم تخبرها ؟

صلاح : لأنى أعرف طباع « تحية » زوجتى . إنها لن تتلقى منى الخبر بالشكر والحمد .. بل ستقول لى مهتاجة منتصرة « ألم أؤكد لك أنها ستدعوك ؟ إن شعورى لا يخطئ . إنها مهتمة بك .. » أما موقفى المشرف فإنها لن تصدقه أبدا ولو حلفت لها الأيمان المغلظة على المصحف والبخارى .. هذا إذا كانت صديقتها حقا هى التى خاطبتنى فى التليفون ..

حسنى : ألست إذن واثقا ؟

صلاح : إنى أستبعد كثيراً أن تكون هذه الصديقة قد خاطبتنى حقا .. فهى سيدة فاضلة ، لم يعرف عنها عوج ولا طيش ، وزوجها رجل محترم ، لا شك أنها تخلص له .. ومن غير المقبول عقلا أن تتصرف هذه السيدة هذا التصرف الشاذ غير اللائق فتدعونى بمفردى إلى بيتها على غير علم من صديقتها زوجتى ومعرفتى بها كما ذكرت لك ، سطحية عابرة .

حسنى : ومن التى خاطبتك إذن ؟ .

صلاح : هنا اللغز .

حسنى : ألم تتبين الصوت ؟

صلاح : أصوات النساء فى التليفون تتشابه .. خصوصاً لمن كانت صلتك بهن ضعيفة . ولكنى موقن بأن الصوت على كل حال ليس صوت زوجتى .

حسنى : زوجتك .. وما دخل زوجتك هنا .. آه .. أتظن أنها ..

صلاح : أظن ؟ بل أرجح أنها هى التى دبرت حكاية مخاطبتى بالتليفون على هذه

الصوررة لتمتحننى ..

حسنى : لقد نجحت فى الامتحان .. بتفوق ! . فماخوفك فى هذه الحالة من إخبارها .

صلاح : انتظرت أن تفاتحنى هى . قائلة بحنان وإيمان . « عرفت إخلاصك أيها الزوج الأمين الوفى ... »

حسنى : أوَ لم تفاتحك ؟

صلاح : أبداً .. مضى الآن على ذلك الحادث نحو أسبوعين وفمها لم يفتح بحرف ، ووجهها لم يبد عليه أثر لشىء ... حتى أخذ الشك يدب فى نفسى من جديد وبدأت أقول لنفسى : ربما كانت هى بريئة بعيدة عما حدث . وأن تكون تلك السيدة الفاضلة قد فقدت عقلها حقـا وارتكبت تلك الحماقة بالفعل .

حسنى : وبعد ؟

صلاح : لا يوجد بعد .. المسألة واقفة عند هذا الحد . إنى أكتم عنها للآن أمر تلك المحادثة التليفونية . لأنى حائر محرج .. لا أستطيع الجزم بحقيقة من خاطبنى . ولا أستطيع التكهن بنتيجة إخبارى .. ولا بما سيكون من موقفها حيالى .. لعلها أول مرة أكذب فيها على زوجتى .. أو على الأصح أخفى فيها شيئاً عنها .. ولكن ثق أنها هى التى ترغمنى على هذا الإخفاء بظلمها وسوء ظنها .

حسنى : ما أحلى هذا الظلم !

صلاح : ماذا تقول ؟

حسنى : لا شىء .. استمر استمر ..

صلاح : هذا كل ما فى الأمر .

حسنى : لا .. لاتقل إن هذا كل ما فى الأمر .. قص علىّ البقية ، بقية ما يحدث بينكما .. تكلم .. أفصح .. واشرح ، واسرد لى التفاصيل .

صلاح : أيعجبك هذا الموضوع ؟

حسنى : جداً ..

صلاح : عجباً .. أو لم يحدث لك مثل هذا ؟

حسنى : أنا ؟(**يتنهد**) .. آه ..

صلاح : كلنا فى الهم سواء ... أليس كذلك .. ما زوجتك إلا أخت زوجتى .. فلا بد أنه يحصل لك مثل ما يحصل لى .

حسنى : (**صائحاً**) اسكت من فضلك .. لا تجعلنى أنفجرإنى على وشك الانفجار إنى لحم ودم يا ناس .. إنى إنسان .. إنى زوج . لا أستطيع أن أبقى متفرجا أشاهد كل هذا .. ولا أبكى حظى وأندب محنتى ومصيبتى وطامتى ..

صلاح : طامتك ومصيبتك ؟ إلى هذا الحد ؟ أنت أيضاً ؟!

حسنى : نعم .. طامتى ومصيبتى ومحنتى !

صلاح : ولكن المعروف أن زوجتك أعقل من زوجتى بكثير وألين عريكة وأربط جأشاً وأضبط أعصاباً .. وأهدأ روعاً .

حسنى : (**صائحاً**) هنا المصيبة .. هنا المصيبة ..

(يفتح باب الحجرة .. وتظهر تحية ومعها علية وتسمع تحية الكلمة ....)

تحية : (**متجهة**) تتحدثان عن مصيبة ؟!

حسنى : مصيبة أخرى .. لا مؤاخذة .. أقصد ..

علية : (**باسمة**) تقصدنى أنا بالطبع ..

حسنى : (**متحديا**) بدون شك أقصدك أنت ..

علية : لأنى ناقشتك الحساب وضيقت عليك يوما الخناق ؟

حسنى : أبدا ...

علية : لأنى عنفتك يوما وأنبتك وبختك ؟

حسنى : أبدا ..

علية : لأنى أهدرت يوما حريتك وعارضت إرادتك ؟

حسنى : أبدا ..

علية : لأنى ارتبت يوما فى سلوكك .. وشككت فى تصرفاتك ؟

حسنى : أبدا ..

علية : إذن لماذا أنا مصيبة ؟!

حسنى : لأنك .. لأنك .. ماذا أقول يا ناس ؟

علية : اعقل يا حسنى .. اعقل .

حسنى : أف ! .. العقل العقل ! العقل (**صائحا**) إنى زوج غير سعيد .. وكفى !

علية : فلنؤجل الكلام فى سعادتك حتى نكون فى بيتنا ! نحن الآن فى بيت تحية .. ويجب أن نتكلم فى شأنها هى .. لقد حاولت إقناعها .. ولكنها تريد قبل كل شىء أن تستفسر من زوجها عن أمر .. ها هو ذا صلاح أمامك يا تحية .. تكلمى .

تحية : صلاح .. أتعتقد حقا أنى أتهمك ظلماً .

صلاح : بالتأكيد .

تحية : أتقسم لى إذن أنك لم تكذب علىّ مرة .. ولم تكتم عنى شيئاً ؟

صلاح : (**يلتفت إلى حسنى فى حيرة وحرج**) أسامع ؟

تحية : (**لصلاح**) أجب ؟!

صلاح : (**لحسنى**) لو كنت فى مكانى الآن يا حسنى ، ماذا تصنع !؟

حسنى : إنى لست فى مكانك إنى فى مكان آخر .. أنت فى النعيم ولا تدرى . أما أنا ففى ..

تحية : (**لأختها**) أرأيت يا علية ! إنه يتردد .. إنه إذن يخفى عنى أمرا ..

صلاح : وأنت .. أتقسمين أنك لا تخفين أمرا عنى ؟

تحية : لا تهرب من الإجابة بالسؤال .. أجبني أنت أولا .. وبعد ذلك أجيبك أنا .

صلاح : ما هو سؤالك بالضبط .

تحية : ألم تكتم عني شيئاً ؟

صلاح : شيئاً ؟ من أى نوع ؟ مما له صلة بك طبعاً ؟

تحية : طبعاً .

صلاح : شيء لا يخزيني ولا يشينني أن أخبرك به ؟

تحية : هذا لا يشترط .

صلاح : شيء لو أخبرتك به لكان ذلك فى مصلحتي ؟

تحية : لو كان ذلك فى مصلحتك لما كتمته عني .

صلاح : سمعت يا حسنى ؟! ألم أقل لك ؟!

تحية : أجبني ولا تراوغ .

صلاح : وأنت لماذا كتمت عني هذا الأمر و لم تفاتحيني به .

تحية : أى أمر ؟

صلاح : هذا الذى تلمحين إليه .

تحية : أفصح .

صلاح : (مترددا) صديقتك .

تحية : صديقتي من ؟

صلاح : التى خاطبتني بالتليفون .

تحية : ما تقول ؟

صلاح : أولا تعرفين شيئاً عن هذا الموضوع ؟!

تحية : وكيف تريد مني أن أعرف ؟ هل أخبرتني أنت به .

صلاح : (كالمخاطب نفسه) آه انزلقت قدمي وانتهى الأمر ..

تحية : وماذا قالت لك تلك الصديقة فى التليفون ؟ ومن هى ؟ لا بد أنها تلك

التى كانت مهتمة بك ذلك الاهتمام .. شعورى لا يخطئ . دعتك طبعا إلى العشاء .

صلاح : ولكنى رفضت .

تحية : ولماذا ترفض ؟

صلاح : أوَ كنت تنتظرين منى أن أقبل .

تحية : ماذا قلت لها ؟

صلاح : قلت لها : « كان الواجب أن توجهى الدعوة إلى زوجتى . لأنى لا أذهب بدونها » .

تحية : أتدرى لماذا قلت لها ذلك ؟ لأنك اعتقدت أنى بجوارها فى التليفون أراقب إجابتك .

صلاح : يا حفيظ .

تحية : أتقسم أن هذا لم يكن اعتقادك فى تلك اللحظة ؟

صلاح : أف ! أنت زوجة ؟ . أنت نائب عمومى .

تحية : لا يكره النائب العمومى غير المذنب .

صلاح : لست أكرهك ولست مذنبا .

تحية : لماذا تضيق إذن بمجرد استفسار منى .

صلاح : لأن حياتنا تضيع بحماقة فى سين وجيم . بينما الدنيا مملوءة بأشياء أخرى نقولها ، وأحاديث أخرى نتبادلها .

حسنى : تريد أحاديث فى السياسة ، فى الانتخابات ، فى هيئة الأمم ، فى مجلس الأمن !

علية : اسكت أنت ولا تتدخل بينهما .

حسنى : (**يضع رأسه فى كفيه**) سكت .

تحية : (**لزوجها**) ومن المسئول عن ضياع حياتنا بهذا الشكل ؟ . أليس هو أنت ؟ أنت .. لو أنك فتحت لى قلبك لأقرأ كل ما فيه .

صلاح : فتحت لك قلبى من أول يوم .. بصفحته البيضاء النقية . ولكنك تقرئين ما فى ذهنك أنت .. لا ما فى قلبى أنا .

تحية : ذهنى أنا هو الذى جعلنى أكتشف الحقيقة .

صلاح : تكتشفين الحقيقة ؟ . أى حقيقة ؟ من يسمعك تقولين هذا ، يعتقد أنك ضبطتنى متلبسا أو رأيتنى رؤية العين ؟ .. ماذا حدث منى ؟ ماذا حصل ؟ ألم تضعينى تحت الملاحظة الدقيقة ، كما يضعون المشبوهين .. ألست أخرج فى ميعادى وأعود فى ميعادى . هل تأخرت ؟ هل سهرت ؟ ألم تجرى لى امتحانا نجحت فيه .

تحية : ومن قال إنك نجحت ؟

صلاح : (**صائحا**) سقطت ؟!

تحية : وماذا كنت تنتظر إذن ؟

صلاح : سقطت لأنى رفضت الدعوة ؟؟ وماذا كان يجب أن أصنع لأنجح ؟ أكنت أقبل ؟؟ .. مستحيل ! ما هى إذن الإجابة الصحيحة ؟ من فضلك ، أرجوك ، عقلى سيذهب .. دلينى على الإجابة المطلوبة ؟

تحية : لقد غششت ! .. رتبت الإجابة .. لأنك عرفت الامتحان .. وفهمت أنى موجودة خلف كل هذا .. ولو كان الموضوع طبيعيا ؛ وكانت المرأة التى خاطبتك بعيدة عنى غير معروفة لى ؛ لكنت قبلت دعوتها ؛ وذهبت إلى موعدها ..

صلاح : وكيف تحكمين بذلك ؟ .

تحية : إنى متأكدة ..

صلاح : يا زوجتى ! ... ارحمينى ! . ماذا فعلت فى دنياى يا ربى ! .. إنى موقن لو أن الله تعالى أرسل لى ملكين من السماء ؛ لملازمتى وتتبع خطاى ... وجاءا إليك بعد ذلك يا تحية ، يشهدان لى بالاستقامة وحسن السير والسلوك .. لا تهمتهما بالمداراة علىّ والتحيز لى ..

ومكثت على ظنك السيء بى .. لا فائدة ما دامت الثقة معدومة .. حياتنا الزوجية يا تحية تعسة .. مريضة .. تعانى فقرا شديدا ؛ ونقصا خطيرا فى « ڤيتامين » اسمه « الثقة » .. لو استطعت فقط أن تحصلى لى منه على ذرة . حبة .. جرام . جرام « ثقة » ! .

حسنى : (كالمخاطب نفسه) وأنا عندى تضخم فى « الثقة » ! .

تحية : إنى يا صلاح لا أتمنى شيئا إلا أن أمنحك كل ثقتى .. ولكن يجب أيضا أن تساعدنى أنت على تحقيق هذه الأمنية ؟ ..

صلاح : إنى رهن إشارتك .. ماذا تطلبين ؟ .

تحية : جاوبنى فقط بصراحة . بصراحة مطلقة .. عن هذا السؤال ..

صلاح : تفضلى ! ..

تحية : ما مدى معرفتك بنهاد ؟ .

صلاح : نهاد ؟! . من هى نهاد ؟! .

تحية : مطربة الفرح الليلة ..

صلاح : أقسم لك أنى لا أعرفها .

تحية : حذار من الكذب ..

صلاح : أقسم لك ..

تحية : ألم تقابلها ؟ .

صلاح : قلت لك لا أعرفها .. تحية أصدقينى أنت .. لماذا تتهميننى هـذه التهمة ؟ على أى أساس .. أهى وشاية ؟ أهو خبر مدسوس . أهى إشاعة ؟ أخبرينى ما هو أصل الموضوع ..

تحية : رأيتها وهى تداعبك . ورأيتك وأنت تغازلها ..

صلاح : رأيتنا بعينيك ؟ .

تحية : بعينى .

صلاح : أين ؟ . أين ذلك .

تحية : فى الفرح ..

صلاح : أى فرح .

تحية : فرح الليلة .

صلاح : الليلة ؟ . وهل نحن ذهبنا إليه بعد ؟ .

تحية : رأيته البارحة فى المنام وما أراه فى المنام يصدق دائما . ولا يخيب أبدا . رأيت الفرح وحفلة الزفاف .. والمطربة « نهاد » تزف العروسة على السلم .. وأنا فى ثوبى هذا الذى سأذهب به .. وثوب أختى « علية » هذا الذى ترتديه .. وكل التفاصيل الدقيقة واضحة لعينى كأنها حقيقة لا حلم وإذا بى أراك تغافلنى وتنسل من جانبى .. وتلحق بالمطربة نهاد وتلاطفها وتضاحكها .. وهى تمازحك وتداعبك .. وتكاد تسهو عن الحفلة وتشغل بك .. ثم أخذت فى مغازلتها على نحو فاضح مكشوف .. تهامس له المدعوون والمدعوات .. بينما الدم يغلى فى عروقى من الحنق ؛ ويصبغ وجهى من الخجل .. ولا أجد لنفسى من هذا الموقف مخرجا .

صلاح : طبيب محترم مثلى يصنع ذلك فى حفلة عرس ؟

تحية : هذا ما رأيته .

صلاح : رأيته فى أوهامك .

تحية : فى حلمى الذى لا يخيب وسترى أن كل هذا سيتحقق .

صلاح : (**صائحا**) شاهدة يا علية ؟ . يعجبك هذا من أختك ؟ . تتهمنى هذه التهم .. وتغضب هذا الغضب .. وتثور هذه الثورة .. الحكاية : أولا .. رأتها فى المنام .. ثانيا .. لم تحدث بعد ..

تحية : ستحدث ..

علية : هذا كثير يا تحية .. كثير .. أكثر من اللازم .. أنت مجنونة يا تحية .. مجنونة .. اعقلى اعقلى ..

حسنى : (**لزوجته**) لا تعنفيها هكذا .. أيتها العاقلة ! .. آه منكم يا حضرات العقلاء ! .. كل من كان واسع الخيال ترمونه بالجنون وتقولون له : اعقل .

علية : (**لتحية وهى تتناول ذراعها**) هيا بنا إلى الفرح ؟ .. لقد أضعت علينا الوقت بهذه المزاعم الوهمية .

تحية : سيضايقنى أن أرى وجه « نهاد » ! .

علية : انسى يا تحية هذا الحلم .. لا تظلمى الناس بناء على رؤيا فى المنام ! .

تحية : إنك لا تعرفين أحلامى . إنها دائما ...

علية : وهل حلمك هو الذى قال إن نهاد ستكون مطربة الفرح ؟ أو أن مصدر علمك العروس وأهلها ؟ . إنى لم أحاول بعد الاستعلام .

تحية : ومن سيحضرون غير « نهاد » ؟ . إنى أقرأ اسمها دائما فى الصحف والمجلات فى مناسبات الزفاف .

علية : (**تلتفت حولها بسرعة**) أين التليفون ؟ .

صلاح : (**يتجه إلى التليفون ويديره لها**) تطلبين رقم .. ؟

علية : خالتنا .. بيت الفرح . تسمح . (**تمسك بالسماعة وتدير هى الرقم ثم تتكلم .**) ألو .. من خالتى .. مساء الخير ! . تأخرنا لأن تحية أبطأت فى اللبس .. نعم أتكلم من عندها .. حالا .. سنحضر بعد لحظة .. قولى لى يا خالتى . من مطربة الليلة ؟ . من ؟ لا توجد زفة .. آه حفلة جد .. من المطرب ؟ . صالح عبد الحى . فقط .. متشكرة .. (**تضع السماعة .**)

تحية : (**بدهشة**) صالح عبد الحى ..

علية : نعم فقط .. هذه هى أحلامك التى لا تخيب ..

حسنى : (**لزوجته**) خير من أحلامك التى لا صخب فيها ولا غضب .. حتى الأحلام فى بيتنا معقولة ... لعنة الله عليها من حياة ..

صلاح : (**لزوجته**) براءة ؟

تحية : حالفك الحظ الليلة . مجرد مصادفة .. ولكن غدا .. قد يكون هناك استئناف ..

صلاح : مفهومٌ .. لا أمل .. محكوم على حياتى بالخنق .. ما أنت إلا رباط رقبة .. « كرافته » من حرير .. تزين الصدر .. وتضغط على العنق ! .

(ستار)

من وحي حرب فلسطين

مَولد بطَل

تمثيلية فى منظرين

المنظر الأول

(مستشفى عسكرى فى القاهرة .. ضابط شاب على سرير وقد ربطت ذراعه اليسرى برباط صحي .. وعلى مقربة منه إحدى المتطوعات تقوم بتمريضه ...)

الضابط : لماذا تضعين على رأسى ثلجا ؟

الممرضة : لأن حرارتك مرتفعة .

الضابط : هذا صحيح . ولكنك أخطأت المكان .. كان يجب أن تضعى الثلج ها هنا .. (**يشير إلى قلبه**) .

الممرضة : المغازلة ممنوعة من فضلك .

الضابط : المغازلة ؟ .. مع من ؟

الممرضة : مع المتطوعات .

الضابط : تقصدين حضرتك ؟ أأنا غازلت حضرتك ؟

الممرضة : ألم تشر إلى قلبك وحرارته ؟

الضابط : ياللنساء ... أولا يمكن أن يكون فى قلب رجل حرارة غير حرارة حبكن ؟! .

الممرضة : (**باسمة**) نتمنى ذلك .

الضابط : كلا .. أنتن لا تتمنين ذلك أبدا .. أما أنا فباعتبارى رجلا قادما من الميدان فإنى أؤكد لك أن فى قلبى دخانا ولهبا .. لعل لهما أثرا فى عينى .

الممرضة : أرى اللهيب ، ولكنى لست أرى الدخان .

الضابط : ثقى أنه ليس لهب الحمى .. إنه لهب المدفع !

الممرضة : أعرف أنك بطل ، وأنك قمت باقتحام كثير من الحصون .

الضابط : أقالوا لك إنى بطل ؟

المرضة : نعم .. كلهم هنا يقولون ذلك .. إنى فخورة بتمريضك ! .

الضابط : (**باسما**) المغازلة ممنوعة من فضلك !

المرضة : لست أفخر بشخصك .. بل بعملك فى الحرب .

الضابط : (**بأسف**) لماذا هذا التحيد والتفريق ؟ .. إذا أردت أنا أيضا أن أعجب بك ، فهل تظنين أنى مستطيع طرح شخصك من الحساب .

المرضة : ألم تحس بعد أن أشخاصنا أصبحت اليوم تافهة بالقياس إلى العمل الذى نؤدية من أجل الوطن ؟

الضابط : لست أعرف الآن ما أحس .. لا تسأليني الآن عن مشاعرى .. إنها أعقد من أن أفهمها لأول وهلة .. يخيل إلىّ أن شيئاً فى نفسى قد تغير .. شيئا لا أتبينه .. ولا أدرى بعد كيف أصفه .. لن تفهمى بالضبط ما أقصد .. لا بد أن أبسط لك طرفا من حياتى السابقة ليبدو لك هذا الكلام واضحا ..

المرضة : كلامك واضح لى .. لأنى أحس عين إحساسك .

الضابط : (**دهشا**) كيف ذلك ؟ فسرى لى إذن ..

المرضة : لا .. ليس الآن .. لقد تركتك تتكلم أكثر مما ينبغى .. ليس من الحكمة أن تبذل مجهودا وأنت لم تستكمل بعد الشفاء .. سأدعك لحظة لتستريح ، وتستغرق فى الهدوء .. ومن الخير أن تنام قليلا ..

الضابط : لا .. لا أريد أن أنام .

المرضة : إذن . لا تتكلم .. أصغ إلى الراديو ، إذا شئت ..

(تفتح جهازا صغيرا للراديو قرب سريره فيسمع صوت المذيع يقول « تسمعون الآن أغنية : الحب كله أنين ....)

الضابط : ما أحسن حظى هذه أغنية طالما أحببتها ..

المرضة : مثلى إذن . إنها أغنيتى المفضلة ..

(يصغيان إليها صامتين ....)

الضابط : (**بعد برهة**) ما هذا ؟ إنها ليست هى .. أواثقة أنت أنها هى ..

المرضة : هى بعينها .

الضابط : لم يكن فيها هذه التأوهات السخيفة ولا هذه المعانى الضعيفة ..

المرضة : أوَ تظن إدارة الإذاعة قد وضعت فيها هذه التعديلات أخيرا ؟ .

الضابط : لا بالطبع .. ولكن فيها مع ذلك شيئا قد .. تغير .

المرضة : ليست هى التى تغيرت ..

الضابط : إذا لم يكن فى طلبى إزعاج لك ، فإنى أرجو منك أن تغلقى الراديو ..

المرضة : (**وهى تضغط على مفتاح الجهاز وتغلقه**) حسنا فعلت . أنا أيضاً أفضل لك جو الصمت .

الضابط : لا تنتهزى الفرصة كى تتركينى وتنصرفى .. لا أريد أن أنام ، لا أريد أن أنام .. لقد نمت طويلا ..

المرضة : سأقيس درجة حرارتك .. فإذا كانت معتدلة ، فإنى أسمح لك بالحديث لحظة أخرى .. موافق ؟

الضابط : موافق .. ومع ذلك ، ثقى أنى بخير .. وإلا ما شعرت بهذه اليقظة ولا بهذا النشاط .. أريد أن أنهض قليلا .

المرضة : مهلا .. مهلا .. حذار أن تصدم ذراعك الجريح . دعنى أسند ظهرك إلى الوسادة .

الضابط : (**يتأمل ذراعه المربوطة**) عجبا .. ما هذا المشبك البديع .. إنه من ذهب فيما أعتقد .. غاية فى سلامة الذوق ودقة الصناعة ! لن يستطيع أحد أن يقنعنى بأنه من أدوات المستشفى .

المرضة : هو مشبكى .. لم أجد غيره أحكم به رباطك الذى فك وأنت نائم .

الضابط : لن يفك الرباط بعد اليوم ما دمت قد شبكتنى بمشبكك ! ..

المرضة : (**وهى تخرج مقياس الحرارة**) أتنوى الاحتفاظ به ؟

الضابط : إلى آخر لحظة من حياتى .

المرضة : (**باسمة**) بلا ثمن ؟

الضابط : ماذا تطلبين فيه من ثمن ؟

الممرضة : لست أدرى . إنى أمزح . خذه منى هدية . إذا راق لك . إنه زهيد القيمة .

الضابط : لا شيء منك زهيد القيمة .. إنى أقدر له ثمنا مرتفعا .. سأحاول الوفاء به فيما بعد ! ..

الممرضة : (**وهى تضع فى فمه المقياس**) عندما تهبط حرارتك سيهبط ذلك الثمن المرتفع .. لا تفكر الآن فى تقدير شيء !

الضابط : (**يهز رأسه أن : « كلا .. كلا ... »** ...)

الممرضة : لا تهز رأسك هكذا ومقياس الحرارة فى فمك ! .. أصغ إلى دون حراك .. أتراني مخطئة ؟ .. أرجو أن أكون كذلك .. بل إنى لمخطئة .. هاأنذى ألمح فى عينيك الساعة بريقا ، ليس من السهل أن ينطفئ ... ما بى حاجة إلى أن أتلقى منك جوابا على أسئلتى .. إنى أقرأ كل شيء .. على صفحة نفسك بل على صفحة نفسى أنا .. أردت أن تكشف لى عن ماضى حياتك ، لتفسر لى ما اعتراك من تغيير .. يكفينى أن أستعرض حياتى أنا كى أفهم .. ألم يخطر لك أن تتساءل : « لماذا أنا هنا بجوارك أنا الفتاة المصرية التى ما عرفت قط يوما غير التافه من المشاعر ؟ ! هذه الأغنية التى كانت تملأ حياتنا : « الحب كله أنين » ... أتصدق أنها كانت تبكينى الليالى الطوال ؟ . ماذا حدث لى اليوم ، حتى أسمعها فلا تهتزمنى شعرة . لا تحسب الدموع قد نضبت من عينى .. إنى أسكبها فى بعض الأحيان مدراراً ... لا حزنا بل فرحا ... إنها تتساقط مع البسمات كالمطر فى شروق الشمس ... كلما ولد لنا فى ميدان الشرف بطل .. (**تتناول من فمه المقياس وتنظر فيه**) صدقت .. إنك بخير .. أستطيع الآن أن أنحى عن رأسك هذا الثلج ..

الضابط : أيتها .. الآنسة !

الممرضة : (**تلتفت إليه**) ماذا بك ؟ .. لماذا تنظر إلىّ هكذا ؟

الضابط : إنك .. تخيفيننى ..

الممرضة : أخيفك ؟ ..

الضابط : نعم .. كلما ذكرت هذه الكلمة ..

الممرضة : أى كلمة ؟!

الضابط : أود لو أعلم منك شيئاً .. أتعديننى أن تصارحينى القول ؟

الممرضة : أعدك .. ماذا تريد أن تعلم ؟

الضابط : من هو « البطل » ؟ إنى لم أره قط .. أتمنى لو أراه مرة ..

الممرضة : تريد أن ترى بطلا ؟!

الضابط : نعم ..

الممرضة : لا شىء أيسر من ذلك .. لحظة واحدة من فضلك .. وأنا أقدمه إليك . (**تأتى بحقيبة يدها وتفتحها**)

الضابط : عجباً ! . أهو فى هذه الحقيبة ؟!

الممرضة : (**تخرج من حقيبتها مرآة صغيرة تدنيها من وجهه**) انظر فى هذه المرآةوأنت تراه !

الضابط : آه .. لا تمزحى ! ... (**يقصى عنه المرآة**) إنك تجرحين شعورى بهذا القول .. ثقى أنى لا أتواضع عندما أؤكد لك أنى لم أر ذلك الذى ترين .. لا أود أن تظنينى رجلا مجرداً عن حب الزهــو .. على النقيض .. لطالما شعرت أنى بطل العالم كله يوم كنت متفوقا فى لعبة كرة القدم .. كنت أصيب الهدف بقدمى وأسمع هتاف الجماهير فأعتقد أن تلك القدم ليست من لحم وعظم .. إنها من ذهب إبريز .. وكنت أسير بها مختالا فوق الأفاريز .. فيخيل إلى أن عيون العجب والإعجاب تتبعها وتكلؤها وترعاها ، كما لو كانت ذخراً قومياً لا

يقدر بمال ... اليوم أمشى بهذه القدم بين الألغام .. وأقتحم بها الحصون . تحت وابل النيران ، فما شعرت لحظة أنها قدم بطل . ! نعم ، صدقينى . إنك لا تعرفين جو المعركة أيتها الآنسة ! ولا تدركين تلك اللحظات التى بنسى فيها الجندى الفرق بين الحد واللعب .. هناك حيث ينزل إلى ميدان واسع غامض ، وبين قدميه مصيره كأنه كرة .. لا يطرق سمعه تصفيق الناس ولا هتاف الجماهير .. لا تخطر فى باله فكرة البطولة . فهو مشغول عنها وعن غيرها من الأفكار ! .. إنه يفكر فى مواجهة الموت كما لو كان يواجه امرأة خطرة الحسن ، بقلب يتأجج ناراً .. بل إنه لا يفكر على الإطلاق .. إنما الذى يفكر هو سلاحه الذى فى يده .. عندما نتلقى الأمر بالهجوم ، نشعر كأن مركز التفكير فينا قد انتقل من الرأس إلى المسدس .. لكأنه يعرف بغريزة مجهولة ماذا يصنع وماذا ينبغى أن يصنع ؟ . وإننا لندعه يقودنا فى خضم الخطر ، دون أن نتيح له من حب السلامة مقاوماً .. ننطلق معه ، ولا نفكر عندئذ فيما سوف يحدث .. لهذا أغضب عليك ، وأخاف منك ، كلما وصفتنى بشىء ما رأيته فى نفسى اليوم قط ! ...

المرضة : ليس من الضرورى أن ترى أنت .. يكفى أن نرى نحن ..

الضابط : أواثقة أنت أنك لست مخدوعة ؟

المرضة : اطمئن ! . لست أنا التى يسهل الآن خداعها ! .

الضابط : من يدرى .. ربما كان هذا أيضاً نوعا من التمريض .. هذه المبالغة والمغالاة وهذا التشجيع والتضخيم ! . ولكنك لا تعرفيننى ! . إنى شاب صريح ، أحب الصدق .. وإنك لتحملينني بتمريضك الروحى هذا على السخرية منك ومن نفسى ! .. أقسم لك أن لا شىء يريحنى حقاً غير الوضع الصحيح للأشياء .. لا أقبل مطلقاً أن أحاط

بإطار مسرحي من الثناء ! أيتها الآنسة ! ... حذار من سخطي ومن احتقاري ! .. أنا الذي كاد يعتقد أن الحرب قد خلقت مني ومنك ومن أمثالنا جيلا آخر ، يجرى فى دمائه شعور جديد .. عندما قلت لك إنى قد تغيرت ما قصدت أنى قد صرت بطلا فى نظر نفسى ! .. «بطل»!.. إنى أمنعك من ذكر هذه الكلمة لى أو نسبتها إلى .. إنك لا تدركين مبلغ ما فيها لى من إيذاء ! .

المرضة : إيذاء ؟ . لك أنت ؟ . أيقوم فى روعك أنى أوذيك بهذه الكلمة .

الضابط : إنها نوع من الصدقة . لا أقبله ! ..

المرضة : صدقة ؟ .. أرجوك .. لا تقل ذلك ! ..

الضابط : هدية .. إذا شئت .. رداء موشى خاطف البريق .. لا أجرؤ أن أرتديه وأمشى به فى الطريق .. دون أن يعترينى الخجل ، وأتصور الناس تتبعنى بأنظارها قائله هامسة : ياله من ادعاء ! ..

المرضة : ما خطر لى ببال أن أقدم إليك هدية ! .. حتى ولا هذا المشبك الذهبى الصغير .. أنت الذى أردت الاحتفاظ به .. وأرجو من فضلك أن ترده إلىّ فى يوم من الأيام ..

الضابط : سأرده .. فى يوم من الأيام ! ..

المرضة : نم الآن .. قبل أن تصيبك نكسة من كثرة الكلام .. إنى ذاهبة ..

الضابط : (**بشىء من العنف**) قلت لك لن أنام ..

المرضة : (**ببعض العنف**) آمرك أن تستريح ، وأن تغمض عينيك ، وأن تكف عن كل ما ينهك قواك ..

الضابط : لست أتلقى منك أمرا ..

المرضة : إذا كنت فى الميدان مكلفاً بطاعة قوادك ورؤسائك ، فأنت هنا فى المستشفى مكلف بطاعة أطبائك وممرضيك ! ..

الضابط : فى مقدورى أن أطيع أمراً بالهجوم .. ولكنى لا أستطيع أن أطيع أمراً

بالنوم ! ..

المرضة : وأنا لا أستطيع أن أتحمل تبعة عصيانك ! .. (**تتحرك للانصراف**) .

الضابط : (**يلطف فجأة من لهجته**) أتذهبين ؟ ..

المرضة : سأنصرف إلى غيرك من الجنود .. أوَ تحسبنى منقطعة لتمريضك وحدك .

الضابط : أصبت .. اذهبى إليهم ... ولكنى ..

المرضة : ماذا ؟ ..

الضابط : سأنتظر عودتك ! ..

المرضة : شفاؤك قريب .. وستخرج من هنا بعد أيام ..

الضابط : أعرف أن فراقنا قريب .. ولهذا .. (**يرمقها صامتاً**)

المرضة : لماذا تنظر هكذا إلىّ ؟..

الضابط : لا شىء .. اذهبى .. هأنذا أطيعك وأغمض عينىّ ! ..

المرضة : نعم .. نم الآن قليلا .. بغير أحلام ! ..

الضابط : (**وهو يغمض عينيه**) صورة واحدة ستلازمنى فى النوم واليقظة . إلى آخر لحظة ! ..

(ستار)

المنظر الثانى

(فى ميدان القتال ... « الضابط » وهو قائد الفصيلة الأولى المرابطة فى الخط الأمامى ، يتحدث همسا إلى قائد السرية وقد جاء يتفقد الحالة قبل الهجوم على حصن الأعداء .. وقد كاد ينتصف الليل ... وقصف المدافع المصرية يهز الأرجاء ..)

قائد السرية : (**ينظر فى ساعته**) بعد سبع دقائق تتوقف بطارياتنا عن الضرب ! ..

الضابط : نعم .. لقد فرغت من مهمتها .. وبقى علينا نحن القيام بالباقى ! ..

قائد السرية : يجب أن تعلم أن مهمتك خطرة ! ..

الضابط : ليست أخطر من مهمة غيرنا .

قائد السرية : أظن أنها أخطر .. لا تنس أن عليك أن تتقدم على رأس دوريتك المقاتلة ، لتفتح ثغرة فى الأسلاك الشائكة حول هذا الحصن المنيع ! ..

الضابط : معنا قصافات الأسلاك ! ..

قائد السرية : أمامك حقل من الألغام ، مغطى بنيران العدو ! ..

الضابط : معنا مجسات الألغام ! ..

قائد السرية : صدرك قد يتلقى رصاص القنّاصة الغادرين ...

الضابط : فليروا صدرى .. ولكننى سأعرف كيف أرى ظهورهم ! ...

قائد السرية : كل شىء إذن على ما يرام ...

الضابط : نعم .. اعتمد على فصيلتى ، وعدمطمئناإلى موقعك ..

قائد السرية : ما كنت أظن أنى سأراك هنا بهذه السرعة ! .. ولا أدرى كيف

عدت إلينا هكذا على عجل ، بعد خروجك من المستشفى .

الضابط : لا تذكرنى الآن بالمستشفى .

قائد السرية : أكان جرحك أليما ؟ ..

الضابط : (**يشير إلى جهة الحصن**) انظر ! .. انظر ! .. لقد أطاحت قنبلة المدفع ببرج الحصن ! ...

قائد السرية : (**ينظر بمنظاره**) نعم .. يا له من عمل رائع لمدفعيتنا !! ...

الضابط : الدخان يرتفع من أرجاء الحصن .. أنبدأ زحفنا ؟ ...

قائد السرية : (**ينظر فى ساعته**) انتظر لحظة .. إن الدقائق السبع لم تنقض بعد .. أخبرنى .. إنك لم تحدثنى ...

الضابط : عن ماذا ؟ .

قائد السرية : عما رأيت وسمعت فى القاهرة أثناء مدة علاجك ..

الضابط : آه .. لقد رأيت ..

قائد السرية : إنى مصغ .

الضابط : لا شيء ..

قائد السرية : ما لصوتك قد تهدج ؟ ..

الضابط : كم الساعة الآن ؟ ..

قائد السرية : إذا صدقت فراستى ، فإنك قد قابلت هناك شخصا عزيزاً ! ...

الضابط : الأمر لا يحتاج إلى فراسة .. كلنا لنا هناك شخص عزيز .. ولكن ..

قائد السرية : ولكن ماذا ؟ ..

الضابط : أهذا مكان وزمان نتحدث فيهما عن ذلك ؟! ..

قائد السرية : إنه خير موضع وظرف ، نستأنس فيهما بالصور الموضوعة فى قلوبنا .

الضابط : قلوبنا .. عجيب ذلك الذى حدث لهذه القلوب .. لقلبى أنا على

الأقل ... لكأنه هو أيضا قد تحول إلى ميدان حرب .. طغى فيه هدير المدافع على الهمسات والبسمات .. ولكن سجع اليمام يسمع أحيانا رقيق النغم ، حلو الهديل ، بين طيات الرعد القاصف .. صدقت . هنالك صورة ، وهنالك صوت .. لا بد أن نحملهما معنا فى أخطر المواقف ، وأحرج اللحظات ! ..

قائد السرية : (**يحدق فى صدر الضابط**) ما هذا الشىء الذى يبرق فى صدرك ؟ ..

الضابط : هذا .. مشبك ذهبى ..

قائد السرية : (**باسما**) يا لها من أناقة ، جديرة بعاشق يسير فى حديقة أزهار ، لا فى حقل ألغام ! ..

الضابط : لست أجد الآن فرقا كبيرا بين الحديقتين ... لكل من الزهر تحت الخمائل ، واللغم تحت الأسلاك ، مقص ومجس ! ..

قائد السرية : أنت أيضا تنتابك هذه الأفكار ؟ ...

الضابط : أى أفكار ؟ ..

قائد السرية : خيل إلىّ أنى وحدى الذى اكتشف حقيقتنا المدفونة ككنز ، التى كنا نجهل وجودها فى أنفسنا .. إنى لم أعد بعد إلى القاهرة ، منذ بدء المعارك .. ولكن إذا قدر لى عمر وعودة إلى الوطن ، فإنى على ثقة من أنى سأكون رجلا جديدا ... لذلك سألتك الساعة عما رأيت هناك .. هل نحن وحدنا الذين تغيرنا ... أو أن أهل بلادنا حدث لهم كذلك مثل الذى حدث لنا ؟ ..

الضابط : (**يشير إلى الحصن**) انظر .. ما هذا ؟ .. أحق ما أرى أم هو سراب ؟ ...

قائد السرية : (**يمسك بمنظاره**) ماذا ؟! ..

الضابط : هذه الرايات البيضاء التى ترفع فوق الحصن ؟! ..

قائد السرية : (**يرى بمنظاره**) نعم .. نعم .. حقاً .. إنها رايات التسليم ! ..

الضابط : إذن .. فلنقتحم الحصن فى الحال ! ...

قائد السرية : مهلا .. يجب أولا أن نخبر مركز القيادة الرئيسى ... (**يسرع إلى تليفون الميدان ويخاطب القيادة**) : رفعت رايات التسليم فوق الحصن ... أفندم ؟ يحتمل أن تكون خدعة ؟ .. ترسل الفصيلة الأولى ؟ ...

الضابط : فصيلتى ؟ ...

قائد السرية : (**وهو يترك جهاز التليفون**) نعم ... ولكن يجب أن تكونوا على حذر .. فهؤلاء الأعداء غادرون ... وقد يكون التسليم خدعة ، لا جتذاب عدد كبير من جنودنا ... حتى إذا اقتربوا من العدو ، فتح عليهم النيران ...

الضابط : لن يذهب أحد من جنودنا ...

قائد السرية : ومن يذهب ليتلقى التسليم ! ...

الضابط : أنا ... بمفردى ! ...

قائد السرية : وإذا كان فى الأمر غدر ، وأطلق عليك قناصتهم الرصاص ؟ ...

الضابط : لن يظفروا عندئذ بغير قتيل واحد ! ..

قائد السرية : لا .. لن أفرط فيك أنت .. فليذهب ...

الضابط : لا تبحث عن أحد غيرى ... أنا قائد الفصيلة الأولى ... ولن أعرض أحداً من رجال فصيلتى ... سأذهب وحدى !...

قائد السرية : لن أصدر إليك هذا الأمر ! ...

الضابط : لقد صدرت إليك تعليمات القيادة بتحرك الفصيلة الأولى ... فصيلتى ... وليس لك أن تخالف أوامر القيادة ! ...

قائد السرية : هذا صحيح ... فلتذهب إذن فصيلتك ...

الضابط : أنا حر إذن فى اختيار من يذهب معى منها ... فأنا قائدها ... وقد

اخترت نفسى ! ...

قائد السرية : إذا صدقت فراستى فأنت مقتول ! ...

الضابط : يسرنى أن أضع فراستك هذه المرة موضع الامتحان ... خذ هذا ! ...

قائد السرية : (**يتلقى من يد الضابط شيئاً نزعه من صدره**) مشبكك الذهبى ؟ ...

الضابط : إنه ليس لى ... لممرضة متطوعة فى المستشفى العسكرى بالقاهرة ... إذا قتلت أنا .. وعدت أنت إلى الوطن سالماً فاذهب وابحث عنها ... ورد هذا المشبك إليها ...

قائد السرية : ما اسمها ؟ ..

الضابط : لست أدرى ... إنى ما سألتها قط عن اسمها ... ولكنى واثق أنك ستجدها ... قل لها : لقد كان وعدك أن يرد إليك هذا المشبك فى يوم من الأيام ... وقد بر بوعده ... أما الثمن المرتفع الذى قدره فى نظير الاحتفاظ به هذه اللحظات ، فإنه لم يستطع أن يدفع أكثر من حياته ... إلى اللقاء أو وداعاً ! ...

(**يقفز الضابط إلى سيارة صغيرة ويمضى إلى الحصن** ...)

قائد السرية : اذهب فى حفظ الله ! ..

(**يرفع قائد السرية منظاره إلى عينيه ويتبع الضابط**)

الضابط : (**صائحا**) إذا أطلقت لكم وهجاً من مسدسى ، فهى إشارة إلى أن التسليم صادق .

قائد السرية : (**للجنود**) اصطفوا وارقبوا الإشارة .. ها هو ذا قائدكم يذهب بمفرده (**يتبعه بمنظاره**) إنه الآن يقترب من أسلاك الحصن ... آه ... يا للجبناء ! .. يا للأنذال ! .. (**صائحا**) إنهم ينزلون

الرايات البيضاء ... لقد سحبوا التسليم .. ما هذا .. ما هذا ؟ ... صوت طلقات مدفع رشاش ؟ .. قتلوه ! .. لقد قتلوه .. قتلوه .. قتلوه .. مات الرجل ! ..

الجنود : (**بغيظ وتأثر**) مات الضابط ! ..

قائد السرية : (**بجلد وفى عينيه دمعة**) ولكن ... ولد البطل ..

(**ستار**)



من وحي رجال الأعمال وصراع الأجيال

اللِّصّ

قصة تمثيلية في أربعة فصول

الفصل الأول

(حجرة نائية فى منزل فخم بالزمالك . بها فرش وثير ومقاعد مريحة ، وخزانة للملابس وخزانة للزينة ، وبها نافذة مفتوحة تطل على حديقة المنزل .

الحجرة غارقة فى الظلام . ولكن شعاعاً من بطارية كهربائية صغيرة ينطلق فى الحجرة من جهة النافذة . ويظهر شبح يتسلق جدار النافذة صاعداً من الحديقة إلى الحجرة .

ويتحرك الشبح فى أرجاء الحجرة مصوبا شعاع بطاريته إلى أركانها .

ويقع الشعاع أخيراً على الفرش . ثم على مصحف فوق الوسادة . فيتقدم الشبح إليه ويتناوله فى يده ويقرأ غلافه تحت ضوء البطارية ..)

الشبح : (**يقرأ ثم يهمس فى عجب**) مصحف ... نشر المكتبة الأحمدية بالأزهر ! ...

(وعندئذ تدق الساعة دقة واحدة بعد منتصف الليل ، فينطفئ شعاع البطارية فى الحال « كالمفزوع » ، ثم تسمع أصوات تقترب ، فيترك الشبح المصحف فوق الفرش ، ويسرع باحثا عن مكان يختبئ فيه ، ويهتدى إلى ستارة النافذة فيختفى خلفها ... وعندئذ يفتح باب الحجرة ، وتدخل « الآنسة خيرية » بملابس الخروج ، وتدير زراً فى الحائط قرب الباب فتضيء الحجرة ، وإذا خلفها « الباشا » داخلاً الحجرة بملابس الخارج ! ...)

خيرية : (**تصد « الباشا » بأدب**) لا تدخل .. أرجوك ! ..

الباشا : (**يرسل أنظاره فى أنحاء الحجرة متنهداً**) الجنة ! ... بأى حق تصدينني عن دخول الجنة !؟ ..

خيرية : انصرف .. من فضلك ..

الباشا : أى ذنب ارتكبت لأطرد من هذه الجنة ؟ ..

خيرية : حجرتى ليست الجنة ! ..

الباشا : كل مكان تحلين فيه هو بالنسبة إلىّ نعيم معطر بأنفاسك ! ...

خيرية : إنى لفى جحيم .. فى جحيم ..

الباشا : مرحباً بهذا الجحيم ! ... مهما يكن من سعير جحيمك فإنه لا شيء إلى جانب نيران قلبى ! ...

خيرية : أهى رواية « السينما » التى أخرجتك الليلة عن أطوارك ؟ ..

الباشا : كان العاشق فى الرواية أبرد من لوح الثلج ! ..

خيرية : كان سلوكك معى فى السينما غير لائق . أحذرك من أن تمسك بيدى هكذا فى الظلام مرة أخرى . تذكر أمى التى كانت بجوارى ، غارقة فى ثقتها العمياء ، وحبها العميق لك ! ..

الباشا : لم يكن لى على يدى حكم ولا سلطان ، لكأن فى تلك اليد قلباً مستقلا يدفعها إلى يدك ! ...

خيرية : إنك ستدفعنى إلى كارثة ...

الباشا : إنى واثق أن صدك لن يدوم طويلا ، أوَ مستطيع كيانك الرقيق أن يقاوم اللهب ؟ .. مهما تفعلى فأنت محترقة بما يضطرم به قلبى من غرام ! ..

خيرية : (**مرتاعة**) بابا ..

الباشا : لا تنطقى بهذه الكلمة ... لا تنطقى بهذه الكلمة ! ..

خيرية : أرجوك أن تذهب ... اذهب ...

الباشا : أرجوك ألا تحرمينى هذه اللحظة ! .. حذار أن تحرمينى هذه اللحظة بقربك فى هذا الليل الساكن الجميل ... لحظة واحدة منك أشتريها

بكل ما فى رصيدى من أموال ... اسأليني شيئاً مهما يكن باهظاً ... اطلبى .. لا تخجلى ... ليس أحب إلى نفسى من أن أراك تطلبين إلى طلبا ... ولو كان روحى ! ..

خيرية : أطلب خروجك ...

الباشا : خروج روحى !؟ ..

خيرية : خروجك أنت من هنا ... من حجرتى الآن ! ..

(الجرس يدق فى البهو ...)

خيرية : هذه أمى ! .. أمى تدعو الخدم لتسأل عنك ... إنها لم ترك صاعداإلى حجرتك ... اذهب إليها ... اذهب ! ...

الباشا : سأذهب لأخلع ثيابى ، ثم أعود ! ...

خيرية : إنى متعبة .. سأغلق بابى وأنام! ..

الباشا : لا تنامى يا « خيرية » قبل أن أراك مرة أخرى ... وأقدم إليك ما أعددته لك من مفاجأة ... ألا تعرفين أنى سأفاجئك بما يبهرك ! ...

خيرية : فى الصباح .. قدم إلىّ ما أعددت فى الصباح ! ..

الباشا : بل الليلة .. إن هذه المفاجأة لا يكون لها معنى إلا فى الليل ! ...

(الجرس يرن فى البهو ...)

خيرية : اذهب قبل أن تقلق أمى ، وتأتى فتجدك هنا ! ...

الباشا : إلى اللقاء ! ... بعد ربع ساعة .. لا تنامى ... سأطرق بابك ، لأوقظك ! ...

(يخرج وهو يرسل إليها قبلة فى الهواء)

خيرية : (تندفع إلى الباب وتغلقه بالمفتاح) أف ... إلهى .. إلهى ... أنقذنى مما أنا فيه ... أرسل إلى ملاكا أو شيطانا يخرجنى من هذا المأزق ...

(الشبح يخرج من خلف الستار ، وإذا هو شاب وسيم فى ثياب نظيفة ، ولكنها غير فاخرة)

الشاب : هأنذا ..

خيرية : (**تصرخ صرخة مكتومة**) النجدة !!...

الشاب : (**يبادر ملاطفاً**) لا تصرخي ... ولا تستنجدى .. ألست أنت التى سألت الله أن يرسلنى إليك ! ...

خيرية : من أنت ؟ ...

الشاب : ملاك أو شيطان .. لست أدرى ..

خيرية : (**تنظر إلى النافذة المفتوحة بجوار الستارة**) لص ؟؟ ..

الشاب : يا للناس ! ... أهكذا تسمون من يأتى إليكم من السماء ؟ ...

خيرية : إنك جئت من هذه النافذة ...

الشاب : لأنها أسهل طريقة ...

خيرية : ماذا أنت تصنع هنا فى حجرتى ؟ ...

الشاب : أولا ، ألا تذكرين أننا تقابلنا قبل الآن ؟ ...

خيرية : تقابلنا !؟ .. أين نستطيع أن نتقابل ؟ ...

الشاب : (**يتناول المصحف**) من أين اشتريت هذا المصحف ؟ ...

خيرية : من مكتبة فى حى « الأزهر » ! ...

الشاب : بالضبط ... من « المكتبة الأحمدية » ، ألا تذكرين البائع الذى يدير المكتبة ؟ .. تفرسى وجهى جيّداً ...

خيرية : (**تتفرس وجهه**) أنت ! .. حقا ...حقا ... تذكرتك ..

الشاب : كان ثمن المصحف ثلاثين قرشا ، ولكنك دفعت إلىّ ورقة من فئة الخمسة الجنيهات . فأوقعتنى فى حيرة ، ولم يكن فى المحل وقتئذ نقود صغيرة لأرد إليك الباقى !.

خيرية : نعم ... نعم .. أذكر الآن .. وقد قدمت إلى كرسيًّا . وطلبت لى كوبا من العرقسوس ، من بائع جائل وذهبت تبحث عن الفكة ! ..

الشاب : تاركا المحل فى حراستك ! ..

خيرية : وجاء فى غيبتك بعض الزبائن يسألوننى عن كتب فى التفسير والفقه ، ويدهشون لبائعة فى حى الأزهر بثيابى هذه ...

الشاب : التى على آخر « موضة » ! ...

خيرية : (تتأمله) حقا .. هذا أنت .. ولكن ماذا جئت هنا تصنع فى حجرتى ، فى مثل هذه الساعة من الليل !؟ ..

الشاب : جئت كى ... أتريدين الصراحة ؟ ..

خيرية : أريد الصراحة طبعاً ...

الشاب : إنى الآن خجل من ذكرها .. ما كنت أحب القدر يوقعنى فى بيتك أنت بالذات ، وفى حجرتك ، ولكنى تخيرت منزلا فخماً فى حى « الزمالك » ، لا أعرف لمن ، وبعد أن تمكنت من دخول الحديقة ، وجدت نافذة مفتوحة ، فى هذا الطابق الأول . فمن غير المعقول أن أتركها ، وأتسلق إلى حجرة مغلقة فى الطابق الثانى ، خصوصاً وأنا حديث عهد بهذا العمل غير الشريف ! ..

خيرية : (فى دهشة واستنكار) جئت تسرق ؟ ...

الشاب : بل أقترض .. لقد كان فى نيتى أن آخذ من هنا حاجتى من النقود على سبيل القرض ... ثقى بذلك ، ولو لم تفاجئينى الساعة لوجدت ها هنا قرب فرشك ورقة ، هى إيصال بالمبلغ ، ووعد بالسداد عندما ينجح المشروع ! ..

خيرية : أى مشروع ؟ ...

الشاب : مشروع تجارى ، لا يهمك فيما أظن أن تعرفى الآن تفاصيله ...

خيرية : أوَلا يستطيع البنك أن يقرضك ما تريد ؟ ..

الشاب : أنا لا أحب التعامل مع البنك ، أتدرين لماذا ؟ .. لأنه لا يثق بى .. إنه يقول لى : قبل أن تقترض منى أخبرنى أين رصيدك وأين ضامنك ؟ .. يجب أن أكون غنيا ليدفعوا لى ... ثراء يقرض ثراء .. تلك هى

البنوك ... خلقت لتمد الأغنياء ، أما بنك الفقراء فلم يخلق بعد ... ذلك البنك الذى لا يطالب المحتاج المعدم إلا برصيد من نيته وضامن من ضميره ...

خيرية : (**تفتح حقيبة يدها**) كم تريد أن أقرضك ؟ ...

الشاب : مائة جنيه بالتمام ! ...

خيرية : مائة جنيه ؟ .. هذا مستحيل ... إنى لا أملك فى حقيبتى أكثر من .. انظر بنفسك ... من ثلاثة وعشرين ...

الشاب : آسف . إن سوء الحظ يلازمنى .. ألا أستطيع يا ربى العثور على مائة جنيه بشرف أو بغير شرف ؟! ..

خيرية : أنت أيضا تريد أن تعتدى على الشرف !؟ ... كل الناس من حولى لا يعنيهم الشرف ! .. إلهى ! .. إلهى ! ...

الشاب : عفوا أيتها الآنسة ... أعلم لماذا تقولين ذلك ! ... أنانيتى حبستنى فى نطاق مصالحى وأهدافى . ولكنى أعرف ما أنت فيه لقد سمعت كل شىء من خلف هذه الستارة ! ...

خيرية : سمعت كل شىء ؟؟ .. نعم لا بد أنك سمعت ! ...

الشاب : إنها حقاً لكارثة ! ... أهذا الرجل أبوك ؟ ..

خيرية : لا ! ..

الشاب : ليس أباك ؟ .. ولكنى سمعتك تقولين له يا « بابا » ! ...

خيرية : أقول له يا « بابا » ، ولكنه ليس أبى (**كالشاردة**) آه إن هذا فظيع ! ..

الشاب : ما هذا الاصفرار على وجهك ، وما لشفتيك ترتجفان ؟! ..

خيرية : (**تجلس متخاذلة على مقعد**) أرجو أن تتركنى الآن وحدى ! ...

الشاب : أخبرينى ماذا بكِ ؟ ...

خيرية : (**تضع رأسها فى كفيها**) دعنى ! ... دعنى لمصيرى ! ...

الشاب : لمصيرك ؟ ... لست أفهم شيئا ، يا له من أمر عجيب ! ... لقد

قابلتنى بشجاعة . وقد رأيتنى فجأة فى حجرتك ! ... وها هى ذى شجاعتك تخونك فجأة لأمر لا أعرفه ! ...

خيرية : أرجوك . لا شأن لك بى (**تتناول حقيبتها**) ألا يكفيك هذا المبلغ الذى معى ؟ ...

الشاب : ألا تريدين أن تطلعينى على ما يعذبك ؟ .. ربما استطعت لك بعض المعونة ؟ ..

خيرية : لا أظن فى مقدورك أن تصنع لى شيئا ... تكلم فى شأنك أنت .. ليس فى حقيبتى الآن ما أقدم إليك سوى ...

الشاب : صدقت ! ... ليس من حقى أن أسألك الإفضاء إلىّ بأسرارك، فلأرجع إلى شئونى أنا ... أصارحك أن المبلغ الذى أحتاج إليه هو مائة جنيه ! ... لاتنقص قرشا ... ولا تزيد قرشاً ! ..

خيرية : ولماذا تصر على هذه المائة جنيه ؟! ! ..

الشاب : للمشروع ! ...

خيرية : ما هذا المشروع ؟ ...

الشاب : اسمعى ... لا بأس عندى الآن من أن أطلعك على مشروعى ، بل ولا ضير من أن أكشف لك عن كل حياتى .. أنا يا آنستى كنت طالبا فى كلية الآداب .. وكان أبى موظفاً فى إحدى الشركات الكبرى ، وله سبعة أولاد غيرى ، فمات ولم يترك لنا شيئاً ، إنما ترك بعض أولاده عاجزين عن مواصلة دراستهم فتشردوا يطلبون الرزق من أعمال مختلفة ، وكان نصيبى هذا العمل فى المكتبة التى رأيتنى فيها بحى الأزهر ... صاحبها أمّى لا يعرف القراءة ولا الكتابة ، فكنت أنا له اليد اليمنى بل المعين والعقل والروح ، وأخلصت لعملى كل الإخلاص ، فكنت أنا الذى أعقد له صفقات الكتب القديمة والحديثة . وأقتنى له المصاحف النفيسة والرخيصة ، ثم أبيعها له بأحسن الأثمان ، وآتى له

بأوفر الأرباح . وأنظم له المكتبة ، وأنظفها وأكنسها ، وأنفض الغبار عن رفوفها ، وأرش بالخرطوم أمام بابها ، بينما يجلس هو يدخن الشيشة ويشرب الشاى الأخضر فى المقهى المجاور ، ثم فوق ذلك أحتال له على مغمورى المؤلفين فآخذ منهم مؤلفاتهم وعصير أذهانهم بأبخس الأجر ، ملوحاً لهم بسراب المجد نافخاً فيهم روح الفخر ، فيطبعها هو ، أو على الأصح أباشر أنا طبعها له . وأشرف على نشرها ، فيكون له من وراء ذلك جميع الغنم ، ولمؤلفيها الأفاضل المتضورين جوعاً لا شىء غير الوهم .. وكان لى على كل هذا التفانى فى الخدمة والإخلاص فى العمل مرتب شهرى . أتدرين كم مقداره يا آنستى ؟ ...

خيرية : كم ؟ ... عشرون جنيها على الأقل ..

الشاب : سبعة جنيهات ...

خيرية : ماذا تقول ؟ ..

الشاب : الحقيقة .. وكلما رجوته أن يرفع مرتبى قليلا بكى واشتكى ، ثم هدد وتوعد، ثم جعل أذناً من طين وأخرى من عجين ... وردد عبارته الدائمة : « اصبر وتحمل » ، فصبرت وتحملت إلى أن شيد فوق أكتافى عمارة فى السكة الجديدة مكونة من سبع طبقات ، وأخيراً يا آنستى حدث ذات يوم أن دب بيننا خلاف ؛ إذ اتهمنى بأنى حابيت مؤلفا مغموراً ، فاتفقت معه على أجر لكتابه استكثره على واستهوله . مع أنه أجر لا يكاد يمسك الرمق ، فصرخ فى وجهى وشتمنى وسبنى وسمع كل أهل الحى صياحه وهو يقول لى : « سرقتنى ، جعلت المؤلفين يسرقوننى أيها اللص ! .. أيها اللص ! .. » ونسى خدماتى الطويلة له ، وعرقى الذى سال فى جيوبه ذهباً وهو جالس « بشيشته » فى المقاهى ، فطردنى أشنع الطرد! .. نعم طردنى أمس فقط .. فخرجت من دكانه على غير هدى ... لا أدرى ماذا أصنع ؟ .. أسائل نفسى :

ما هو ذلك الشيء الذى جعل منه سيداً ، وجعل منى كلباً ؟ .. أهو العلم ؟ .. لا .. أهو العمل ؟ ... لا .. فأنا الذى من نصيبى هذان الشيئان ! ... ما هو ذلك الشيء إذن ؟ .. لا شك أنها تلك « المائة » جنيه التى اعترف لى يوماً قائلا بزهو إنها كانت كل رأسماله الذى فتح به تلك المكتبة فى أول عهدها ! .. نعم مائة جنيه .. عندئذ أقسمت أن أعثر على مبلغ ١٠٠ جنيه مثل التى فتح بها مكتبته من أى طريق لأفتح مكتبة ، وأستخدم موظفاً أعتصر جهوده قطرة قطرة ، وأشيد فوق كاهله ، حجراً حجراً ، عمارة من سبع طبقات فى السكة الجديدة أو الحسينية ، أو حتى فى باب الشعرية ! ... ذلك هو مشروعى أيتها الآنسة ! ..

خيرية : نعم ... نعم .. فهمت ! .. ولكن ...

الشاب : لكن ماذا ؟ ..

خيرية : كل هذا لا يبرر أن تكون لصا !؟ ..

الشاب : وهل كنت كذلك حقا ، عندما اتهمنى مخدومى ظلما وصاح بى فى حى الأزهر : أيها اللص ؟! .. لقد كنت وقتئذ أشرف إنسان ... ولكن الناس صدقوه هو ، وما دار فى خلدهم قط أن اللص الحقيقى هو ذلك الصارخ المستنجد .. ما عاد يهمنى مصدر النقود يا آنستى ... ما دمت لم أضبط ، وما دام فى جيبى هذه المائة جنيه ، فسوف أرغم الدنيا كلها على احترامى وأتهم بملء فمى أشرف الناس باللصوصية ! ..

خيرية : إنى أعذرك ، وأدرك ما أنت فيه .. إن الإنسان فى مثل موقفك ليثور أحياناً على كل الأوضاع ، ويفقد إيمانه بالفضيلة ، ولكنى مع ذلك لا أقرك على هذا المسلك .. ثق أنى لا أقولها تنصلا من إعطائك ما تريد ، فإنى سأدبر لك المبلغ مهما يكلفنى ذلك . ولكن لن أنسى مطلقا أنك لص ضبطته فى حجرتى ! ...

الشاب : رأيك فيّ له قيمته ولا شك ، لكن الذى أطمع فيه الآن ليس نبل المسلك ، ولا حسن السمعة ولا طيب الأحدوثة ! ..

خيرية : أخشى أن تندم يوما على هذه الزلة ! ..

(يسمع طرق خفيف على باب الحجرة . فيرتبك الشاب ولا يدرى ما يفعل ، ويضع إصبعه على فمه طالباً من الفتاة ألا تكشف أمره ، ويستمر الطرق فيسرع الشاب إلى الاختفاء خلف ستارة النافذة بينما تتجه « خيرية » إلى الباب وتلمس مقبضه ولا تفتحه)

الباشا : (**يهمس من خلف الباب**) أنا يا « خيرية » ، هل أدخل ؟ ...

خيرية : (**تنظر إلى الستارة ثم إلى الباب مترددة ثم تسرع قائلة**) لا .. لا يا بابا . لا تدخل ... الآن .. إنى ... إنى لم أخلع ثيابى بعد ! ...

الباشا : (**همسا من الخارج**) خذى راحتك ... سأعود بعد قليل ! ...

(يسكت صوت « الباشا » وتظل « خيرية » لحظة بلا حراك تنظر إلى الباب ، ويبرز الشاب رأسه خلف الستارة ، فتلتفت إليه الفتاة طالبة إليه بإشارة من يدها ألا يحدث صوتا ، ولا ضجة ...)

الشاب : (**يخرج من خلف الستارة هامسا**) شكراً لك أيتها الآنسة .. لقد أنقذت حياتى ، أو حياة ذلك الرجل ، إذ لو كان دخل وضبطنى ...

خيرية : يجب أن تذهب الآن ! ..

الشاب : نعم .. قبل أن يعود ! ...

خيرية : (**كالمخاطبة لنفسها**) يعود ؟ ... نعم ... إنه لا شك عائد الليلة ! .. إنى أفضل أن أفتح بابى هذا للموت على أن أفتحه الليلة لهذا الرجل ! ..

الشاب : هذا الرجل الذى يعرض عليك غرامه ، ويعد لك مفاجأة ؟ ..

خيرية : ألا تستطيع الأرض أن تبتلعنى قبل أن يأتى ؟ .. ألا تستطيع السماء أن تخطفنى ؟ ... أين أذهب ؟ .. أين أهرب ؟ ..

الشاب : لو أخبرتنى بأمرك أيتها الآنسة !؟ ... لقد أخبرتك أنا بأمرى ، إنى

أراك فى محنة .. لا أعرف ما هى ؟ ... أطلعينى على محنتك ... وثقى أنى حفيظ لأمانتك ؛ إنها لسعادة كبرى أن تتيح لى الظروف أن أكون موضع سرك ! ..

خيرية : بل قل إنها لسخرية كبرى ! ... لكن ... ما حيلتى ... ما من شىء أمسى يصدمنى أو يحرجنى بعد هذا الحرج الذى أنا فيه . إنى لست فقط فى حرج .. بل إنى لفى خطر . نعم إنى فى هذه الحجرة أشد تعرضا للخطر منك أنت ! ...

الشاب : تتعرضين للخطر وأنت فى حجرتك هذه ؟ .. أيتها الآنسة ! .. ليس لى حق التدخل فى حياتك أو الاطلاع على شئونك ، ولكن واجبى كإنسان تتحتم عليه حمايتك ، يرغمنى على أن أطلب إليك الإفضاء إلىّ فى الحال بأمرك ! .. تكلمى ! ... بل أحتم عليك الكلام ! ...

خيرية : (**تطرق لحظة تفكر ثم ترفع رأسها**) اسمع إذن يا سيدى ... اللص أو المقترض، أو المجتهد، أو ماشئت ... لا تهمنى صفاتك ولا مؤهلاتك... كل ما يهمنى أنك إنسان... أستطيع الآن أن أسمعه قصتى التى كتمتها فى صدرى، وكدت بها أختنق. قلت لك إن هذا الرجل ليس أبى.. لقد مات أبى منذ أكثر من ثمانية أعوام، وكنت فى الثالثة عشرة، فلم ينقض عام حتى تزوجت أمى هذا الرجل؛ فقد كانت فى عنفوان جمالها، وما كان من الممكن أن تظل طويلا بلا زواج، فتتعرض لأقاويل الناس... ومنذ زواجها ألحقت بالقسم الداخلى فى المدارس الأجنبية إلى أن تخرجت منذ شهور.. وكان لا بد لى بعدئذ أن أتخذ هذا البيت سكنى، وأن أعيش مع والدتى وزوجها. ولقد أوصتنى أمى أن أتخذ من هذا الرجل أبا ، فأطعتها، وصرت أناديه يا بابا، وكان هو يحدب على حقا، ويحوطنى بعطف وعناية وحنان امتلأ بها قلبى اطمئنانا وأفعم بها قلب والدتى اغتباطا. ومرت الأيام وهو يزداد حرصاً على إرضائى وتدليلى ويكثر من الذهاب بى إلى السينما مع

والدق أحياناً وأحيانا بدونها . وفى الظلام الدامس يأخذ يدى فى يديه ، ويميل بوجهه حتى يلامس خده شعرى، وأحس حرارة أنفاسه تهب لافحة محرقة على أذنى كريح الخماسين ... إنها ليست حرارة الحب الأبوى .. إنها شيء ارتجف له قلبى خوفا ، وجسدى اشمئزازاً ، وصرت أظهر التعامى والتجاهل وأبدى التغابى والتغافل ، وصار هو يلاحقنى بالتلميح تارة ثم بالإشارة ، ثم أخيراً بالتصريح ، ثم انتهى إلى التوسل والتذلل والترغيب والإغراء . لايخجله استنكارى الذى أبديه بفزع وجزع ، ولا تصده عنى كلمة « بابا » التى ألقيها بينى وبينه ؛ كأنها تعويذة تقى من شيطان .. لقد أسفر الآن عن وجه مآربه ... إنه لا يرانى كابنته . ولكن كامرأة ، وهو يريدنى بأى ثمن أن أكون له ...

الشاب : (**مرتاعا**) ماذا ؟ .. (**هامسا**) عشيقة ؟! ..

خيرية : صه ! ... نعم ... ياله من أمر فظيع ! ... كما ترى .. ولكنها حقيقة الموقف . إنه يريد أن يسلبنى أعزما أملك .. ولا يفطن إلى فداحة ما يأخذ منى .. نعم لقد هالنى أنه يريد ذلك ببساطة ، وبغير تفكير ؛ كأنما هو شيء طبيعى ، شأن من اعتاد أن يأخذ كل ما يريد بلا تفكير ولا جهد وهو معتاد ذلك ولا شك ! .. هذا « الباشا » الذى يدخن سيجاره الكبير ، ويجلس فى ناديه ، وعلى النقود أن تصب فى حساباته الجارية فى البنوك ، دون أن يحفل كيف تنبعث ولا كيف صنعت ؛ فهو كما قد تعلم مساهم فى كل الشركات تقريبا . إنه من أولئك المدرجة أسماؤهم فى تلك القائمة الخاصة التى توزع فيما بينها أسهم كل شركة مضمونة الربح ... قبل أن تعرض النفاية القليلة على الجمهور ذراً للرماد فى العيون ... إنك لا شك سمعت عن هذا النوع ! ... »

الشاب : من رجال الأعمال ! ...

خيرية : نعم .. كما يقولون .. هؤلاء الذين يأخذون المال من الأعمال ،

ويتركون للآخرين الأعمال بغير المال ! ...

الشاب : مثل صاحب مكتبتي ! ..

خيرية : أرجوك . لا تفكر الآن فى أمرك ... أصغ إلى مصيبتى أنا .. فهى أفدح من مصيبتك .. إن ذلك الذى يشترى عرقك بدارهم ، ليس مثل الذى يشترى عرضى مهما يكن الثمن .. إن هذا الباشا الذى أدعوه أبى ، لا يريد أن يفهم خطورة ما يريد .. لقد جعل يبذل من الهدايا ما أدهش والدتى ، ما من أسبوع يمر دون أن يقدم لى حلية من ماس أو لؤلؤ ، حتى امتلأت خزانة زينتى هذه بالجواهر (**ينظر الشاب إلى هذه الخزانة مليًا**) ... إن قاموس هذا الرجل لا يحوى غير كلمة واحدة : النقود ... ذلك أنه لا يطالع فى الدنيا غير وجهها وحدها .. فبها يتنفس ويعيش ويبطش .. ليس أخطر من إنسان لا يدرك أن فى الحياة قيما أنفس من المال وأسمى ! ... لذلك عجزت عن أن أفهمه لغتى ! ...

الشاب : إنها عين العقلية عند هؤلاء جميعا .. إن الذهب ليس فقط نوعا من المعادن النفيسة .. ولكنه أيضا نوع من المعادن السامة ، قاتل لكثير من الفضائل الإنسانية . إنى مقدر للخطر الذى أنت فيه ، وأخشى أن يكون الأمر قد ...

خيرية : لا .. لم يقع شيء بعد ... إنى أدافع عن نفسى دفاع المستميت ، ولكن هجومه شديد ... كان الأمر يسيراً علىّ يوم كان يكتفى بمغازلتى فى البهو نهاراً ، أو فى ظلام السينما .. ولكنه تجرأ منذ أيام على اقتحام حجرتى فى الليل بعد أن تنام والدتى والخدم ! ...

الشاب : ألم تخبرى والدتك ؟ ...

خيرية : كيف تريد أن أخبر هذه المسكينة ؟ ... إنها تهيم به حباً ... أى فاجعة تصيبها لو علمت ... ثم هى وحيدة فقيرة لا عائل لها غيره ، وهنا موضع ضعفى الذى يستغله هذا الرجل .. عندما طرق بابى فى الليل

أول مرة ، همس راجياً أن أفتح له لأمرضه ؛ فقد زعم أنه أصيب ببرد فى الكلى ، ويريد شرابا ساخنا ، ولا يود إزعاج والدتى ، فلم يسعنى إلا أن أفتح له ، فدخل يبسم ويلثم يدى ، ويضع فى معصمى سواراً فاخراً ، فأطرقت شاحبة مرتجفة ، وزجرته برفق ، واحتلت عليه حتى خرج ، لكنه كرّر هذا العمل بعد ذلك ، فرفضت عندئذ أن أفتح له الباب ، وهنا بدأ يتوعد ويتهدد بأنه سيوقظ أهل المنزل ، ويجعلها فضيحة ، ويطلق والدتى ؛ فهو وحده الذى يستطيع أن يبطش بها ويطردها ويشردها ، وأنا وحدى — كما يقول — التى أستطيع أن أشتريها وأنقذها وأدرأ عنها وأحميها، ففتحت له وجعلت أتضرع إليه ، وأبكى بين يديه ، ولكنه ما كان يذعن وينصرف إلا على وعد بالرجوع فى ليلة أخرى ... وعلى أمل بأن يظفر يوماً بما يسميه الرضا والوصال .. تلك حالى ... ماذا أصنع ؟ ... أخبرنى ! ... ما من أحد جرؤت على أن أفضى إليه بهذا السر ... انصحتى بما يجب أن أفعل .. إن مقامى فى هذا البيت أمسى مستحيلا ، وخروجى منه ليس أيضاً بالأمر اليسير ... فهذا الرجل لا يقبل طبعا مغادرتى لمنزلى وسكنى عند أهل والدى المرحوم ، وهؤلاء أيضاً ليسوا الآن فى ظروف عائلية تسمح لهم بإيوائى . ومن المتعذر أن أتزوج . فهذا الرجل يرفض ويطرد كل خاطب . وليتنى تعلمت فى الجامعة أو غيرها ذلك النوع من التعليم الذى أستطيع به اكتساب رزق فى الحياة . والاستقلال بنفسى . إنى حيرى ، ضعيفة ، مهددة فى شرفى فى كل لحظة . لا أجد غير هذا « المصحف » . جئت به لأستمد منه الشجاعة والعزاء . أطالع فيه كل ليلة آية بعينها : « فإن مع العسر يسرا ، إن مع العسر يسرا » وإنى لأتخذه درعا كلما دخل على ذلك الرجل ليلا . أتناوله فى يمينى لأخجله ، وأجعله بينى وبينه سداً يحمينى . إنى تعسة .. تعسة (**تخرج**

منديلها وتكفكف دموعها) .

الشاب : لا تبكى يا آنسة ! .. إن الذى يجب أن يسيل ليس دمعك . بل دم هذا الشقى ... أصغى إلى جيداً .. تريدين مخرجاً من كارثتك ؟ .. لا أرى الآن غير حل واحد ! ..

خيرية : ماهو ؟ ...

الشاب : هذا الحل الوحيد هو .. أتعدينني أولا ألا ترددى ؟ ...

خيرية : ما هو ؟ ...

الشاب : قتل هذا الرجل ، إنه عائد إليك الآن . سأكمن له خلف هـذه الستارة ... فإذا دخل حطمت رأسه بهذا (**يلتفت حوله باحثا ، فيرى كرسياً**)بهذا الكرسى ثم خنقته بيدى ، وقفزت من هذه النافذة حاملا جواهرك ، وبعد ذلك تصيحين : « اللص . اللص » بهذا أبنى أنا لنفسى حياة جديدة ، وتتحررين أنت منه وتتنفسين حياة طليقـة شريفة ! ...

خيرية : شريفة !؟ بعد هذا الجرم !؟ .. أجننت ؟ أيخطر فى بالك أنى أوافقك على ارتكاب جريمة !؟ .. وهـل تظـن أنك بهذا الحل المنكـر تسعدنى ؟ ... وقد شقيت أمى بموت الرجل الذى تحبـه ؟ ... ثم أنت ؟ ... كيف يسوغ لك ضميرك هذا الفعل الأثيم !؟ ..

الشاب : لقد رضيت لنفسى أن أكون لصاً . فهل أرفض من أجلك أن أكون قاتلا ؟ ..

خيرية : لا .. لا ... إنك قد زللت بدخولك حجرتى كلص ، وقد كدت أعتقد أنك الآن نادم على هذه الزلة ، فلا تفجعنى فى عقيدتى ! ..

الشاب : أيهمك أن أكون رجلا شريفاً ؟ ..

خيرية : نعم ! ..

الشاب : الآن ؟ ... وأنت معرضة لهذا الخطر الذى يهدد طهرك ؟ ...

خيرية : سأدافع عن نفسي ، وأظل أدافع ، حتى أموت ... ولكن لا ينبغي لك ولا لي أن نفقد الشرف دفاعاً عن الشرف ! ..

الشاب : أنت فتاة غريرة تتغذين بالكلمات بينما الآخرون يتغذون بدمائنا ! ..

(يسمع طرق خفيف على الباب وصوت الباشا يهمس : « خيرية . خيرية » ، فترتعد الفتاة .)

خيرية : (**بصوت مرتفع**) انتظر لحظة يا . « بابا » ... لحظة (**للشاب هامسة**) اذهب من النافذة بسرعة ، اذهب .. اذهب ! ...

الشاب : (**همسا**) سأبقى . وسأنفذ ما في رأسي ! ...

(يجذب الكرسي قرب الستارة ثم يختبئ خلفها)

خيرية : (**همساً**) أتوسل إليك .. أتوسل إليك ألا تقدم على هذا الإثم .

الشاب : (**همساً وهو يطل برأسه من خلف الستارة**) إذا استفزتني دناءة هذا الرجل ، فلن أضبط أعصابي ! ...

الباشا : (**من الخارج**) من عندك يا خيرية ؟ .. أسمع كلاما في حجرتك ... افتحي حالا (**يدير مقبض الباب**) ...

خيرية : (**تسرع إلى فتح الباب فيدخل الباشا في روب دي شامبر حريري**) إني متعبة ... وما كان ينبغي أن أذهب إلى السينما الليلة . كنت أود أن آوي توًّا إلى فراشي ! ..

الباشا : (**يتأملها**) ومع ذلك لا تزالين بملابس الخروج ... من كنت تحادثين ؟ . (**يجيل بصره في الحجرة**) خيل إليّ أني سمعتك تخاطبين أحداً ! ...

خيرية : (**رابطة الجأش**) نعم .. خيل إليك ... أوَ لم تقل إنك عائد ، لم أرد خلع ملابسي انتظارا لمجيئك !

الباشا : أحقا ... كنت تنتظرينني ! ... أنا ؟ ..

(يجول في الحجرة منقبا بعينيه . ويدنو من النافذة المفتوحة ويطل

منها .....)

خيرية : عمن تبحث ؟ ...

الباشا : الليل ساكن ! ... والهواء منعش .... والشجر فى حديقتنا يهمس ... و ... (**يلتفت إليها**) وجمالك مغر ... وشبابك يسحر ، ونضارتك تسكر ! ... (**يجلس إلى الكرسى المجاور للستارة**)

خيرية : (**تسرع صائحة**) لا ... لا تجلس على هذا الكرسى ! ...

الباشا : لماذا ؟ ...

خيرية : (**مخفية ارتباكها**) إنه ... بجوار النافذة وبرد الليل مضر لمن فى سنك ! ...

الباشا : إنى لست مسنا متهدماً يا عزيزتى خيرية .. ومع ذلك أشكر لك هذا الحرص على صحتى (**ينهض من الكرسى ، ويجلس على المقعد الكبير وظهره للستارة**) ما دامت صحتى تهمك .. فأنا إذن أهمك ! ...

خيرية : (**بفتور**) طبعاً ! ...

الباشا : هذا تقدم كبير يا خيرية لقد بدأ العقل يهديك . وبدأت تقدرين حبى وتدركين أن صدك لا معنى له ، وأن صداقتى خيرلك وأبقى ... اعترفى أنك كنت مخطئة يوم أظهرت لى بعض النفور ! ...

خيرية : إنى لا أنفر منك يا « بابا » .. ولكن ! ...

الباشا : بابا ؟ . أتلفظينها عمدا ؟ ... نبهتك كثيراً إلى أن هذه الكلمة تجرح إحساسي ... تريدين إيهامى أيتها الخبيثة أنى لا أصلح لك حبيباً ! ...

خيرية : أرجوك ألا تتفوه بهذا الكلام المعيب الشائن المخجل البذىء .

الباشا : حياؤك ؟ .. ما أجمل احمرار خديك وأنت تقولين لى ذلك،حياء العذارى يزيدك فتنة وإغراء .. ويزيد قلبى هياما .. « خيرية » ! ... عثرت لك على بروش من الماس (**يخرجه من جيب الروب**) . مبتكر الصياغة ، لم يوضع مثله على صدر امرأة . إنه يمثل شق القمر (**ينهض**

ويدنو من خيرية) دعينى أضعه يستمد الحرارة من هاتين الشمسين الطالعتين فى هذا الصدر ! ..

(يمد يده إلى صدرها ...)

خيرية : (صائحة) لا تلمسنى (الستارة تهتز قليلا ..)

الباشا : لا تصيحى هكذا . أتريدين أن توقظى والدتك والخدم ؟ ...

خيرية : اخرج ! ...

الباشا : ما هذا الارتجاف فى صوتك !؟ .. إنك خائفة منى ! ...

خيرية : إنك لا ترى نفسك ... إن ماتأتيه لبشع .

الباشا : أتعودين ؟ .. لقد مضى الحديث فى ذلك كما تعلمين ، إنك لن تصدى عنك غرامى بآرائك الصبيانية . لقد صبرت أكثر مما ينبغى ومما أحتمل . لقد كنت ضعيفا مطيعا أمام تمنعك وتعللك ، وكنت أغادرك فى كل مرة خائبا فارغا ، حتى ولا قبلة صغيرة أنالها منك . أقسم لك أنى لن أتركك الليلة حتى أنال ...

خيرية : تنال من شرفى !!! ...

الباشا : عدنا إلى هذه الكلمات التى تعكر الجو ؟ ... « خيرية » .. أنت تعرفين جوابى فى ذلك .. أنا عندى أيضاً كلماتى المعكرة ... وإذا كنت تحرصين على سعادة أمك ...

خيرية : أعرف سلاحك الدنىء ! ...

الباشا : ماذا تقولين ؟ .. لا يعنينى أن أسمع . ما من شىء يخرج من شفتيك الرطبتين يسيئنى أو يؤلمنى ... أيتها النحلة المحبوبة ، الذعى ما شئت . فإن الذى يهمنى هو عسل فمك !! ..

خيرية : أنت يا من لا تعرف غير لغة الأخذ والشراء . أريد أن أشترى منك طهرى ، ماذا تطلب منى فى مقابله ! .. كم أدفع لك فيه ؟ ...

الباشا : أنا الذى أدفع فى قبلة منك كل مال الأرض يا « خيرية » ، أرجوك ألا

تسمى الأشياء بغير أسمائها .. أهنالك اليوم فتاة تتحدث هكذا عندما تجد الغرام ؟! .. إنى لست غراً ... إنى رجل حنكته الدنيا ، إذا رفضت حبى فمعناه أنك تحبين آخر ! ..

خيرية : آخر !؟ ..

الباشا : نعم ! .. رجل آخر لا تكرهين أن تمنحيه فمك . فمن هو إذن حبيبك الآخر ؟ .. الحقيقى ! .. أيتها الماكرة ! ..

خيرية : ليس لى حبيب ! ...

الباشا : أنا إذن حبيبك ، لأن هذا الهيكل البديع ، لا بد له من عابد يحرق البخور وينثر العطور .. « خيرية » ! .. هذا القمر الماسى لم يزل فى يدى مظلما معتما ، دعينى أجعله يضىء فى صدرك ! ..

(يمد يده بالمشبك الماسى إلى صدرها ..)

خيرية : ابعد عنى أيها الرجل ! .. لا تلمسنى ! ...

(الستارة تهتز بعنف ...)

الباشا : كل فتاة قالت هكذا .. وهكذا فى أول الأمر صاحت .. « وكان لا بد أن تؤخذ منها القبلات غصبا . لن يروعنى صدك . أنت لى يا « خيرية » ... لن تهربى الليلة من ذراعىّ ! ..

(يهجم عليها ليضمها فتدفعه عنها ، وتبرز عندئذ يد الشاب من خلف الستارة ؛ لتتناول الكرسى القريب ! ...)

خيرية : **(تلمح الستارة ويد الشاب فتصيح)** لا.. لا.. لا تفعل!.. لا تفعل ! ..

الباشا : لا تصيحى هكذا . ستوقظين البيت ! ..

خيرية : لا تفعل ! .. من أجلى .. من أجلى ! ..

الباشا : (**متعجبا**) من أجلك ؟ .. ماذا تقصدين ؟ .. لماذا تنظرين إلى جهة النافذة ؟ ..

خيرية : (**حاضرة البديهة**) ألقى بنفسى منها . إذا فعلت أنتحر . أسامعنى أنت ؟ ... إياك ... إياك ! ..

الباشا : (**مصغيا إلى ناحية الباب**) . أسمع صوتا يقترب .

(**صوت الأم فى الخارج تصيح ..**)

الأم : (**من الخارج**) « خيرية » .. أتصرخين ؟ .. ماذا بك ؟ ..

الباشا : (**هامسا بسرعة**) تصنعى المرض يا « خيرية » ... بسرعة .. رأفة بأمك ...

(**خيرية تضطجع على فراشها سريعا ..**)

الأم : (**تدخل**) ماذا جرى (**تنقل بصرها بين ابنتها وزوجها**)

الباشا : يظهر أنها أصيبت ببرد وهى فى السينما .. برد فى .. الكلى .. وقد تنبهت أنا فبادرت إليها .. و لم نشأ إزعاجك ! ..

الأم : (**لزوجها**) أشكر لك اهتمامك بها (**لابنتها**) أتشعرين بـألم يـا « خيرية » ؟ ...

خيرية : لا يا « ماما » لقد زال الآن كل ألم ، إنه ليس بردا فى الكلى كما حسبنا .. إنها مجرد وخزة بسيطة عابرة فى جنبى وانصرفت ! ..

الأم : هل أحضر لك شرابا ساخنا ؟ ..

خيرية : لا لزوم يا ماما . لا أشعر الآن بشىء .. كل ما أحتاج إليه هو النوم والراحة .

الأم : لم تخلعى ملابسك بعد ، هل أساعدك على خلعها ؟ ..

خيرية : أشكرك يا « ماما » ، سأخلعها بنفسى الآن ! ..

الباشا : دعيها تسترح ... فلندعها لتستريح .. هلمى بنا (**يأخذ يد زوجته ليخرجا معا**) ..

الأم : (**تسحب يدها منه برفق**) سأتبعك بعد قليل ... عـد أنت إلى فراشك .

الباشا : (وهو يخرج) لا تطيلى المكث هنا وهى متعبة .. إنها كما ترين فى حاجة إلى الراحة (يخرج) ...

الأم : (لابنتها) ألا تحتاجين إلىّ فى شىء يا « خيرية » ؟

خيرية : لا يا أماه . اذهبى إلى فراشك أنت أيضا .

الأم : (ترى المشبك وتتناوله) ما هذا البروش الملقى بجوارك ؟ .. هو طبعا الذى أهداه إليك ؟ ..

خيرية : نعم ! ..

الأم : الليلة ؟ .. نعم لا بد أن يكون الليلة ؛ لأنى لم أره من قبل ! ..

خيرية : نعم ! .. الليلة ! ..

الأم : (تضعه بجوار ابنتها) مبروك ... لديك الآن ثروة من جواهره يا « خيرية » ! ..

خيرية : نعم ! ..

الأم : ما كنت أتصور يوما أن يتفتح قلبه لك على هذا النحو .

خيرية : (تنظر إلى أمها ملياً) ماذا تقصدين ؟ ...

الأم : إنك لا شك تشعرين بمقدار عنايته بك « يا خيرية » ! ..

خيرية : نعم ، إنه شديد العناية بى ...

الأم : ألاحظ ذلك ، وها هو ذا نفسه يبادر إليك فى جوف الليل ليسهر على راحتك ! ...

خيرية : إنى ما أردت قط أن يهتم بى ذلك الاهتمام ! ...

الأم : أهذا شعورك حقا ؟ ..

خيرية : أراك لا تصدقين ، ما عدت تصدقين ابنتك التى لم ترزقى غيرها ، ولكنى أقسم لك يا أماه ، أقسم لك أن هذا شعورى حقا ! ..

الأم : يدهشنى ذلك منك .. لو تعلمين يا « خيرية » كم أتعذب بسببك ؟ ..

خيرية : (تمسك بيد أمها) أعرف يا أماه .. أعرف ولو علمت كم أتحمل أنا من

أجلك .. إن سعادتك يا « ماما » هى وحدها التى تلهمنى الصبر ، وتدفعنى إلى الرضا صامتة بما أنا فيه ! ..

الأم : بما أنت فيه ؟؟ ... ماذا أسمع منك يا « خيرية » ؟ .. أنت حقا إلى هذا الحد لست سعيدة هنا ؟ ..

خيرية : سعيدة بجوارك أنت وحدك ! ..

الأم : يالنكران الجميل ! ... ماذا كنت تطمعين فى أن يصنع لك كى يرضيك ؟ .. ألا تكفيك هذه الهدايا التى يغدقها عليك ؟ ... بمناسبة وغير مناسبة ؟ .. وهذه النزهات وهذه الملاهى التى يخرجك إليها فى كل آن . وهذا الإغراق فى الإعزاز والتدليل والحنان . وهذه اللهفة والحماسة والحرارة التى تبدو فى نظراته ونبراته كلما حدثك أو دنا منك . أو تعلق الأمر بك . إذا صدق ظنى فأنت معبودته الصغيرة .. أنت شغله الشاغل .. أنت كل ما فى عقله وقلبه وفكره . « اسمك » هو الكلمة الأولى التى يلفظها عند دخوله البيت ... إن ألذ لحظاته ساعة يجلس إليك إن كل ما يسره الآن أن يبقى بجوارك . وكل ما يسعده أن يلتصق بك دائما ، ولا يفارقك أبدا ، إنه لمن الواضح يا « خيرية » أنك الآن كل شىء فى حياته ! ...

خيرية : (**تنظر إلى أمها طويلا لتستشف ما وراء كلامها**) وأنت يا « ماما» ؟ ... أراضية بهذا ؟ ...

الأم : مادا تقصدين ... أنا التى يجب أن ألقى عليك هذا السؤال ؟ ...

خيرية : لا شىء يرضينى غير سعادتك أنت يا أمى ... هل أنت الآن سعيدة ؟ ...

الأم : أرى أنك تكثرين من الحديث فى سعادتى. لا تشغلى بالك كثيرا ، بأمرى يا ابنتى . هنالك أحوال . لا يحق فيها لأم أن تفكر فى هناءتها هى .. إنك وحيدة يا « خيرية » ... ولست أدرى كيف أتصرف

نحوك ؟ . وما واجبى حيالك ؟ .. ولكنى عظيمة الثقة بالله وبشجاعتك.إن الحياة يا بنيتى لتضعنا أحيانا فى ظروف لا يستطيع غير الله وحده أن يجد لها مخرجًا ... لقد وضعت أمرك فى يد الله .. وهو خير مصرف للأمور .. نامى الآن يا « خيرية » بملء جفنيك .. وأريحى نفسك وفكرك ؛ أتركك فى حمى الله ، تصبحين على خير ! ..

(تقبلها وتخرج وتغلق الباب خلفها .. وعندئذ تقفز « خيرية » من مضجعها ويبرز الشاب من خلف الستارة)

خيرية : (**للشاب**) سمعت حديثها ؟ ..

الشاب : نعم .. ولم أفهم منه شيئا ! ..

خيرية : ولا أنا .. إن موقف والدتى ما زال شديد الغموض ... لم أستشف منها بعد إذا كانت تعرف أو تجهل ...

الشاب : يبدو لى أنها تجهل وأنها تحسب اهتمام هذا الوغد بك عطفا أبوياً ! ..

خيرية : أتظن ذلك ؟ .. أخشى أن تكون عارفة وتتجاهل ببراعة ، ولم لا تقول إن هذه الأم المسكينة تعرف .. ولكنها لا تدرى كيف تتصرف ! .. وهى تخاف أن تثيرها فى هذا البيت عاصفة تنتهى بجرفنا جميعا . وفضيحتنا الشاملة فى المجتمع ، إنى أعرف والدتى .. سيدة متدينة ، شديدة الإيمان بالله ، وقد ورثت ذلك عنها .. نعم ... ربما آثرت إخفاء شعورها عن الجميع . وترك الأمر لتدبير المولى وحده ! ...

الشاب : دعينا الآن من علمها بالحقيقة أو جهلها . مهما يكن من أمرها فإن عليك أنت اليوم أن تحددى موقفك .. وأن تقررى شيئا ! ..

خيرية : لست أرى غير شىء واحد .. إن وجودى فى هذا البيت أمسى متعذرا ، إن شجاعتى لن تخوننى . ولكنى أخشى لؤم هذا الرجل ، وجرأته على سلوك كل سبيل دنىء .. كفاحى ضد مآربه الآثمة يجب أن يوضع له حد ، وشكوكى فى أمر أمى التى قد تكون ملاحظة لكل شىء وتعيش

صامتة تتعذب ، يجب أن يوضع لها حد أيضا .. ما رأيك أنت ؟ ..

الشاب : لقد رأيت لك الحل . ولكنك فزعت وصحت بى صيحة دهمتنى ومنعتنى من التنفيذ ! ..

خيرية : آه .. لا تذكرنى .. عندما مددت يدك إلى الكرسى لترتكب جريمتك شعرت كأن روحى تسقط فى الجحيم ! ...

الشاب : وأنا عندما لمحت من خلف الستارة يد ذلك الرجل تمتد إلى صدرك . شعرت كأن نيران الجحيم كلها تأكل قلبى . وأن دم هذا الرجل حلال كدم كافر ، يلقى الدنس على أعتاب حرم مقدس ! ...

خيرية : أعتاب حرم مقدس ! .. ياله من تشبيه ... يسرنى أن أتلقى منك هذا التشجيع! ..

الشاب : العفو : أعترف أنه أمر مضحك حقا أن تتلقى ذلك التشجيع منى ... أنا الذى ماتشرفت بزيارتك إلا من هذه النافذة .. ولكن ثقى ، على الرغم من كل شيء ، أنى رجل بدأ يحس الآن الطهر يدب فى روحه كأنه خمر ، ما كنت أظن الفضيلة تعدى كالمرض بهذه السرعة ! ...

خيرية : إنك لم تكن يوما ، فيما أعتقد ، روحاً شريراً ، ولكن الغضب أضلك وظلم الأقوياءأعماك ، والرأى الفاسد أغواك . فأشرفت على الزلل ! ..

الشاب : (**بعد تفكير كالمخاطب نفسه**) كانت بالفعل زلة ، يداخلنى إحساس غريب أنى لابد دافع ثمنها يوماً ! ...

خيرية : انس كل شيء الآن ... وتذكر فقط أنى أنقذتك فى الوقت المناسب ! ... وأن عليك أن تنقذنى أنت بدورك ! ..

الشاب : هل تمكنيننى حقا من إنقاذك ؟ .. هل تصغين إلى نصيحتى هذه المرة ، وتنفذين ما قام برأسى الآن ؟ ..

خيرية : ماذا قام برأسك الآن ؟ ..

الشاب : قبل كل شيء اسمحي لى أن ألقى عليك سؤالا .. هل تثقين بى ؟ ..

خيرية : (**تنظر إليه مليا**) لست أدرى .. لكن .. إذا استمعت إلى صوت شعورى الداخلى فإنى أستطيع أن أثق بك ! ...

الشاب : ضعى أمتعتك فى حقيبة .. واتبعينى ! ..

خيرية : إلى أين ؟ ..

الشاب : إلى حيث تعيش والدتى ، إنها تعيش الآن بعد وفاة أبى ، مع أسرة أخى الأكبر . إنه موظف ، وتقطن مع زوجته وأولاده فى حى السيدة زينب ! ...

خيرية : أتظن هذا حلا أن أعيش عالة على أسرة أخيك ؟! ...

الشاب : مؤقتا حتى نبحث لك عن عمل ! ...

خيرية : نعم .. أريد أن أعمل ، وأن أحيا من عرق جبينى ! ...

الشاب : أعرف ذلك ، وأطالع أفكارك ؛ لأننا نلتقى فى آراء كثيرة .. ونشترك فى ظروف متشابهة . لست أدرى هل تصدقيننى إذا قلت لك : إنه قد تبين لى الآن أن لا أمل لأمثالنا أنا وأنت إلا فى العمل الشريف لنعيش ...

خيرية : نعم .. الشريف ! ...

الشاب : تجيدين بالطبع لغة أجنبية .. إذن من السهل أن تعملى كبائعة فى محل تجارى ! ....

خيرية : أفضل العمل فى مكتبة ! ...

الشاب : أنت أيضا ؟ .. أرأيت إلى أى حد نتحد فى الاتجاه والميول .. لقد يسرت مهمتى . هذا ميدان أعرفه . ولن يشق على أن أجد لك وظيفة بائعة أو صرافة فى مكتبة ... ولكن لن تكون بالطبع فى حى « سيدنا الحسين » ! ..

خيرية : فى أى حى شئت ؟ ..

الشاب : (مازحا) لو كنت سمحت لى بسرقة جوهرة واحدة من جواهرك التى فى هذه الخزانة لأنشأت أنا المكتبة . ووضعتك أنت موظفة بالمحل ! ..

خيرية : حذار أن تمس شيئا مما فى هذه الحجرة ... يجب أن تترك لهذا الرجل كل جواهره و هداياه .. لن أحمل معى غير ملابسى الخاصة الضرورية ! ..

الشاب : (جاداً) هذا حقا ما ينبغى أن نفعله ! ..

خيرية : يسرنى أنك طرحت أفكارك القديمة . ونبذت مشروعاتك السابقة . آه يا صديقى .. لقد قلتها أنت الساعة .. لن تكون سعادتنا .. أنت وأنا وأمثالنا . من أصحاب النفوس الرفيعة . إلا فى الخبز الشريف والعرق الطاهر .. ثق يا صديقى أنه ليس ألذ طعما فى الوجود كله من كسرة خبز اكتسبت بشرف ! ..

الشاب : يا « صديقى » .. تقولين لى « يا صديقى » ما أسعدنى بهذه الكلمة ! ..

خيرية : و لم لا ؟ أوَ لسنا من نفس النوع والروح والطبقة !؟ ...

الشاب : هلمى بنا إذن .. إلى حقيبتك ! ...

خيرية : (بتردد) الآن .. معك ؟ ... نخرج معا ! ..

الشاب : نعم .. معى .. لكن انتظرى .. أنت على صواب .. لدى اقتراح ، سخيف بلا شك .. أو جرىء .. أو فيه تطاول عليك ! ..

خيرية : قل ولا تخف ! ...

الشاب : لا .. لن أقول . إنى ولا شك جننت .. نعم كل ما فعلت ورأيت وسمعت فى هذه الليلة الغريبة ، كان عجيبا وسريعا ومفاجئا إلى حد عطل فى رأسى كل أداة للتفكير .. ما أنا الآن إلا إنسان لا يصلح إلا للإقدام على الأشياء الجنونية .. حقا .. لم يعد بينى وبين مستشفى المجاذيب غير خطوة ! ..

خيرية : قل كل ما يجول فى خاطرك ! ..

الشاب : حتى وإن كان لا يقبله العقل الصحيح ولا الذوق السليم ؟ ..

خيرية : نعم ! ..

الشاب : يجول فى خاطرى .. أنى .. لو لم أكن هكذا بائساً مضبوطا متلبسا بالشروع فى سرقتك ، لكنت رأيت أن أتقدم إليك بطلب .. يدك .

خيرية : طلب يدى ؟ ..

الشاب : لأحمى سمعتك . وأكافح من أجلك ومعك .. بذلك لا تتعرضين لألسنة السوء وأنا أخرج إلى جانبك فى الحياة الواسعة . ولكنى أسترد فى الحال هذا الاقتراح الجنونى .. وألتمس منك المغفرة على هذا التهجم المهين . إنه لمن سوء الأدب أن أتجاهل الفارق الذى بيننا ..

خيرية : حقا . حقا إنه لفارق كبير ! ..

الشاب : (**خجلا**) نعم .. لم أفقد بعد كل الوعى والبصر ، حتى لا أراه ! ..

خيرية : من حيث الأسرة .. كان المرحوم والدى موظفا فى الحكومة متوسط الحال ! ..

الشاب : (**دهشاً**) كالمرحوم والدى تقريبا ! ..

خيرية : من حيث الدراسة . لم أذهب إلى جامعة و لم أنل دبلوما عاليا ! ..

الشاب : أما أنا فذهبت . وكدت أظفر بهذا الدبلوم ! ...

خيرية : ومن حيث الأخلاق ، فأنا لم تزل بى القدم ، و لم يضلنى اليأس ، لم يذهب عنى الإيمان لحظة بقيمة المبادىء الفاضلة ! ..

الشاب : أما أنا فمع الأسف ! ..

خيرية : هذا هو الفارق الوحيد الذى بيننا ! ..

الشاب : (**بتأثر صادق**) صديقتى ائذنى لى فى أن أناديك باسمك مرة .. « خيرية » .. أعاهدك وأقسم لك أنى سأكون مدى حياتى جديراً بك ! ..

خيرية : أصدقك ! ..

الشاب : هلمى بنا إذن .. حياتى لك منذ هذه اللحظة ، ضعى ثيابك فى حقيبتك ، ولنذهب تواً إلى حيّنا ، فنوقظ المأذون لعقد زواجنا ! ...

خيرية : (**تتحرك إلى خزانة الملابس**) ساعدنى فى إعداد الحقيبة (**وهى تخرج ثيابها**) أواثق أنت أنى لن أزعج حياتك . ولن أكون عبئاً على كاهلك ؟ ..

الشاب : (**بفرح**) واثق أنى سأكون شخصاً أسمى وقلباً أنبل .. نسيت أن أطلعك على خبر .. بعد تركى لعملى القديم عرضت مكتبة أخرى على أن أعمل فيها بمرتب شهرى عشرة جنيهات . فإذا عملت أنت أيضاً ، فلن يكون مرتبك أقل من ستة جنيهات ، أفلا تعتقدين أن فى مقدورنا أن نكون سعداء بستة عشر جنيها ؟ ..

خيرية : وأنا نسيت أن أطلعك على خبر .. أنى أحسن الطهى بأقل نفقة ، وأجيد تفصيل ثيابى وثيابك ، وأحذق تنظيم البيت .. انظر .. ألا ترى حجرتى هذه منظمة . سأجعل بيتك أجمل نظاماً ولو كان غرفة فوق سطح ! ...

الشاب : وسأقتصد أنا فى مصروفى . فأنا كما أحب أن تعلمى . لا أدخن ولا أجلس فى مقهى . لقد كان عملى مستغرقاً كل وقتى ، إنى شاب مستقيم ، وما أوفره من مصروفى أستطيع به أن أدعوك إلى « السينما » مرة كل شهر ! ..

خيرية : كل شهرين . لا تكن زوجاً مسرفاً متلافاً ... تعلم الاعتدال .. وإلا اضطررت إلى تعليمك كيف تعيش بحكمة .. هنالك أنواع من النزهة فى الهواء الطلق لا تكلف قرشاً .. دعنى أدبر كل ذلك ... والآن افتح لى الحقيبة من فضلك . ولا تقف هكذا مكتوف اليدين (**يسرع هو إلى الحقيبة**) لا تنتظر منى تدليلاً فى كل وقت .. أسرع .. يا ..

عجبا ... ما اسمك ؟ .. كل شيء تحدثنا فيه . وبحثناه ودبرناه . إلا شيئا واحدا نسيت أن أعرفه منك .. اسمك ! ..

الشاب : خير لك أن تعرفى نفسى قبل أن تعرفى اسمى ، وإن كان عكس ذلك هو الذى يحدث عادة بين الناس .. اسمى يا « خيرية » . لا بريق فيه ولا رنين . « حامد حمدى حسنين » ! ...

خيرية : إنه عندى ذو بريق ... ما الاسم للنفس إلا كالزجاج للمسرجة ، يضىء بضوئها .. هلم بنا يا « حامد » لا أحسب أنى نسيت شيئا مما أحتاج إليه .. بل انتظر ... ناولنى هذا المصحف ! ...

حامد : (**يسرع إلى المصحف ويناوله إياها**) أول شيء لمسته يدى فى حجرتك .

خيرية : (**حاملة المصحف فى يدها ، تعبر رأسها فكرة**) « حامد » ! ..

حامد : ماذا بك يا « خيرية » ؟ ..

خيرية : الآن .. وأنا أحمل هذا الكتاب المطهر تذكرت شخصا .. أمى .. كيف أخرج الساعة معك ، وأتركها هكذا نهبا للهواجس ؟ ... لا .. لا بد أن أمكث الليلة فى هذا المنزل ، فإذا طلع النهار حاولت أن ألمح لوالدتى ، أو أصرح لها بعزمى على الاستقلال بحياتى .. يجب يا « حامد » أن أمهد الأمر هنا قبل الرحيل ، حتى تستطيع أمى أن تواجه على الأقل من يسألها عن غيبتى ! ..

حامد : أترين ذلك ؟! ..

خيرية : وأنت ؟ .. ألست ترى أننى على صواب فى هذا ؟ ..

حامد : هذا هو المعقول حقيقة . لا بد أن تطلعى والدتك على ما انتويت ! .. أما زوجها فحذار أن يعلم .. تستطيع والدتك أن تخترع حجة مقبولة ! .. فتقول له مثلا بعد ذهابك . إنك فى ضيافة أهل أبيك ! ..

خيرية : هذا ما سأصنع .

حامد : أتركك الآن إذن يا « خيرية » ... لكن ... كيف ألقاك غدا ؟ ...

خيرية : تعال قبيل الظهر فى غيبة ذلك الرجل ... من الباب الكبير طبعاً ... وقل للخدم « بائع الكتب » ! ...

حامد : إلى الغد إذن يا « خيرية » . ولا تنسى أنى خطيبك أمام الله ! ...

خيرية : لن أنسى ذلك أبدا .

حامد : (**يتجه إلى النافذة ليتسلقها**) ..

خيرية : ماذا تفعل ؟ ... أتخرج من هنا ؟ ..

حامد : كيف أخرج إذن ؟ ..

خيرية : من الباب يا عزيزى ... لا ينبغى لخطيبى أن يتسلق النوافذ بعد اليوم اتبعنى وأنا أخرج بك بلا جلبة من باب البيت ! ...

(تقوده وتخرج به من الحجرة.ويخلو المكان . ويسمع فى الخارج صوت باب خارجى يفتح . ولا تمر لحظة حتى يدخل « الباشا » الحجرة شبه راكض يبحث بعينيه فى أرجائها . ثم يسرع إلى النافذة يطل منها »)

خيرية : (**تدخل وتبغت لوجود الباشا**) ماذا تفعل هنا ؟ ..

الباشا : (**يستدير**) وأنت أين كنت ؟ ... ومن الذى خرج الساعة من الباب الخارجى ؟ ...

خيرية : (**متهربة**) أتريد أن توقظ « ماما » مرة أخرى ؟ ...

الباشا : (**بحدة**) أجيبى على سؤالى . من كان هنا معك ؟ ... ومع ذلك لا حاجة بى إليك لأعرف سرّك . (**يحدق ببصره من النافذة**) أرى شبح رجل يتخبط فى الحديقة كلص ... عشيقك بالطبع !...

خيرية : خسئت أيها ... أيها الظالم .

الباشا : (**يترك النافذة والحجرة ، ويهرع إلى الخارج صائحـا**) ... إلى اللص . إلى اللص .

(ويسمع الباب الخارجي يفتح . ولا تمضى لحظة حتى يدوى طلق نارى فى الحديقة ثم ضجة أهل المنزل وهم يهبون صائحين لاغطين .)

خيرية : (تسرع إلى النافذة) يا ربى ! ... يا ربى ! ... رحمتك بى و ... به (تحدق فى الحديقة المظلمة وفجأة تسمع صوتا هامساً ....)

حامد : (يهمس من الحديقة تحت النافذة) « خيرية » ! ...

خيرية : (تطل عليه هامسة) أنت ؟ ... تزحف إلى نافذتى ! ..

(تظهر بعد قليل يداه تتسلقان النافذة ... ثم يبدو رأس حامد وهو شاحب الوجه ..)

حامد : (بصوت هامس متمزق) لا تغضبى يا .. « خيرية » . هذه آخر مرة أتسلقها ... لأراك ! ...

خيرية : (جزعة ملهوفة) « حامد » ما هذا الدم فى صدرك ؟ ...

حامد : (منتزعا ابتسامة) قتلنى ... ولكنى ... دفعت ... ثمن ... زلتى ...

(تترك يداه النْافذة وتسقط جثته فى الحديقة)

خيرية : (تضع كفها على عينيها وتبقى لحظة بلا حراك ، ثم تقع بلا حراك . متهالكة على المقعد الكبير هامسة) رباه ! ... ما أبهظ الثمن الذى ندفعه نحن ... لنكون شرفاء !! ...

(ستار)

الفصل الثانى

(بهو منزل « الباشا » . سلم كبير يؤدى إلى الطابق الثانى . أبواب جانبية تؤدى إلى حجرات . وباب كبير يؤدى إلى الحديقة وهو مدخل الڤيلا .. رياش فاخرة .. وتليفون فوق منضدة ! ...

« خيرية واقفة بقرب باب حجرة مغلقة ، وهى فى قلق تتسمع . بينما « الباشا » يوافيها كاظما ما يجيش فى نفسه ....)

الباشا : (فى سخرية خفية) إنه لم يزل على قيد الحياة ! ...

خيرية : (هامسة من بين أسنانها) أيها القاتل ! ...

الباشا : لم أقتله ... لقد رأيت وجهه ، وهم يدخلون الساعة به من الحديقة إلى هذه الحجرة .. ما هو بوجه شخص سيموت ! ...

خيرية : سنعرف الحقيقة عندما يخرج الطبيب من الحجرة ! ...

(تلتفت إلى باب الحجرة كالمترقبة ...)

الباشا : ياله من اهتمام رائع ! ... من غادة بلص ! ...

خيرية : إنه ليس لصاً ! ...

الباشا : بائع كتب ! ... جاء يعرض كتبه المحشوة بالعلوم والمعارف والفلسفة والحكم والأدب ، فى الهزيع الأخير من الليل ! ...

خيرية : ليس هذا وقت السخرية منه ! ...

الباشا : ربما .. ولكنه على كل حال وقت التحرى عن شخصيته البارزة ، وعن موقفه الشريف ! ..

(يتجه إلى آلة التليفون ...)

خيرية : (تهرع إليه فى جزع) ماذا أنت صانع ؟ ..

الباشا : (ويده تمتد إلى السماعة) أبلغ البوليس ! ...

خيرية : (**تمسك بيده مرتاعه**) البوليس !؟ ...

(**تظهر الأم تهبط السلم وفى يدها لفافة**)

الأم : هذا كل ما وجدت الآن عندنا من قطن طبى ، أيكفى هذا يا « خيرية » ؟ ..

خيرية : (**وهى شاردة**) اسألى الدكتور يا « ماما » ! ...

الأم : (**تلمح السماعة فى يد الباشا**) من تريد أن تخاطب بالتليفون ؟ ...

الباشا : البوليس ! ...

خيرية : اقترحت عليه أن يتمهل ، حتى نتحقق من مدى الإصابة ! ...

الأم : (**للباشا**) الحق معها يا « محمود » .. ما الداعى إلى العجلة ؟ ... ربما كانت الإصابة خفيفة وأمكن تسوية الموضوع بغير حاجة إلى إثارة ضجة ! ...

الباشا : تسوية « الموضوع » بالنسبة إلى من ؟! ...

الأم : بالنسبة إلى الجميع ! ...

الباشا : (**يلتفت بعينيه إلى خيرية**) لمصلحة من ؟ ...

خيرية : لمصلحتك أنت .. لا تنسْ أنك أطلقت الرصاص على هذا الشخص ! ...

الباشا : القانون يعطينى هذا الحق ...

خيرية : إذا استطعت أن تثبت أنه جاء بقصد السرقة ! ...

الباشا : هو الذى عليه أن يثبت ذلك القصد الكريم ، الذى أدخله هذا البيت فى هذه الساعة المتأخرة ! ..

خيرية : (**بنبرة ذات معنى خفى رداً على نبرته ذات المغزى الخفى**) قد لا يجد صعوبة فى إثبات ذلك .

الباشا : هناك جهة وظيفتها تحرّى المقاصد النبيلة ، وتقصى الأغراض السامية ... هذه الجهة يسمونها « البوليس » و « النيابة » ! ...

(يتجه إلى آلة التليفون ...)

خيرية : (فى رعدة) وما وجه الإسراع يا « بابا » ؟ ..

الباشا : وما وجه الإبطاء ؟ ..

الأم : « خيرية » حريصة على سمعتك .. يا « باشا » ! ...

الباشا : (بنبرة ذات مغزى وعيناه إلى « خيرية ») سمعتى أنا ؟ ...

الأم : إنها لا تريد لك أن تقف أمام « البوليس » موقف السؤال .. على أى شكل من الأشكال ! .

الباشا : عواطف رقيقة ؛ فلتطمئن عزيزتى « خيرية » أن موقفى أمام « البوليس » هو موقف صاحب القضية الذى يريد ويشكو ويتهم ! ...

خيرية : تشكو ماذا ؟ .. هل سرق منك شيء ؟ ...

الباشا : أكان يجب أن أنتظر حتى ترتكب الجريمة ؟ ... يكفى أن أضبط فى بيتى اللص ! ...

خيرية : إنك لم تضبط فى بيتك لصا ، ولكنك أطلقت النار على شخص يمشى فى الحديقة ! ...

الباشا : فى الحديقة ؟ ... يا لعواطفك الرقيقة ! ... لعله أيضا شاعر ! ... يمشى يترنم فى الحديقة وينشد فى ضوء القمر ... ولو أننا فى أواخر الشهر العربى ولكن هذا لا يهم ؛ فقمر الشاعر لا يضيء حسب الشهور الهجرية أو النتيجة الرسمية . ولكنه يراه حسب مواعيد أخرى . إنك يا « خيرية » تغلفين الحقائق فى ثياب من الحرير الناعم ... ما أسعد حظ ذلك الذى تتولين عنه الدفاع !....

خيرية : (فى حمرة تنظر إلى أمها ثم إليه) لست أتولى دفاعاً عن أحد ، ولكنى أرى هذا الحادث لا يستوجب منك كل هذا الجد والعنف ! ...

الأم : حقا يا « محمود » ... رجل وجد فى الحديقة ، ماذا كان عليك لو

أخذت الأمر باللين والتؤدة ؟ ... ولم تلجأ إلى القوة وإطلاق النار عهدى بك راجح العقل ، واسع الحيلة ، كثير الاتزان .. ما الذى دفعك إلى هذا التصرف العنيف ؟ ...

الباشا : أتستطيعين أن تجيبى .. يا « خيرية » ؟! ..

خيرية : لعله الوهم ... لقد تخيلت شيئا لا وجود له ! ...

الباشا : أرجو ذلك يا « خيرية » ! ... وإن كنت أرى من القرائن أن مخاوف كانت فى موضعها ! ...

خيرية : لا ينبغى أن تحكم بما يقوم فى رأسك من وهم ! ...

الباشا : ليس وهما ... بل ها هو ذا رجل قد وجد ، بلحمه ودمه ، ماذا تقولين فيه ؟ ..

الأم : كان يجب أن تناديه فى الحديقة أولا ، وأن تسأله ! ...

الباشا : وأن أقدم له « سيجارة » ، وأدعوه إلى تناول فنجان من القهوة فى الساعة الواحدة بعد منتصف الليل ! ...

خيرية : بل تتركه وشأنه ... وعلى البواب والحرس أن يقبضوا عليه ، إذا وجدوا من أمره ما يريب ! ...

الباشا : آسف أنى لم أدعه يذهب معززا . ولم أوصله بنفسى إلى البـاب الخارجى مشيعا بالتجلة والإكرام . لأستحق بعدئذ تقدير الآنسة « خيرية » ...

خيرية : لتستحق راحة ضميرك ! ...

الباشا : ضميرى مستريح ... ثقى بذلك ؛ فقد قمت بالواجب الذى تفرضه علىّ كرامتى ! ... وكرامة هذا البيت ! ..

الأم : وهل كرامة هذا البيت يخدشها حادث مثل هذا ؟ ...

الباشا : (**يشير لها إلى خيرية**) سلى ابنتك ! ...

الأم : لست أفهم ... أفهمت أنت يا « خيرية » ؟ ..

خيرية : لعله يعتقد أن دخول هذا الرجل فيه اعتداء على كرامة البيت ! ..

الباشا : (لخيرية بنبرة ذات معنى) وأنت ألا تعتقدين ذلك ؟ ... دخول رجل لا فى الحديقة ، بل فى حجرة داخل هذا البيت ... افرضى أن رجلا دخل حجرتك فى ساعة متأخرة من الليل ، ألا ترين فى ذلك اعتداء على كرامتك ؟ ..

خيرية : (بنبرة ذات مغزى) أترك لك أنت الجواب عن هذا السؤال ! ..

الباشا : (يباغت ولكنه يتمالك) صدقت ... أعرف رأيك !؟ ..

خيرية : (فى لهجة ذات معنى) أرجو أن نكون الآن متفقين فى الرأى ...

الباشا : (بنفس اللهجة) لا تنسى أن الظروف مختلفة كل الاختلاف ! ...

خيرية : الظروف واحدة ... لا يوجد اختلاف إلا فى وجهة النظر ! ...

الأم : ما الداعى إلى كل هذا الخلاف بينكما ؟ ... هو يرى أن يبلغ ، وأنت لا ترين ذلك ... ربما كان الباشا أدرى بالظروف يا « خيرية » ... دعيه يفعل ما يريد ! ... ما الذى يهمك أنت من هذا الأمر ؟! ...

الباشا : حقا ... سليها هذا السؤال ! ...

خيرية : (مرتبكة) طبعا ... لا شىء ... ولكن . ألم نتفق على تأجيل التبليغ ؟ ... إلى أن نعرف مدى الإصابة ويقول لنا الطبيب شيئاً عن حالة هذا الشخص هل سيموت ؟ .. هل سيعيش ؟ ...

الباشا : وما الذى يهمك أنت من هذا الشخص ؟ ... مات أو عاش ؟ ...

الأم : حقا .. ماذا يهمك أنت يا « خيرية » ؟ ... لماذا تشغلين بالك بهذا الحادث ؟ .. فلنضع المسألة فى يد « الباشا » فهو أخبر منا بهذه الأمور ! ...

الباشا : نصيحة ثمينة من أم ، لعلك تصغين إليها ! ..

(يتجه إلى التليفون ...)

الأم : إذا أردت رأيى يا « خيرية » ، فاذهبى توا إلى فراشك ؛ فأنت لا

تتحملين السهر الطويل ! ...

خيرية : (**تتبع الباشا بأنظار قلقة ، وهو يضع يده على السماعة فتلفظ صيحة مكتومة**) إلهى ! ...

(**عندئذ يفتح باب حجرة جانبية . ويبرز رأس الطبيب** ...)

الطبيب : (**بعجلة**) القطن ... من فضلكم ... القطن ..

الأم : (**مبادرة إلى الطبيب**) معى يا « دكتور » .. فى يدى .. كان يجب أن أسرع به إليك .

الطبيب : (**وهو يتناول القطن**) شكراً .. هل لى أن أطلب معونتك لحظة ؟ ...

(**تدخل الأم مع الطبيب ويغلق باب الحجرة**)

خيرية : (**تهرع عندئذ إلى الباشا وتضع يدها على التليفون**) لن تبلغ « البوليس » ... أعرف نواياك ... تريد أن تنتقم ... تريد أن تلوث اسم هذا الشاب ، وتزج به فى السجن ! ..

الباشا : عشيقك ! ..

خيرية : خسئت .. لا تقل هذه الكلمة ! ..

الباشا : مخاوفى كانت فى محلها .. ما كنت أرى لصدك معنى ، إلا أن يكون فى حياتك رجل ! ...

خيرية : ليس فى حياتى رجل ! ...

الباشا : هذا الشاب ، كيف دخل هنا ؟ ..

خيرية : لست أدرى ، لم أره ساعة جاء ؟ ..

الباشا : ولماذا جاء ؟ ..

خيرية : جاء يقترض منى نقودا ..

الباشا : بعد منتصف الليل ! ..

خيرية : ربما جاء مبكرا ، فلما لم يجدنى انتظر عودتى ..

الباشا : فى الحديقة ؟ ... أو فى .. حجرتك ؟! ..

خيرية : لست أدرى ... أين وجدته أنت ؟ ..

الباشا : سمعتك تخرجينه من هذا الباب ! ...

(**يشير إلى باب البهو المؤدى إلى الحديقة .**)

خيرية : سمعت هذا الباب يفتح .. هذا كل ما تستطيع أن تسمع ! ...

الباشا : ووجدت حجرتك خالية منك ! ...

خيرية : خرجت أشيعه فى الحديقة ! ..

الباشا : وجدت نافذتك مفتوحة . ووجد هو عقب الإصابة ، ملقى تحت النافذة ! ...

خيرية : لقد تسلق كى يخبرنى بفعلتك ! ...

الباشا : (روميو) يتسلق نافذة « چولييت » ! ..

خيرية : لا تسخر من هذا البائع الفقير ، الذى ألقته المقادير فى يدك ! ..

الباشا : بائع كتب ... قلت لى أين ؟؟ ..

خيرية : فى مكتبة بحى الأزهر ... اشتريت منها مصحفى ! ..

الباشا : معرفة وثيقة ... تتيح له تسلق النوافذ ، واقتراض النقود ! ...

خيرية : إنه شاب بائس ... لو عرفت قصته لرحمته ، ولكن .. أين لقلبك أن يعرف الرحمة بمثله !؟ ..

الباشا : حسبه قلبك أنت ! ..

خيرية : ثق أنى منذ رأيته لأول مرة فى المكتبة لم أره قط إلا الليلة . على غير انتظار . كانت مفاجأة لى ..

الباشا : مفاجأة سارة .. تزرى بكل ما عداها ، بل كل مفاجأة أخرى إلى جانبها رخيصة ! ...

خيرية : إنك تخطئ لو ظننت أن بينى وبينه علاقة سابقة ! ...

الباشا : العلاقة الحاضرة بينكما تكفينى ؛ فهى على فرض حداثة عهدها ،

بادية النمو ، غائرة الجذور ، دانية الثمار ! ..

خيرية : لا تبالغ .. لا تبالغ ! ...

الباشا : دعيني إذن أنتزعها من أصولها ...

خيرية : تنتزع ماذا ؟ ...

الباشا : هذا السد الذى يقوم بينى وبينك لا بد من تحطيمه ! ...

خيرية : إن الغيرة تعميك ! ..

الباشا : لن يأخذك هذا الشاب منى ، إنى أعرف أين ألقى به ؟ ...

خيرية : فى أعماق السجون ...

الباشا : سأتخير له مكانا يليق به ! ...

خيرية : إنى أمنعك ... لن تستطيع أن تناله بسوء ، لن تمس منه شعرة ... لن تمس منه شعرة ! ...

الباشا : يا للشرر المتطاير من عينيك ! ... لكأنك هرة تذود عن صغارها هنيئا له .. هنيئا له ! ...

خيرية : أراك مقدما على شر .. أرنى ماذا فى مقدورك أن تصنع ! ..

الباشا : تتحدين الآن ؟ .. أنت تعرفين ما أنا صانع ! ..

خيرية : ستبلغ « البوليس » ؟ ...

الباشا : (**وهو يرفع السماعة**) نعم ! ...

خيرية : (**بعزم**) بلغ وأسرع ! ...

الباشا : (**يلتفت إليها مباغتا**) مرحى ! ... مرحى ! .. هذا شىء جديد ، لا تخشين التبليغ الآن ! ..

خيرية : لا .. لأنى أعرف ما سأقول أمام البوليس , والنيابة ! ...

الباشا : ماذا ستقولين ؟ ...

خيرية : سأقول إن هذا الشاب لم يدخل بقصد السرقة ، بل دخل لأنه خطيبى أمام الله !

الباشا : خطيبك أمام الله ! ...

خيرية : أيستطيع القانون أن يدينه فى هذه الحالة ؟ ...

الباشا : أوَ حدث هذا حقا ؟ .. أم هى فكرة نيرة لإنقاذ الشاب من ورطته ؟

خيرية : فليكن هذا أو ذاك ... المهم هو أن تصريحى هذا فى التحقيق سيوقعك أنت فى ورطة كبرى ...

الباشا : يوقعنى أنا ؟! ...

خيرية : لقد أطلقت الرصاص على خطيبى ... فعليك أن تثبت أنك لم تقصد إصابته عمداً لغرض فى النفس ! ...

الباشا : غرض فى النفس ... ستقولين بالطبع سر تفاصيله ! ...

خيرية : بكل دقة وصراحة ! ..

الباشا : يا لك من ماكرة ! .. قصيرة النظر ! ...

خيرية : بل بعيدة النظر ... أعترف أنى بذلك سأثيرها فضيحة فى المجتمع . تلوث اسمك ، وتقضى على سمعتك ... وتجرفك من فوق مقاعدك العديدة فى مجالس الشركات ! ...

الباشا : خنجر حاد حقا .. ولكنه سيصيب قلبا آخر ! ..

خيرية : قلب من ؟ ..

الباشا : قلب أمك ! ...

خيرية : أمى ؟! ..

الباشا : خنجر ذو حدين ؛ لأن الفضيحة ستكون فضيحتك أنت ، قبل أن تكون فضيحتى ، وستفجع أمك فى بنتها وزوجها فى آن . لست أنت التى تتحدين ، بل أنا الذى أتحدى ... التليفون أمامك . اطلبى بنفسك البوليس وبلغيه أن خطيبك قد أطلق عليه الرصاص ، وأن الجانى هو « محمود باشا نعمان » ..

خيرية : (**هامسة بلا حراك**) أمى ! ...

الباشا : مالك وجمت ؟ .. أقدمى ... نفذى تهديدك ! ..

خيرية : وأخيرا .. ماذا تنوى أن تصنع بى ؟ ..

الباشا : بك أنت .. لا شىء .. إنك أعز علىّ من أن أفكر فى إساءتك . لقد رأيت الساعة كيف كنت أدارى الأمور أمام أمك .. حتى لا تفطن إلى مرمى كلامنا .. ألم تفهمى من ذلك أنى حريص عليك ، ضنين بك ؟ ولكنك دائما سيئة الظن بى ... متى تدركين أنى لك محب مخلص ؟ وأن مصلحتك فى أن تكونى لى صديقة ؟ .. إنى أريدك يا خيرية ... لقد أقسمت على ذلك ، ولن يقف أحد ولا شىء فى سبيلى أبدا ... وإنى أعنى ما أقول ! ..

خيرية : (**تنظر إليه يائسة وتقول كالمخاطبة نفسها**) أرى أنك تعنى ما تقول ! ...

الباشا : لا فائدة من مقاومتى يا خيرية ! ...

خيرية : (**تطرق مليا مفكرة ، ثم ترفع رأسها**) أوَ ما من طريقة عندك غير البطش بهذا البرىء المسكين ؟! ..

الباشا : خطيبك أمام الله ؟! ..

خيرية : (**وقد غيرت من لهجتها**) يدهشنى كيف ذهبت فطنتك ؟ ... ألم تسائل نفسك عن السبب الحقيقى الذى من أجله أدافع عن هذا الرجل ، وأتمسك به ؟ ...

الباشا : لأنك تحبينه ! ..

خيرية : فى نصف ساعة !؟ ... أيمكن أن تصدق هذا ؟ ...

الباشا : لأنك تكرهيننى ! ...

خيرية : أكره من يمنحنى قلبه ، ويغمرنى بعطفه وهداياه ؟ ...

الباشا : ألا تكرهيننى ؟ ... إنك تحيريننى ، لماذا إذن تدافعين عن هذا الرجل ؟ ..

خيرية : لأن فكرة هبطت عليّ .. ساعة رأيته الليلة ! ...

الباشا : ما هى هذه الفكرة ؟ ...

خيرية : أن أتزوجه ! ...

الباشا : (**بدهشة**) تتزوجينه ؟! ...

خيرية : من أجلك ! ...

الباشا : من أجلى !؟ ..

خيرية : نعم من أجلك ... ألم تفهم قصدى ؟ ...

الباشا : أفهم ... ولكننى .. لا أصدق ! ...

خيرية : لأنك أنت الذى تسيء الظن بى دائما ... إنك على الرغم من خبرتك التى تتحدث عنها ، وحنكتك وتجاربك فى الحياة ، تفوتك أبسط الأشياء ! .. كيف كنت تريد منى أن أبادلك العطف تحت سقف هذا البيت ؟ ..وعلى أى وضع من الأوضاع تطلب ذلك؟ .. لقد نسيت أنى فتاة ، لا بد لها من زوج ... أفهمت ؟ ... لو كنت تنظم شركاتك هناك ؛ كما تنظم أمورك هنا ؛ — لما شككت فى أنها شركات مخفقة خاسرة .. هل أدركت الآن كيف أنه كان يجدر بك أن تنظم وضعى أولا ... وأن تجعلنى فى إطار اجتماعى مفهوم ، قبل أن تأتى لتطرق بابى وتطلب عطفى ! ..

الباشا : (**يتأمل كلامها**) معقول ! ...

خيرية : ما هو الترتيب الذى قمت به أنت فى هذا السبيل ؟ ... لا شيء ، كان على أن أفكر فيه أخيراً ! ...

الباشا : ولماذا لم تنبهينى إلى هذا قبل الليلة ؟ ...

خيرية : أتظن حياء المرأة وكبرياءها يسمحان لها فى كل الأحوال بهذه المصارحة ؟! .. إن المرأة تحب دائما أن تشعر أن الرجل هو الذى يفكر لها ويدبر ... وليست هى التى تفكر وتدبر له ! ...

الباشا : ولكننى لم ألمس منك حركة أو نظرة أو إشارة تنم على شىء غير الصد والنفور ! ...

خيرية : ما من شىء ينفر المرأة الرقيقة مثل الأسلوب الهمجى ، الخالى من الكياسة واللياقة والذوق ... إن المرأة المهذبة تهمها الطريقة قبل الغاية ... وإن من الرجال من يستطيع الوصول إلى قلب المرأة التى يريدها ، إذا استطاع أن يغطى أشواك هذا الطريق بحرير من المظاهر السليمة والأوضاع المقبولة ! ... إن المرأة تحب قبل أن تمنح قلبها أن تعتقد أنها لا تأتى أمرا يسقطها من الأعين ! ...

الباشا : صدقت فى هذا يا « خيرية » ... لقد ظننت أنى ! ...

خيرية : لقد ظننت أنك بالهدايا تصل إلى قلبى ... إنك مخطئ .. هذا أسلوب ينفع مع الغوانى والخليعات ... غلطتك الكبرى ؛ هى أنك تحسب المال كل شىء ؛ لأنك به تشترى الأسهم فى الشركات ، لكن ثق أن الأسهم التى تصيب بها القلوب ؛ لا تشترى دائما بالأموال ! ...

الباشا : حقا ... أنت امرأة ليست كالأخريات ! ...

خيرية : كان يجب أن تعرف أن المرأة ذات الكرامة لا تقبل الحب إلا من الرجل الذى يشعرها بأنه مقدر لظروفها ، حريص على مظهرها ، أمين على سمعتها ... إن المرأة كالطاووس لا بد لها من ثياب من الريش الزاهى الجميل ، يغطى جسمها ويستر تصرفاتها ! ...

الباشا : نعم ... كان يجب أن أفكر لك قبل كل شىء فى ... زوج وفى بيت ! ...

خيرية : هل ثبت الآن إلى صوابك ، وأدركت حقيقة موقفى ؟ ...

الباشا : وما الذى جعلك تتخيرين هذا الشاب بالذات ؟ ..

خيرية : لم أتخيره ، ولكنه هو الذى جاء ، وهبط علينا الليلة من السماء ، فحرّك فى رأسى الفكرة ! ..

الباشا : (يهرش رأسه) فكرة فى الحق ، لا بأس بها ، فهو على الأقل ...

خيرية : واقع فى أيدينا ، مدين لنا ، من طراز يلزمنا وينفعنا ! ..

الباشا : آه ... إن رأسك الصغير لا يخلو من عبقرية ! ...

خيرية : فى استطاعتك أن ترفعه إلى مستوانا . كما فعلت بكثير من محاسيبك الذين وزعتهم فى الشركات ! ..

الباشا : سيكون مديرا .. فى بضعة أشهر ، لشركة ناجحة ! ...

خيرية : وسيكون لى بيت ! ...

الباشا : يليق بك وبزياراتى لك ! ...

خيرية : لن تزورنى فى البيت بالطبع إلا نهاراً ...

الباشا : مفهوم ؟ ... منذ اليوم لن تفوتنى اللياقة ولا الكياسة ... سأدبر المسكن الآخر الذى سيكون فى يدك مفتاحه ! ...

خيرية : (وهى تطرق) أخف هذه الأشياء عنى الآن ! ..

الباشا : حقا ... لامؤاخذة .. من اللياقة والكياسة أن أفاجئك بها فى حينها ، والآن كيف ننفذ هذا المشروع ؟ ...

خيرية : اترك لى أنا الأمر فيما يختص بالشاب ... المهم أمى ! ...

الباشا : أمك .. أنا أتولى عرض الأمر عليها وإقناعها ! ..

خيرية : ماذا ستقول لها ؟ ...

الباشا : سأقول إن هذا الشاب لقطة ! ...

خيرية : ما هذا الكلام ؟ ..

الباشا : دعينى أتصرف فى الوقت المناسب ... أنا لا أستطيع أن أعد الكلام قبل أوانه ، حتى عند انعقاد الجمعيات العمومية لشركاتى .. لا أحب تحضير خطبى مقدما .. براعتى هى الارتجال ... أنا مرتجل من الطبقة الأولى ... ستترين الآن حججى الدامغة أمام أمك ، تخرج من رأسى ومن فمى بدون وعى ! ...

خيرية : بدون وعى ؟! ... بل يجب أن تزن الكلام ! ..

الباشا : سيخرج موزونا ، أربعة وعشرين « قيراطا » ! ...

(**باب الحجرة يفتح وتظهر الأم ...**)

خيرية : (**هامسة**) أمى ! ؟ !

الباشا : (**يتنحنح توطئة للكلام**) كيف حال هذاالشاب ، المهذب المؤدب . الحلو الشمائل ، الكريم الخصال ؟ ...

الأم : (**تنظر إليه بدهشة**) ماذا تقول ؟ ...

خيرية : (**تسرع**) ماما .. ما رأى الطبيب ؟ .. أحالته خطرة ؟ ...

الأم : أبدا ... الإصابة سطحية جدا ! ...

الباشا : اللهم لك الحمد ! ... إن فى فقد هذا الشاب خسارة جسيمة ! ...

الأم : من حسن حظه أنه لم يصب إلا بخدش بسيط ! ...

الباشا : بل هذا من حسن حظنا نحن ! ...

الأم : اطمئن الآن .. المسألة لم تعد تستحق أى تبليغ ! ...

الباشا : يل لا بد من التبليغ ! ...

الأم : تبليغ « البوليس » ؟ ...

الباشا : بل تبليغك أنت ! ...

الأم : (**فى دهشة**) تبليغى أنا ؟ ... بماذا ؟ ...

الباشا : يا لخبر السار ! ...

الأم : (**فى عجب**) أى خبر سار ؟! ..

الباشا : خبر الخطبة ! ..

الأم : خطبة من ؟ ..

الباشا : ما رأيك فى هذا الشاب ؟ ألم تلاحظى أنه مؤدب مهذب وديع ، مطيع ؟ .

الأم : لم ألاحظ شيئا ؛ فقد لزم الصمت ، و لم نتبادل الحديث ! ...

الباشا : أما أنا فقد لا حظت من أول نظرة ، قرأت على وجهه الدماثة والطيبة

والتربية العالية ! ..

الأم : سمعتك الساعة تصفه بأنه لص ! ...

الباشا : قول مرتجل ، لا وزن له ، ولا أساس له من الصحة ! ..

الأم : مهما يكن من صفته ، فالمهم أن ينتهى الحادث بسلام ! ..

الباشا : بل يجب أن ينتهى بالأفراح والليالى الملاح ! ...

الأم : ما الذى جرى لك ؟ ...

الباشا : هنئى « خيرية » ! ...

الأم : (**بدهشة**) أهنئ « خيرية » ؟! بماذا أهنئها ؟ ...

خيرية : (**للباشا**) طريقتك هذه فى الارتجال ، تجعل كلامك كما ترى غير مفهوم ...

الأم : فى الحق أنى لست أفهم شيئا ! ...

الباشا : المسألة بالاختصار أن هذا الشاب هو خير زوج لخيرية ! ...

الأم : ماذا حدث لعقلك يا « محمود » ؟ .. ابنتى الوحيدة لا أجد لها زوجا غير هذا الذى ...

الباشا : هذا الذى ماذا ؟ ...

الأم : الذى ضبط الليلة فى هذا البيت ! ...

الباشا : من قال لك إنه ضبط ؟ .. هذه وشاية دنيئة . هذه معلومات مستقاة من مصادر مغرضة ! ...

الأم : أنت المصدر ، وأنت الذى أطلق عليه الرصاص ...

الباشا : رصاصة طائشة ، فى ظلام الليل ! .. كان هذا الشاب المهذب يتمشى فى الحديقة يناجى القمر ، أقصد القمر الذى سوف يطلع فى الشهر الجديد ، ولكنه رأى قمرا آخر يطلع من هذه النافذة . هو وجه « خيرية » ! ..

الأم : أكانت إذن بينهما علاقة ؟! ..

الباشا : بريئة جدا !

الأم : (**تنظر إلى خيرية بتأنيب**) أنت ؟ ... أنت التى كنت أحسبها ابنتى الطاهرة الفاضلة ؟ ...

خيرية : إنى طاهرة فاضلة — لو تعلمين يا أمى — كعهدك بى دائما ! ... ثقى أنى لم أرتكب شيئا تكرهينه منى ، ولكنى أريد أن يكون لى زوج وبيت !...

الأم : زوج مثل هذا الرجل ؟ ...

خيرية : هو فقير حقا ... ولكنه مجد نشيط ، وذو مبادىء عليا ، وأسرته فقيرة ، ولكنها فاضلة شريفة ! ...

الباشا : أهله من خيار الناس ... اشتهروا دائما بالدماثة ، والوداعة ، وطيب الأخلاق وجميل السجايا ! ..

الأم : (**لابنتها**) أتعرفينه من قبل ؟ ...

خيرية : رأيته فى المكتبة التى كان يعمل بها ، يوم اشتريت المصحف ! ..

الأم : عامل مكتبة ؟

خيرية : كان طالبا فى كلية الآداب ! ..

الباشا : (**للأم**) ألم أقل لك إنى لاحظته ، من النظرة الأولى متحلياً بالفضائل والآداب ؟؟ ..

الأم : عامل مكتبة ؟ ..

الباشا : سيكون مدير شركة فى وقت قريب وهذا على عهدتى ! ...

الأم : (**للباشا**) يدهشنى تحبيذك لهذا الخطيب بالذات ! ...

الباشا : لأنه .. لأنه .. لأنها .. لأنها .. تحبذ ذلك .. رغبة « خيرية » يجب أن يحسب لها حساب .. نحن الآن فى عصر يجب أن تزوج فيه البنات حسب رغباتهن ، لا حسب رغباتنا ! ...

الأم : (**لخيرية**) أوَ لم يقع اختيارك إلا على مثل هذا الشخص ؟! ..

خيرية : الظروف ... يا « ماما » ! ..

الباشا : يجب أن نحسب حسابا للظروف ! ..

الأم : أى ظروف ؟ ..

الباشا : وجود هذا الرجل هنا ، فى هذه الساعة من الليل . وانطلاق الرصاصة الطائشة ، ووجود الطبيب ؛ — كل ذلك يدعونا إلى إنقاذ الموقف بمنتهى الكياسة واللباقة ! ..

الأم : (**بنظرة توبيخ**) فهمت .. فهمت .. أنت التى وضعت نفسك فى هذا الموضع الشائن ! ..

الباشا : (**بلهجة الشهامة**) لا توبخيها ؛ ما دام فى إمكاننا أن ندرأ الفضيحة قبل أن تشيع ؛ فلا محل للوم أو تقريع .. اتركى لى الأمر .. خيرية عزيزة على نفسى ، كما تعلمين ، وسأعمل كل جهدى لأجعلها سعيدة فى بيتها الجديد . وسيكون زوجها ثريا وجيها لائقاً بها . مرفوعا إلى مستواها . وسوف أسهر عليها فى حياتها الجديدة . وأرفرف على هنائها بأجنحة العناية والحماية والحب ! ..

الأم : أعرف أنك لها فى مقام الأب ... ولكن ..

الباشا : ولكن ماذا ؟ أتشكين فى حسن تقديرى للظروف ؟ .. وخبرتى بالحياة ؟ .. لو لم أر هذا الحل هو الحل الموفق السعيد ، لما حبذته ونفذته .. اطمئنى يا زوجتى العزيزة . اطمئنى دائما لرأيى وحكمى ! ..

الأم : (**مطرقة فى إذعان**) إنى مطمئنة لرأيك وحكمك .

الباشا : قولى إذن لخيرية .. مبروك ! ...

الأم : (**تتحامل على نفسها**) مبروك يا « خيرية » ! ...

(**باب الحجرة يفتح . ويظهر الطبيب يحمل حقيبته الصغيرة** ...)

الباشا : (**يلتفت إليه**) خيراً يا دكتور !؟ ..

الطبيب : سليمة يا باشا ! ... الرصاصة لم تخدش غير الجلد فى أعلى الكتف بعد ثلاثة أيام لا يكون هناك أثر يذكر لهذا الجرح ! ...

الباشا : ألا يحتاج لموالاة العلاج ؟ ...

الطبيب : لا أظن .. عندما يرفع الرباط سيكون الجرح قد التأم ! ...

الباشا : شكرا يا « دكتور » ... إن صحته غالية جدا ! ...

الطبيب : هل لدى « البوليس » علم بالحادث ؟ ...

الباشا : (البولـيس) ؟ ... ولماذا « البوليس » ؟ ...

الطبيب : لأن الحادث من رصاصة .. والمصاب ! ...

الباشا : الرصاصة من مسدسى ، والمصاب نسيبى ...

الطبيب : نسيبك ؟ ..

الباشا : (**يشير إلى خيرية**) خطيب الآنسة « خيرية » ! ...

الطبيب : (**يلتفت إلى خيرية**) عفوا ... عفوا (**ثم يلتفت إلى الباشا**) لم أفهم ذلك ! فقد خيل إلى عند مجيئى أنى سمعتك يا « باشا » تقول إن المصاب ضبط فى الحديقة .

الباشا : بالضبط .. فى الحديقة .. قولى يا « خيرية » للدكتـور ! ...

خيرية : (**بدهشة**) أقول له ماذا ؟ ...

الباشا : كيف يتقابل الخطيبان فى هذا الجيل الجديد !؟ .. (**للطبيب**) إنهما يا دكتور لا يعترفان بوجود الأبواب ، بل يستخدمان النوافذ ... الخطيبة تطل من النافذة فى ظلام الليل ، والخطيب يناجيها مـن الحديقة . مثل « روميو » و « چولييت » ... رحم الله « الشيـخ سلامة حجازى » ! ...

خيرية : وما دخل « الشيخ سلامة حجازى » هنا ؟ ...

الباشا : لن أنسى قصيدته : « چولييت ما هذا السكوت » ؟ ... شاهدته يمثلها منذ أعوام كثيرة ، وكنت بالطبع غلاماً يافعا ، ولكنى فكرت

يوماً أن أناجي خطيبتي تحت نافذة .. ها هي ذي زوجتي تشهد ... أحدث أني ...

الأم : لا .. لأنه لم يكن في منزلنا حديقة ! ..

الباشا : هذا صحيح .. كانت نافذتك على الطريق العام ، وفي عمارة في الطابق الخامس ، لو أردت يومئذ تسلقها لكان لا بد لي من سلم المطافئ ...

الأم : ذاك منزلنا القديم ... ولكن أيام خطبتنا ، كنت في منزل نافذتي فيه من السهل تسلقها ؛ فقد كانت في الطابق الأول ! ...

الباشا : ومع ذلك لم أفكر في تسلقها ! ...

الأم : لأنك لو كنت تقدر على ذلك لفعلت ! ...

الباشا : ومن قال لك إني كنت غير قادر ؟ ... أراهنك الآن أمام الدكتور أني مستعد أن أذهب إلى الحديقة وأتسلق أي نافذة ، ولتكن نافذة « خيرية » .

خيرية : لا .. لا .. أرجوك ... لا تقرب نافذتي ! ...

الباشا : لماذا ؟ ...

خيرية : لا أريد أن ... أن أتحمل مسئولية ما يقع ! ...

الباشا : وما الذي سيقع ؟ ...

الأم : أنت ... ومن سيقع غيرك ؟ ...

الطبيب : (**ضاحكا**) أنا أيضا من هذا الرأي ... لا أحبذ هذه التجربة ... إن رواية « روميو » و « جولييت » تنتهي دائما بكوارث ! ...

الباشا : بسبب النوافذ ... هذا صحيح .. لو لم ألمح خطيب « خيرية » واقفاً في الظلام تحت نافذتها ، لما ظننته لصاً وأطلقت عليه خطأً هذه الرصاصة ! ...

الطبيب : حصل خير على كل حال ... وما دامت الإصابة بسيطة ، والأمر

حدث خطأ فى محيط عائلى ، فيحسن عدم التبليغ ! ...

الباشا : هذا ما رأيناه بالفعل ! ...

الطبيب : والآن اسمحوا لى (**يتحرك للانصراف ، ويسلم على الأم**) نسيت أن أطلب إليك شيئا ... إذا أمكن الآن تقديم شراب ساخن منعش مثل فنجان من الشاى إلى جريحنا العزيز ، فإن هذا يفيده كثيرا ! ...

الأم : حالا يا « دكتور » ! ..

(وتترك المكان وتخرج من باب جانبى)

الطبيب : (**لخيرية مسلما**) اطمئنى على خطيبك ؛ فهو فى أتم صحة ! ...

(ثم يتجه إلى الباشا مسلما ...)

الباشا : دعنى أشيعك إلى باب الحديقة الخارجى ، لئلا تضل فى الظلام ...

الطبيب : لا داعى يا « باشا » .... إن برد الليل ...

الباشا : برد الليل لا يؤذينى ... لا تخف على بنيتى القوية ! ...

(يخرج الطبيب من باب البهو المؤدى إلى الحديقة ... « خيرية » تتبعهما بأنظارها إلى أن يخرجا ، وعندئذ يفتح باب الحجرة ويطل منها رأس حامد ....)

حامد : (**هامساً**) خيرية ! ...

خيرية : (**تلتفت**) حامد ! ... تعال ! ... كيف صحتك ؟ ... أخبرنى بالصدق ! ...

(تهرع إليه وتتأمل رباطه الصحى ...)

حامد : لا شىء ... صحتى على ما يرام ! ...

خيرية : (**تقوده إلى مقعد مريح**) اجلس هنا ... عندى كلام كثير أقوله لك ..

حامد : قبل كل شىء .. لا بد أن أريح ضميرى ، وأقوم نحوك ببعض الواجب ؟ ...

خيرية : أى واجب ؟ ..

حامد : إنقاذك من هذا الموقف السيئ الذى وضعتك فيه ، أين التليفون ؟ ...
(**يراه ويريد أن يتجه إليه ...**)

خيرية : (**تمنعه**) التليفون ؟ ... لماذا ؟ .. ماذا تريد أن تصنع ؟ ...

حامد : أبلغ البوليس ! ..

خيرية : اجلس هنا ... ولا تبرح مكانك ... تبلغه ماذا ؟ ...

حامد : ... أنى لص ... دخلت للسرقة .. فأنا واثق أنك لم تخبريهم بالحقيقة ... و لم تقولى لهم أنى جئت أسرق ! ...

خيرية : لا لزوم لكل هذا الآن ! ..

حامد : بل لا بد لى من أن أعرف ماذا قلت لهم عنى ؟ ... بماذا عللت وجودى فى حجرتك ؟ .. لا يبغى أن أسبب لك فضيحة .. أنت بريئة طاهرة ، ولا ذنب لك فى شيء ... ولكن أنا المذنب الذى زل ..

خيرية : لا تقل ذلك .. كل شيء قد انتهى إلى خير حل ...

حامد : أى حل ؟ ... إنى أرفض أن تحملى عنى وزرى .

خيرية : إنك لم ترتكب وزرا .. تمهل وأصغ إلى .. تعرف كل ما حصل ...

حامد : أعرف أنك جاهدت لإنقاذى ، هذا لا شك عندى فيه . ولكن بأى ثمن ؟ .. ما هو الثمن ؟ ..

خيرية : لم أنقذك .. بل أنت الذى أنقذتنى ! ..

حامد : أنقذتك أنا ؟ .. من ماذا ؟ ..

خيرية : أنسيتنى هكذا سريعا ؟ ... إنك لم تعد تفكر إلا فى موقفك أنت ؟ .. ألا تذكر ساعة هتفت من أعماق نفسى ! .. إلهى ! .. أرسل إلى من عندك ملاكا ينقذنى فبرزت أنت قائلا : هأنذا ...

حامد : أذكر .. ولما سألتنى ! .. عمن أكون ؟ ... قلت لك : ملاك

أو شيطان لست أدرى ! .. ولكنى الآن أيقنت أنى كنت لك شيطانا ... جاء يوقعك فى ورطة ، ويجعل اسمك مضغة فى الأفواه ! ..

خيرية : بل لقد أخرجتنى أنت من الورطة ... وصنت اسمى الذى كان مهدداً بالتلوث ، وحفظت شرفى الذى كان موشكا على الضياع ! ..

حامد : أنا ؟ .. أنا فعلت ذلك لك ؟ ..

خيرية : أنسيت أنك خطيبى أمام الله ؟ ...

حامد : إنى أحلك من هذا العهد ، بعد أن ضبطت فى منزلك كسارق ! ..

خيرية : إنك لم تضبط كسارق ! ..

حامد : وهذه الرصاصة فى أعلى كتفى !؟ ..

خيرية : رصاصة طائشة . أطلقت عليك خطأ ، ولم يعرف الذى أطلقها شخصيتك فى الظلام ، فلما عرف أنك خطيبى اعتذر ! ..

حامد : اعتذر ! .. أقلت لهم إنى خطيبك ؟ ...

خيرية : طبعا ... إنى لم أتعود الكذب .. أليست هذه هى الحقيقة ؟! ...

حامد : وكيف تلقوا هذا النبأ ؟ ..

خيرية : كما يتلقى العقلاء الأمر الواقع ! ...

حامد : والباشا ؟ ..

خيرية : الباشا فى أيدينا ، أو فى يدك .. إذا أردت تبليغ البوليس أنه أطلق عليك الرصاص قاصداً قتلك باعتبارك خطيبى ؛ فإن فى إمكانك أن تزج به فى السجن .

حامد : أهددته بذلك ؟ ..

خيرية : نعم ! .. هددته ، فأبدى أسفه .. إنه لم يكن يعرف أنى ارتبطت بخطيب .

حامد : والآن .. ما المخرج ؟ ..

خيرية : لماذا تبحث الآن عن مخرج ؟! .. ألا تريد أن تنسى أنك الشخص الذى دخل إلى هنا خلسة !؟ .. أنت الآن هنا رجل معترف به رسمياً ! ...

حامد : معترف به رسمياً ؟ ...

خيرية : لقد أعلنت خطبتنا إلى أمى وإلى الدكتور ، وستعلن فى الغد إلى الجميع .

حامد : وماذا قالت أمك ؟ ...

خيرية : قالت لى « مبروك » ! ...

حامد : أنا لا أصدق ! ..

خيرية : بل صدق ، أنت الآن فى بيت خطيبتك ! ..

حامد : ما هذه الليلة العجيبة ؟ .. بدأتها مجرماً ، وختمتها متزوجا ! ..

خيرية : كتب عليك فى هذه الليلة ، على كل حال ، أن تختار بين قيدين ، قيدمن حديد .. أو قيد من ذهب ! ..

حامد : لا تقولى ذلك يا « خيرية » . إن القيد الذى يربطنى بك هو قطعة من النعيم ! ...

خيرية : فليشرقِ الآن وجهك .. لتطرح عنا فواجع هذه الليلة ، ولا نذكر إلا خاتمتها السعيدة ! ..

حامد : (**يعود إلى القلق**) والباشا ؟ .. كيف كان موقفه منك بالدقة ؟... كيف لم يثر لفكرة زواجك منى ؟ .. كيف يتخلى عنك هذا الرجل بمثل هذه السهولة ؟ .. لقد سمعته من خلف ستارتك يقسم أنه يحطم كل ما يحول بينه وبينك ؟ .. ما الذى يمكن أن يصرفه عن هذا المأرب ؟ .. وينتزع من نفسه هذه الرغبة ، ويجعل قلبه صافياً ناصعاً نقياً ؟ ..

خيرية : (**تخفى ارتباكها**) قلت لك ! .. قلت لك ! ..

حامد : (بحدة) تكلمى ! ...

خيرية : لا تنظر إلىّ هكذا ، كما لو كنت مجرمة !! ...

حامد : إنى أريد أن أقتنع ! .. أقنعينى كيف تخلى عنك هذا الرجل ؟ ..

خيرية : بالتهديد ، أولا ، كما قلت لك ...

حامد : التهديد بأنه فى أيدينا ؛ لأنه أطلق على خطيبك النار ؟ ..

خيرية : حذار يا « حامد » أن تخاطبنى هكذا بلهجة الارتياب ! ..

حامد : أريد أن أقتنع ! ..

خيرية : من حقك أن تكون غيوراً ، بعض الشىء ، ولكن إياك أن تشك فى منذ الآن ! ..

حامد : إنى أثق بك يا « خيرية » كل الثقة ، ولكن أريد أن أقتنع ! ..

خيرية : إذا كنت تثق بى حقاً فلا تثر هذه الأسئلة الخيالية . هناك أشياء لا يستطيع الإنسان أن يقدم عنها جواباً مقنعاً ، لأن طبيعتها تأبى التعليل المعقول . من ذلك مسائل العواطف والغرائز ... إن هذا الرجل الذى سمعته من خلف الستار يقذف من فمه ذلك الكلام كأنه حمم من بركان ، قد خمد فجأة ... أتتصور هذا ؟ .. نعم .. لقد هدأ عندما أيقن أن هناك وثاقا متينا يربطنى نهائيا بخطيب .. لكأن كل أمل عنده قد انهار ، وحل محل الرجاء فى قلبه يأس .. مريح .. مريح .. تنفس بعده الصعداء ، وكأنه أفاق من حلم مزعج ، فإذا السكينة تقر فى نفسه ممزوجة بالرضا .. إنك لا تصدق ، ولكنك الآن ستراه ، وترى منه ما رأيت أنا .. وتلاحظ ذلك التغير الذى طرأ عليه . أكاد أشعر أن عواطف الأبوة قد بدأت تتيقظ فيه ، وتقوم مكان تلك العواطف المستعرة الأخرى ؛ فهو الآن يتحدث فى هنائى ، ويجد راحة نفسية فى أن يعيننى على تأسيس بيتنا ، وأن يحدب ويعطف على سعادتنا الزوجية ! ..

حامد : واثقة أنت إذن ؟ .. كل الثقة .. من نواياه الطيبة ؟ ..

خيرية : كل الثقة ! ..

حامد : ما دمت تثقين فأنا أثق .. إنه لمن حسن حظنا أن تتحول مشاعر هذا الرجل إلى ناحية الخير ! ..

خيرية : دخولك حياتى كان له هذا الفضل ! ..

حامد : ربما ... إن الكنز المتروك يغرى بالسطو ! ..

خيرية : سطو من ؟ ..

حامد : سطو « الباشا » بالطبع ... رآك وحيدة منفردة ، لاخطيب يحبك ، ولا حارس يحرسك فنبتت فيه غريزة السطو ! ..

خيرية : أما أنت فلم تأت للسطو على هذا الكنز ، بل على كنز آخر ! ...

حامد : ألا تريدين أن تنسى لى هذه الزلة !؟ .. ألا تظنين أنى قد دفعت ثمنها هذه القطرات من دمى .. من تلك الرصاصة التى كان يمكن أن تقتلنى ! .. أيسوءك أنى لم أجئ للسطو عليك أنت ؟ .. إنها لمفخرة لى .. إنى جئت أحرس هذا الكنز الأسمى وأذود عنه ، وأحفظ كرامته . وأكون دائما فى خدمته ، خالصاً مخلصاً إلى آخر أيامى على هذه الأرض ! ..

خيرية : أتعاهدنى على ذلك ؟ ..

حامد : أعاهدك ! ..

خيرية : هات يدك ! ..

حامد : هاتى يدك أنت ! ..

(يتناول يدها ويلثمها طويلا ، يظهر عندئذ « الباشا » عائدا من الحديقة ...)

الباشا : (**يراهما فيتنحنح**) قبلة الخطبة المباركة !؟ ...

خيرية : (**تنهض وتقدم حامد للباشا**) أقدم لك خطيبى « حامد » ! ..

الباشا : إننا سعداء يا « حامد بك » ، بوجودك ! ..

حامد : أنا لى الشرف يا باشا ! ...

الباشا : (**ينظر إلى رباطه الصحى**) كيف حالك الآن ؟ .. لعلك غير متألم من هذا الجرح ؟! ..

حامد : إنه خدش بسيط لا يؤلم ! ...

الباشا : إنى آسف أن يكون أول استقبال لك فى بيتنا ، لا أقدم إليك فيه شيئا من المرطبات ، أو بعض الحلوى و « الملبس » ! ..

خيرية : (**بابتسامة**) أما « الملبس » فقد تناوله فى شكل رصاصة ! ..

الباشا : يؤلمنى ذلك .. ولكن الذنب ذنبكما ، بل أنت المخطئة يا خيرية .. كان الواجب عليك أن تقدمى إلينا خطيبك فى وضح النهار والشمس طالعة ، فما من أحد يسعى فى الظلام ، ويوحى إلى الناس بالفضيلة والسلام ! ...

حامد : الظروف يا « باشا » قد قضت بذلك .

الباشا : لقد تغيرت الظروف .. ومند اليوم تدخل بيتنا وندخل بيتك وقت ما نشاء ! ..

حامد : إنى أتشرف ! ...

الباشا : لا بد لكما بالضرورة من بيت لطيف أنيق ... هذا علىّ أنا .. ثق أنى سأجهز « خيرية » جهازا يليق بها ، ويغريها باستقبال زوارها ، وهى مزهوة فخورة ! ...

خيرية : متى يتم ذلك ؟ ..

الباشا : (**بنظرة ذات مغزى**) أ إلى هذا الحد أنت نافدة الصبر ؟ ..

خيرية : أيدهشك هذا ؟ .

الباشا : (**بنظرة ذات معنى**) يدهشنى قليلا ، ويسرنى كثيرا .. لا تقلقى يا خيرية ! .. ثقى أنى أشد منك حرصاً على سرعة التنفيذ ؛ فإن سعادتك تهمنى ... غدا أشرع فى إعداد كل ما يلزم .. نعم ابتداء من

صباح الغد ! ...

(**تظهر الأم ، خلفها خادم يحمل صينية عليها معدات الشاى** ...)

الأم : ابتداء من صباح الغد .. ماذا ؟ ...

الباشا : نقوم بتجهيز خيرية .. أليس هذا من رأيك ؟ ..

الأم : ولماذا الإسراع ؟ ..

خيرية : (**وهى تساعد أمها فى إعداد فنجان الشاى**) كم قطعة من السكر يا « حامد » ؟...

حامد : ثلاث قطع فقط ! ..

خيرية : (**لأمها همسا**) دعينى يا أمى أذهب إلى بيتى سريعاً .. أرجوك .. يا « ماما » أرجوك .

الأم : فليكن ما تريدين يا ابنتى ! .. إنى أفهمك ! ..

الباشا : (**يتثاءب**) لا تنسوا أنى رجل على عانقى مسئوليات خطيرة فى المجتمع ، وعندى غدا كالعادة اجتماعات هامة فى مجالس إدارات شركات وجمعيات ، فواجبكم أن تشجعونى على الذهاب إلى فراشى ، كما يشجع الأطفال الأبرياء الأطهار ! ...

الأم : وما الذى يرغمك على السهر ؟ ... اصعد أنت إلى حجرتك ! ..

الباشا : (**لحامد وخيرية**) أكرر التهانى .. وإلى الغد .. موعدنا الغد ! ...

حامد : (**ومعه خيرية فى نفس الوقت**) إن شاء الله ! ...

الباشا : (**وهو يتجه إلى السلم**) سأذهب إلى فراشى ، وأنام بملء جفونى أو أحلم أحلاما جميلة ... ظريفة .. لطيفة ! ..

(يصعد السلم على مهل وهو يصلح هندامه مختالا، ويكون وجه «خيرية» فى اتجاهه بينما الأم و «حامد» ظهرهما إلى السلم فلا يريانه وقد انشغلا فى حديث خاص. يقف الباشا على الدرج ويلتفت إلى «خيرية» ويرسل إليها قبلة طويلة فى الهواء فتتلقاها برعدة وتطرق برأسها نحو الأرض!...)

(ستار)

الفصل الثالث

(مكتب مدير « شركة الحامدية » : مقاعد جلد فاخرة وأثاث فخم ، وخرائط زراعية وإحصائية إلخ ....)

(« حامد » : المدير جالس إلى مكتبه . وأجراس التليفونات العديدة حوله ترن فى وقت واحد ...)

حامد : (**يتناول السماعات**) نعم ! .. مفهوم .. سأتحرى الأمر الآن بنفسى ، ونكتب إليكم الرد (**يضع سماعة ويجيب فى التليفون الآخر**) فاهم ! .. فاهم .. سيصلكم قريبا جدا .. سأتحرى الموضوع .. باشكاتب الشركة سيعرض على البيانات ! (**يضع السماعة ويدق جرس السكرتير الخاص وإذا التليفون يرن**) أف ! .. غير موجود الآن ! .. (**يضع سماعة التليفون ويدخل السكرتير**) الباشكاتب ؟ ... أين حضرة الباشكاتب ؟ .. طلبته منذ ساعة ، ألا يريد أن يأتى ؟! ..

السكرتير : (**فى ارتباك**) قال لى إنه .. مشغول قليلا ! ..

حامد : عجبا ! .. ألست أنا مدير الشركة ! ... ألا يستطيع مدير الشركة أن يطلب باشكاتب الشركة ؟ ..

السكرتير : (**فى يده بطاقة زيارة**) « شاكر بك » هنا .. يريد مقابلة سعادتك فى أمر هام ؟! ..

حامد : (شاكر بك) .. من هو « شاكربك » ؟ ..

السكرتير : هو ..

(يفتح الباب ويدخل الباشكاتب فجأة)

حامد : أخيراً ! ... يا حضرة الباشكاتب ؟! ..

الباشكاتب : (**يتجه إلى حامد ، ولكنه يلتفت إلى البطاقة فى يد السكرتير ، ويخاطبه بعنف**) من قال لك أن تستقبل هذا الرجل !؟ ..

السكرتير : (**بأدب وخضوع**) لقد جاء يلتمس مقابلة البك المدير ! ..

الباشكاتب : هذا الرجل ممنوع أن يضع قدمه فى هذه الشركة .. ألا تعرف ذلك ؟ ..

السكرتير : ممنوع ! ..

الباشكاتب : بأمر الباشا .. ممنوع بأمر الباشا ! ..

السكرتير : لم أكن أعرف ! ...

الباشكاتب : لقد عرفت الآن .. اذهب واطرده فى الحال ! ..

السكرتير : (**يخرج بسرعة صادعاً بالأمر**) فى الحال ! ...

حامد : ما شاء الله ! .. حتى زوارى لا أستطيع أن أستقبلهم ؟ .. ما معنى كل هذا ؟ ..

الباشكاتب : العفو ياسعادة البك ! .. جنابك هنا المدير .. مطلق التصرف .. صاحب الكلمة النافذة .. الآمر الناهى ... لكن من واجبنا أن نحميك وأنت لنا الذخر والسند والموجه والمرشد من زيارات الثقلاء ، وأن نحمى وقتك الذهبى الثمين من أصحاب الشكاوى ...

حامد : أوَ ليس من واجبى أيضاً تحرى شكاوى المساهمين ؟ ...

الباشكاتب : ثق أن كل شىء بخير .. كل شىء بخير .. ومركزنا المالى والحمد لله أرسخ من الجبال ! ... امسك جنابك الخشب ! ...

حامد : هذا جواب غير مقنع .. وقد أجبتنى بمثله مرارا ، ولكن المساهمين فى قلق على هذه الشركة ! ..

الباشكاتب : ولماذا القلق .. لا سمح الله ؟ ..

حامد : لأنكم بعد أن أعلنتم عنها ذلك الإعلان الضخم ، وطرحتم أسهمها

فى السوق وأقبل الجمهور على الاكتتاب ، وسار كل شيء على ما يرام ، إذا فجأة لا يسمع أحد شيئاً عن هذه الشركة ! ..

الباشكاتب : وماذا يريد الناس أن يسمعوا ؟ .. لقد تم الاكتتاب ، وانتهى الأمر .. أى داع بعدئذ للطبل والزمر ؟! ..

حامد : إنى لا أسأل عن الطبل والزمر ؟ ... إنى أسأل عن الشركة ؟ .. أين هى هذه الشركة الآن ؟ ..

الباشكاتب : موجودة ! ..

حامد : أين مديرها ؟ ..

الباشكاتب : هذه .. مسألة أخرى ...

حامد : أين أسهمها ؟ .. هل سلمتم كل الأسهم لأصحابها ؟ .. مئات من الخطابات والتليفونات ، من صغار المزارعين ، والمهندسين والمدرسين والمحامين ، أهل الطبقة المتوسطة من الجمهور ، ممن بادروا إلى الاكتتاب ؛ — يقولون إنهم دفعوا النقود و لم يتسلموا سوى إيصالات غير قابلة للتحويل ، ولما طالبوكم بالأسهم ، أجلتم وماطلتم . وأخيرا اقترحتم عليهم أن يأخذوا بنقودهم أسهم الشركة الجديدة « الحامدية » بدلا من الشركة القديمة « الشاكرية » ! ...

الباشكاتب : هذا صحيح .. وأى ضرر فى هذا ؟ .. إن غرضنا دائما هو مصلحة الجمهور ! ..

حامد : وما هى مصلحة الجمهور هنا ؟ ..

الباشكاتب : الشركة الجديدة التى تتشرف بإدارتكم خير ألف مرة من الشركة القديمة ! ..

حامد : شيء عجيب ! .. لقد ساهم الجمهور فى الشركة القديمة بأمواله . فبأى حق توجهونه إلى شركة أخرى ؟! ..

الباشكاتب : الشيء العجيب حقا هو أن الجمهور يشكو من ذلك .. هذا الجمهور الذى لا يعرف مصلحته ! ..

حامد : إنك لم تجب عن سؤالى .. لماذا حولتم الجمهور من شركة إلى شركة ؟ من الشاكرية إلى الحامدية ؟ ..

الباشكاتب : وما الفرق بين الشاكرية والحامدية ؟ ..

حامد : أتسألنى أنا ؟ .. هذا هو السر الذى أريد أنا أن أعرفه ؟! ..

الباشكاتب : لا يوجد سر على الإطلاق . ولكن نستطيع القول إن شركة الشاكرية سائرة فى طريقها ! ..

حامد : فى طريقها ! ..

الباشكاتب : نعم .. إلى التصفية ! ..

حامد : ماذا تقول ؟ .. التصفية ؟ .. بعد نجاح اكتتابها ، وتغطية أسهمها ؟ ..

الباشكاتب : هذا هو الشيء الغريب ! .. لكن ماذا نفعل ؟ .. ومديرها رجل محتال نصاب ، مزور ؟! ..

حامد : ياللكارثة ! .. احتال وزور على من ؟ ..

الباشكاتب : على الجميع .. على الجمهور وعلى الباشا وعلى أعضاء مجلس الإدارة .

حامد : وكيف تمكن من الاحتيال والتزوير ؟ ... أخبرنى بكل شيء ! ..

الباشكاتب : تلك حكاية طويلة . يحسن أن أقصها على سعادتك فى وقت أوسع ! .. من واقع الملف الخاص ، حتى يكون كلامى مؤيدا بالمستندات . أما الآن فإنى مشغول جدا ، ولو سمحت لى بالإمضاء ؟ ...

(يعرض أوراق ملفه ...)

حامد : **(دون أن ينظر إلى الأوراق)** وأموال الجمهور ؟ ...

الباشكاتب : لا خوف عليها .. لقد حولناها إلى شركتكم الناجحة المضمونة ! ..

حامد : فهمت ، وهذا المحتال فى السجن طبعاً ! ..

الباشكاتب : مع الأسف .. لا .. أنت تعرف قلب سعادة الباشا المتدفق بالرحمة ، الفياض بالشفقة ، النابض بالعواطف الجميلة النبيلة ! .. (مشيرا إلى **الأوراق**) لو سمحت بالإمضاء هنا ! ..

حامد : (**ينظر إلى الأوراق**) ما هذا ؟ .. أيضا ؟ .. أسهم !؟ ..

الباشكاتب : نعم ... لقد أردت أن أخفف عن سعادتك العبء ، فرأيت أن أحضر للإمضاء فى كل يوم كمية من الأسهم الصادر بها المرسوم ! ..

حامد : (**وهو يمضى بالقلم**) حقا .. فى كل يوم أمضى كمية .. أما من طريقة أخرى ؟ .. لماذا لا أوقع بختمى ؟ .. حتى ننتهى من هذه العملية سريعا ؟ ...

الباشكاتب : لا بُدّ من إمضاء سعادتك على كل سند ، زيادة فى الضمان !؟ ..

حامد : إنك شديد الحرص يا حضرة الباشكاتب .. وإنه ليدهشنى كيف استطاع مدير « الشاكرية » أن يحتال ويزور ، وأنت هنا ، على مقربة منه ، مفتوح العينين ؟! ..

الباشكاتب : ساعة القدر يعمى البصر ! ...

حامد : لقد شوقتنى إلى معرفة هذه الجريمة ! .. (**يضع القلم**) فلنؤجل إمضاء ما بقى من الأسهم إلى لحظة أخرى .. اذهب الآن وأحضر إلى الملف الذى وعدتنى به .

الباشكاتب : (**بقلق**) أى ملف ؟ .

حامد : الملف الخاص بحكاية الاحتيال والتزوير ! ..

الباشكاتب : الآن ؟ ..

حامد : نعم .. الآن .. ما الذى يمنعك ؟ ..

الباشكاتب : إنه ليس عندى ! ..

حامد : أين هو ؟ ..

الباشكاتب : إنه عند .. عند سعادة الباشا ! ..

حامد : المسألة بسيطة .. نطلبه من الباشا بالتليفون ، فيرسله مع ساع فى أقرب وقت .

(**يمسك بالسماعة** ...)

الباشكاتب : (**يضطرب**) لا .. لا داعى إلى مخاطبة الباشا فى ذلك ؟ .. لئلا يظن أنى ..

حامد : أنك ماذا ؟ ..

الباشكاتب : أنى متحامل على المدير السابق ، وأنى أريد فضيحته .. لقد رأى الباشا وأعضاء مجلس إدارة الشركة القديمة أن يكون الأمر سرا ، وأن يطوى الموضوع ، ويسوى بهدوء ، حتى لا يثار اللغط حول مشروعاتهم ، فلا تحرجنى يا سعادة المدير ! ..

حامد : ليس فى هذا إحراج لك ، ولكنى أريد أن أعرف مركز الشركة القديمة التى دخلت فى شركتى ..

الباشكاتب : ما دام الباشا لم يذكر لك شيئا ! ..

حامد : إذن يجب أن أسأله ..

الباشكاتب : لا .. لا تسأل .. نصيحتى المتواضعة ألا تفعل .. ماذا يهمك من كل ذلك يا سعادة البك ؟ ... أنت مدير ناجح ، تتقاضى مرتبا كبيرا ، وتعيش فى بحبوحة وسعادة ! .. كل أوامرك مطاعة وطلباتك مجابة ، حائز لثقة مجلس الإدارة ، متمتع ببيت جميل وحياة عائلية رغدة ناعمة ، فى ظل سعادة الباشا وكرمه وعطفه .

حامد : (**بحدة**) ما معنى هذا ؟ ..

الباشكاتب : لا شيء .. لست أعنى شيئا على الإطلاق ، سوى أن الموضوع لا يساوى الآن أن تحدث من أجله ضجة ، أو تثير فيه ساكن الباشا أو المجلس ! ..

حامد : ولكنى أريد أن أعرف ؟! ..

الباشكاتب : إذا كان لا بد من ذلك فاترك لى الأمر ، أحضرلك المعلومات خلسة بلاضوضاء ! ..

حامد : أريد الاطلاع على الملف ؟ ..

الباشكاتب : (ملف الشاكرية) ؟ ... أنا أحضره إليك ! ..

حامد : متى ؟ ..

الباشكاتب : مع شيء من الصبر .. مع شيء من الصبر ! ..

حامد : اذهب الآن وأحضره .. الآن ..

الباشكاتب : (**يأخذ أوراقه من أمام « حامد » ويذهب**) سأحاول ! ..

حامد : نعم .. اذهب وحاول ! ..

(يخرج الباشكاتب ، وينهض حامد ويقترب من إحدى الخرائط فوق الحائط وهو يلفظ « الشاكرية » .. « الشاكرية » .. ولا تمضى لحظة حتى يفتح الباب ويطل منه رأس شاب فى مثل عمر حامد ثم يدخل المكتب) .

حامد : من حضرتك ؟ ..

الشاب : لا تؤاخذنى ! .

حامد : (**مقاطعا**) من حضرتك ؟ ..

الشاب : (**متابعا كلامه**) لم أجد غير هذه الطريقة ، كلهم هنا يريدون منعى من مقابلتك ! ..

حامد : من حضرتك ؟ ...

الشاب : أنا مدير الشركة السابقة .. « شاكر » ! ..

حامد : الشاكرية ؟! .. مدير الشاكرية !؟ ..

شاكر : نعم ، أنا المدير .. ولا فخر ! ..

حامد : (يبادر ويقدم إليه كرسيا) تفضل ! .. تفضل ! .. فرصة طيبة إنه ليسرنى أن أراك .. ماذا أطلب لك ؟ .. قهوة ؟ ... ليمون ؟ ...

شاكر : لا .. لا .. لا تطلب لى شيئا .. ولا يحسن أن يرانى أحد معك .. بعد أن غافلت الجميع ودخلت عليك هكذا ! ..

حامد : (يقدم إليه علبة السجاير) سيجارة ؟ ..

شاكر : (يتناول واحدة) متشكر ! ..

حامد : ولماذا يريدون منعك من مقابلتى ؟...

شاكر : لأنهم يخشون أن أطلعك على معلومات ليس من مصلحتهم أن تعرفها أنت ، فى الوقت الحاضر ؟...

حامد : فى الوقت الحاضر ؟..

شاكر : نعم فى الوقت الذى تصدر فيه أسهم شركة « الحامدية » !...

حامد : لست أفهم شيئا ، أفصح قليلا !...

شاكر : لقد طلب إليك باشكاتب الشركة أن توقع بإمضائك على كل سهم باعتبارك المدير ؟!...

حامد : طبعا ، زيادة فى الضمان !...

شاكر : ضمان من ؟... ضمان خلو مسئوليتهم هم ... ما علينا ... أراقبت بنفسك الأرقام المسلسلة لهذه الأسهم !؟...

حامد : فعلت ذلك فى أول الأمر ، ولكنى فى كل يوم أوقع بإمضائى على كميات كبيرة ... وأصبحت العملية آلية كما تعلم !...

شاكر : نعم ... كما أعلم ... للأسف ... بعد فوات الأوان !...

حامد : أرجو أن توضح لى الأمر أكثر من ذلك ؟!...

شاكر : هل اطلعت أولا على ما تم فى موضوع الشركة القديمة « الشاكرية » .

حامد : لقد حاولت ذلك كثيرا ، ولكنى اليوم أصررت على أن أطلع على الملف ، وقد ذهب الباشكاتب بالفعل ليحضره إلىّ ! ..

شاكر : إنه لن يحضره إليك ! ..

حامد : لماذا ؟ ...

شاكر : لأنك ستجد فيه إجراءات وأساليب ، يتضح لك منها أنى محتال ومزور ! ..

حامد : هذا حقا ما قيل عنك . ولكن ما دخلى أنا فى ذلك ؟ ...

شاكر : سيتضح لك منها فى عين الوقت أنك أنت أيضا محتال ومزور ! ...

حامد : أنا ؟ .. ما هذا الذى تقول ؟ ...

شاكر : تريد أن تعرف بالضبط ما حدث ؟ ... إذن فاسمع ... لقد تأسست الشركة المساهمة « الشاكرية » بمقتضى مرسوم ، برأس مال قدره مائة ألف جنيه .. دفع منه الباشوات أعضاء مجلس الإدارة نحو الثلث ، على الورق ، مفهوم ؟ .. أى أنهم لم يدفعوا مليما ... ولكن أسهمهم قدمت إليهم هدية كما تقدم باقات الزهر ... تيمنا بأسمائهم الكريمة ، وطرحت بقية الأسهم فى السوق ، ودقت طبول الإعلان مصحوبة بالأسماء الكريمة . فأقبل الجمهور الواثق بهم على الشراء إقبالا جارفا . حتى ارتفع ثمن الأسهم إلى ضعفه فى أيام وهنا يأتى دورى ! .. فإن قلمى باعتبارى مديرا جعل يمضى على أسهم لا ينتهى عددها فى كل يوم .. وإذا الحقيقة تظهر لى بعدئذ أن هذه الكميات الأخيرة من الأسهم قد طبعت حديثا بعد ارتفاع الأسعار ، بأرقام مسلسلة مزورة ،

أى أن السهم رقم ١٧٥ مثلا قد تكرر أكثر من أربع مرات . أى أن السهم الواحد قد بيع أكثر من أربع مرات ! ..

حامد : يا للمصيبة ! ... ومن الذى فعل ذلك ؟ ...

شاكر : أنا طبعا المسئول ؛ لأن إمضائى بيدى على كل سهم ! ...

حامد : وفى جيب من دخلت أثمان الأسهم المكررة ؟ ...

شاكر : اسأل « الباشا » و « الباشكاتب » ! ...

حامد : والجمهور من المساهمين ؟ ...

شاكر : لم يسلموهم الأسهم المزورة ، بل أعطوهم إيصالات بالمبلغ . وجعلوا يماطلونهم فى تسليم هذه الأسهم ... ثم رأوا أن يصفوا « الشاكرية » ، قبل أن ينكشف الأمر ، ويؤسسوا مكانها « الحامدية » ويعطوا الضحايا أسهمها بدلا من أسهم الأولى ... مفهوم ؟ ...

حامد : وأنت ؟ ... مامركزك ؟ ...

شاكر : كما ترى ... عنقى هو الذى تحت السيف ... كلمة من الباشا إلى النيابة فإذا بى أنا فى أعماق السجون ، بتهمة التزوير والاحتيال ! ...

حامد : (**يشير إلى الحائط**) وما هذه الأطيان المرسومة على الخرائط ، باسم تفتيش « الشاكرية » ؟ ..

شاكر : تلك أرض بور ورمال كان يملكها « الباشا » فى صحراء الشرقية ، مساحتها نحو ألف فدان لا تساوى كلها أكثر من ألف جنيه ، باعها سعادته للشاكرية بعشرين ألف جنيه ، وجعل من أغراضها أن تزرعها بالفول السودانى ، وأن تستخرج من الفول السودانى زيتا ، وأن يصنع من الزيت صابون ، وأن يجعل من الصابون إلى آخره .. إلى آخره ..

حامد : ولكن هذه الأطيان حولت الآن إلى الشركة « الحامدية » ...

شاكر : حولت بطريق البيع مرة أخرى ! ..

حامد : مرة أخرى ؟ ...

شاكر : بعد تصفية « الشاكرية » باع سعادة الباشا بصفته رئيس مجلس الإدارة الشركة القديمة إلى سعادة الباشا ، بصفته رئيس مجلس إدارة الشركة الجديدة ، هذه الأطيان نفسها ، بمبلغ ثلاثين ألف جنيه ! . تجد ذلك ثابتا فى الملفات . أى بربح عشرة آلاف جنيه فى الصفقة ... والأرض هى الأرض ، والرمل هو الرمل ، ولم تكن قد أخرجت بعد لا فول ولا صابون .

حامد : (كالمخاطب لنفسه) يا للعجب ! ... هكذا إذن يصنعون المال ! ..

شاكر : نعم هكذا يصنعون المال ! ...

حامد : (يمد يده إلى الجرس) لقد نبهتنى إلى خطر ! ..

شاكر : (يستوقفه) مهلا .. ماذا أنت صانع ؟ ..

حامد : يجب أن أنادى الباشكاتب ، وأفحص معه أرقام الأسهم ! .

شاكر : حذار من أن تخبره أنك مرتاب فى شىء ؛ فإنه قدير على أن يضللك ، ويخفى عنك كل أثر ! ..

حامد : وما العمل ؟ ..

شاكر : اعتمد على ذاكرتك ، وراقب بنفسك كل رقم تشك فى أنه مكرر ! ... واضبطهم متلبسين بالجريمة ! ..

حامد : ولكنى وقعت بإمضائى على أسهم كثيرة . من يدرينى أنها ليست مزورة ؟ ...

شاكر : فى هذه الحالة تكون قد وقعت فى الفخ ، وفات الأوان ! ...

حامد : (فى رعدة) يا الله ! .. فى أى مكان نعمل هنا ؟ ... وأنا الذى

حسبت أنى أدير شركة محترمة منتجة ؟ ..

شاكر : الشركة « الحامدية » !! ... ومن يدرى ماذا ستتخذ لها غداً من الأسماء والمترادفات ؟! ...

حامد : غداً ؟! ...

شاكر : أنسيت أن اسمها بالأمس كان « الشاكرية » ، وكنت أنا مديرها الذى يجلس فى نفس هذه الحجرة ، وإلى نفس هذا المكتب ، محاطاً بهذا الفرش والرياش والخرائط والأرقام والإحصاءات ... ما من شيء تغير هنا الآن إلا اسم الشركة واسم المدير ! ...

حامد : وما هو عملك اليوم ؟ ..

شاكر : لا شيء .. مطرود إلى قارعة الطريق ! ..

حامد : ولماذا يطردونك ؟ ...

شاكر : لأن « الباشا » لم يعد فى حاجة إلى ! ..

حامد : وكيف لا يحتاج إليك وإلى خبرتك وكفاءتك ؟ .. لقد كنت مديراً ! ..

شاكر : خبرتى وكفاءتى ؟! .. هذا ما كنت أعتقده يوم أخذنى « الباشا » من وظيفتى الصغيرة : كاتب قيودات فى شركته ، وأجلسنى مديراً للشركة .. تذكرت عندئذ نبوغى يوم كنت طالباً بكلية التجارة ، وقلت فى نفسى مزهواً ، وأنا أتربع فى هذا المقعد الكبير : هذا مكانى الطبيعى ! .. لقد وصلت حقا بسرعة تحير اللب ، وتصدم العقل ، ولكن هذه معجزة الكفاءة ! ... وظل حضرة الباشكاتب يدخل علىّ كل يوم يسبح بخبرتى وكفاءتى ، حتى أعمانى البخور ، وأسكرنى الغرور ، فلم أبصر أى وحل أسير فيه ، ولا أية هوة تحت قدمى ، إلى أن انتهى بى الأمر إلى ما ترى من ضياع الشرف والعرض ! ...

حامد : (**بدهشة ورعشة**) العرض ؟! ..

شاكر : نعم .. العرض ... وتلك قصة أخرى لا شأن لك بها ، فإن ظروفى فيها تختلف عن ظروفك ... إنما أردت مقابلتك اليوم ؛ لأنبهك إلى تزوير الأسهم ، لعلك تتمكن من ضبط الجريمة فى حينها ، فأستفيد أنا من ذلك فى دفاعى ، إذا قدمنى الباشا إلى النيابة ؟ ..

حامد : وما مصلحة « الباشا » فى أن يقدمك إلى النيابة ؟ ...

شاكر : ليتخلص منى ؟ ..

حامد : ولماذا يتخلص منك ؟ ..

شاكر : لأنى أطالبه بغسل العار عن فتاة غرر بها واعتدى عليها ؟ ...

حامد : فتاة اعتدى عليها ؟ .. وما شأنك أنت بها ؟ ...

شاكر : أختى ! ..

حامد : ماذا تقول ؟ ..

شاكر : ما دمت تريد أن تعرف ظروفى الخاصة ، فلا بأس من أن أذكرها لك .. القصة باختصار أن أختى وهى فتاة فى العشرين ، مرت بى ذات يوم هنا — وأنا كاتب قيودات — فى بعض شأنها ، فلمحها الباشا وتلطف معها ومعى ، وأبدى لها استعداده لمعاونتها فى الحياة ... وكان كل أمنيتها بعد أن أتمت دراستها أن توظف مدرسة فى إحدى مدارس البنات ، ولكن الواسطة كانت تنقصنا ، فلما عاونها الباشا بنفوذه وعينت بالفعل ، أسرها الجميل فلم تفطن إلى حقيقة نواياه ، وازداد تقربه منا ، وكثرت هداياه ، وعظم اهتمامه بى واكتشف مواهبى وكفاءتى ، فلم يجد لهما أنسب من منصب المدير لشركة تحمل اسمى ! .. وضخم مرتبى ، فاتخذنا مسكنا لائقاً ، وأصبح الباشا يزورنا فى هذا البيت الفخم زيارة الصديق

للصديق ... ولكن أعمالى فى الشركة كانت تستوجب تغيبى من حين إلى حين . وليس فى البيت غير أمي العجوز ، تصلى دائماً فى حجرتها وقد ضعف بصرها .. وأخيراً تبين لى السر ! ...

حامد : (**كالمخاطب نفسه**) نعم .. فهمت .. فهمت ..

شاكر : نعم .. أينْ نحن الضعاف من هؤلاء ؟! .. نحن الجيل الجديد الذى خرج من الجامعات مؤمناً بالمثل العليا ! ..

حامد : (**من بين أسنانه ساخراً**) المثل العليا ! ...

شاكر : خطؤنا الأكبر أننا لم نستطع الاحتفاظ بها طويلا فى قلوبنا . لكن هل كان فى الإمكان أن تبقى أو تصمد ؟ .. بعد أن رأينا ما يجرى فى الحياة ؟ ... وبعد أن كشف لنا المجتمع ، بما فيه من أمثال هؤلاء القادة والكبراء ، عن طرق الوصول ومثل النجاح ؟! ..

حامد : (**كمن يخاطب نفسه**) الويل للباشا ! .. إذا كان ما تقول صحيحاً ! ...

شاكر : نعم ... الويل له .. إنى أعرف الآن ما أنا صانع . لقد دفعوا بنا إلى الجريمة ! ..

(**ينهض متأهبا للانصراف ...**)

حامد : (**وهو ينهض**) ماذا تنوى أن تفعل ؟ ..

شاكر : ما أفعل سوف تعرفه فى وقته ! ..

(**يسلم على حامد ويتركه يخرج من حيث جاء ، بينما يقف حامد بلا حراك ، وكأنه من الشرود غائب الوعى ! .. وفجأة يفيق وينقض على آلة التليفون كالمجنون ويدير رقماً**)

حامد : (**السماعة على أذنه**) ألو ... ألو .. من أنت ؟ .. إدريس ؟ ... من إدريس ؟ ... آه إدريس السفرجى .. اسمع يا « إدريس » ... أين الست ؟ .. الست ؟ ... أين الست ؟ ...

خرجت ؟ خرجت أين ؟ .. ألا تعرف أين ذهبت ؟ ... لا تعرف ؟ ... ومن طلبها فى التليفون ؟؟ ... الباشا ؟ ... الباشا طلبها فى التليفون ؟ ..

(وعندئذ يدخل السكرتير حاملا برقية يقدمها إلى « حامد » بأدب واحترام ...)

السكرتير : هذه برقية من وكيلنا بالإسكندرية ، أشر عليها سعادة الباشا .

حامد : **(يخطفها من يده ويقرؤها)** . عزيزى حامد بك . يجب أن تسافر الليلة إلى الإسكندرية لتشرف بنفسك على حركة بيع الأسهم فى البورصة .

(حامد يدس البرقية فى جيبه ويلبس طربوشه ويندفع خارجا وهو يقول ...)

أسافر الليلة ! .. مفهوم .. مفهوم .. مفهوم جداً ! ..

(يخرج على نحو يدهش له السكرتير الذى يقف ناظراً إليه كالمأخوذ ، ويقلب كفيه كمن لم يفهم شيئاً مما يرى . ويدخل عندئذ الباشكاتب من باب آخر يحمل أوراقه ، وينظر إلى المكتب الخالى ....)

الباشكاتب : **(يلتفت حوله)** أين المدير ؟ ..

السكرتير : خرج مسرعاً ! ..

الباشكاتب : خرج ؟ .. وكيف خرج ، قبل أن يمضى بقية الأوراق ؟ ...

السكرتير : لست أدرى يا حضرة « الباشكاتب » .

الباشكاتب : **(بنظرة نارية)** يا حضرة ؟ ..

السكرتير : **(متداركا)** البك .. يا حضرة البك .. لست أدرى والله أين ذهب المدير .. كل ما أعلم هو أنى دخلت أعرض عليه برقية مؤشراً عليها من « الباشا » ، فخطفها من يدى ودسها فى جيبه ، وانطلق

خارجاً على نحو غريب ! ..

الباشكاتب : ما شاء الله ! .. ما شاء الله ! ..

السكرتير : لو كنت أعلم أن سعادتك تريد أن يبقى فى مكتبه قليلا . كنت اتخذت اللازم .

(صوت الباشا من الخارج يتنحنح .)

الباشكاتب : صه .. سعادة الباشا ! ..

(يقف بأدب متأهباً للمقابلة ، وكذلك السكرتير ، ويدخل « الباشا » يعبث بسبحة من الكهرمان ...)

الباشا : **(ينظر إلى المكتب الخالى)** أين « حامد بك » ؟ ..

الباشكاتب : خرج الآن يا « باشا » ! ..

الباشا : أين ذهب ؟ ..

الباشكاتب : لا أعرف .. لم يخطرنى بذهابه ، ولكن السكرتير يقول إنه أعطاه برقية ؟! ..

السكرتير : البرقية المؤشر عليها من سعادة « الباشا » .

الباشا : آه.. عظيم.. عظيم... عظيم.. لقد ذهب ولا شك يعدّ حقيبة السفر فهو لا بد أن يكون الليلة فى الإسكندرية .. مدير نشيط!..

الباشكاتب : بماذا يأمر سعادة الباشا ؟ ..

الباشا : لا شيء .. كيف حال العمل عندك يا حضرة الباشكاتب ؟ ..

(الباشكاتب يومئ بإشارة إلى السكرتير لينصرف ، فيخرج السكرتير فى الحال ...)

الباشكاتب : **(فى ابتسامة ذات معنى)** على ما يرام يا باشا ! ..

الباشا : **(بنبرة ذات معنى)** عملية إمضاء الأسهم ؟ ..

الباشكاتب : كدنا ننتهى منها اليوم ! ...

الباشا : كدتم ؟ .. وما الذى منعكم ؟ ..

الباشكاتب : فكرة قامت فى رأس « حامد بك » أن يناقشنى فى موضوع « الشاكرية » .

الباشا : عرفت بالطبع كيف تجيب ؟ ..

الباشكاتب : طبعا ! ..

الباشا : أعرف براعتك .. إنى مطمئن إليك ، وثقتى بك لا حدلها ، لا لأنى رجل عاطفى فقط بل لأنى رجل يراك تدافع عن مصلحتك ، أو بعبارة أخرى عن عمارتك التى تبنى الآن فى الدرب الأحمر ! ..

الباشكاتب : (**مطرقا**) كله من خير سعادة الباشا ! ..

الباشا : (**بلهجة ذات مغزى**) ومن خير الأسهم المكررة ! .. إذا صدقت معلوماتى ، فإن كل رقم مكرر يختفى منه سهم .. وهذا وضع يمكن أن يحتمل ، وإذا صدقت معلوماتى أيضاً فإن العمارة قد وصلت إلى الطابق الخامس ، وهذا أيضاً يمكن أن يحتمل . ولكن نصيحتى أن يقف البناء عند هذا الحد ، محافظة على الأساس ! ..

الباشكاتب : هذا أيضا من رأيى ياسعادة الباشا ! ..

الباشا : اتفقنا ! ..

(**الباب يفتح فجأة وتدخل « خيرية » ...**)

خيرية : (**باندفاع**) « حامد » !؟ .. أين « حامد » ؟ ..

الباشا : (**يلتفت باسماً**) مرحبا ! .. مرحبا ! ..

(**الباشكاتب ينسل خارجا بسرعة ...**)

خيرية : (**مسمرة فى الأرض كالمأخوذة**) أنت ؟ .. هنا ؟ ..

الباشا : نعم أنا .. ما كنت تتوقعين أن تجدينى هنا ؟! ..

خيرية : لا ..

الباشا : أما أنا فكنت أتوقع أن أجدك ذات مرة هنا ! ..

خيرية : طبيعى أن أزور زوجى فى مكتبه ! ..

الباشا : وليس من الطبيعى أن تزورينى فى مكتبى ؟!...

خيرية : لا أرى لذلك ضرورة ! ..

الباشا : أحب هذه الصراحة ! ..

خيرية : ألسنا نحظى بزيارتك لنا فى منزلنا من حين إلى حين ؟ ..

الباشا : حقاً!.. زيارة تحاولين دائما بمهارة أن تكون فى جو عام!.. ما من مرة أردت زيارتك إلا وجدت زوجك معك، أو أمك أو جارتك!. لكأنك تبادرين إلى استدعاء من يقطع خلوتنا، لا ينقصك إلا جرس، تدقينه فى النافذة ليصعد إلينا المارة والجماهير!..

خيرية : ولم لا؟ .. زيادة فى الترحيب بك ! ..

الباشا : أهذا ما وعدتنى به ؟ .. وعاهدتنى عليه ؟ ..

خيرية : بماذا وعدتك ؟ ..

الباشا : الذاكرة لا تضعف فى مثل عمرك الغض ! .. لم تمض بعد ثلاثة شهور على تلك الليلة التى عقدنا فيها الاتفاق الذى تعرفين ! .. أما أنا فقد قمت بوعدى ، وها هو ذا زوجك قد أصبح مدير شركة كبرى تحمل اسمه ، وهأنذا قد تحليت بالكياسة واللباقة ، فأعددت العش الجميل الذى لم تطأه بعد قدماك ! ...

خيرية : الظروف قضت بذلك ... مرضى ، كما تعلم ، واعتلال صحتى طول هذه المدة اضطرنى إلى ملازمة الفراش فى أغلب الأيام ! ..

الباشا : قصة مرضك هذه، اسمحى لى أن أقابلها بالتحفظ الشديد.. وإنى أعلم الآن لماذا يضع بعض النساء حول نحورهن فراء الثعالب «ويقربن» من ثغورهن رءوسها الصغيرة، مفتوحة الآذان... أتدرين لماذا؟... لأن هذا الصنف من النساء يلقنّ الثعالب دروسا فى المراوغة!..

خيرية : ليتنى أستطيع أن أروغ منك ! ..

الباشا : بئس هذا التمنى الذى ينطوى على الغدر ونكث العهود ! ... كان يجمل بك أن تتخذى منى أسوة ومثلا ، وأن تحافظى على تعهداتك نحوى ، كما حافظت على تعهداتى نحوك ، أنا الذى وفيت بكلمتى لك مغمض العينين ، حرفا حرفا ، وشرطا وشرطا ، كما يقضى بذلك واجب الشرف ! ..

خيرية : الشرف ؟!! ..

الباشا : اهزئى ما شئت ، وأنكرى قيمة المبادئ ؛ فأنت حرة فى أن تكونى امرأة ليس لها وعد ولا عهد .. ولكن ماذنبى أنا ؟ أقع فريسة لك ؟! تستغلين نيتى الطيبة ، وتلعبين بى وتعبثين ، بأناملك الناعمة المصبوغة بالأحمر ، كأنها مخالب انغمست فى دمى البرىء ! ...

خيرية : يا للضحية ! .. يا للضحية ! ..

الباشا : تلفظين بلذة ونهم ! .. كل امرأة بالغريزة تحب أن يكون لها ضحية ؛ لأنكن من فصيلة القطط والنمور ! ..

خيرية : تريد الآن أن تقنعنى بأنك ضحيتى ! ..

الباشا : فأر صغير .. يحلو لك أن تمسكى به من ذيله ، وأن تفعلى به ما تشائين وتنالى منه ما تريدين ، دون أن تعطيه فرصة ليأخذ منك شيئا ! ..

خيرية : إنه يريد أن يأخذ منى كل شىء ! ..

الباشا : إنك تبالغين ! ..

خيرية : هذا الفأر الصغير يريد أن يقرض حبل حياتى ! ..

الباشا : حياتك ؟ ... ومن الذى صنع هذه الحياة ، وفق ما طلبت وتمنيت وتخيلت ؟ ..

خيرية : لقد صنعت ذلك حقا . ولكنك اليوم تقتضينى الثمن غاليا ! ...

الباشا : الثمن غاليا !! .. إنك تتكلمين بلغة السوق ! ..

خيرية : اللغة التى تفهمها أنت ! ..

الباشا : نعم ، فى غير هذا المقام ، ولكن كياستى ولباقتى تحتمان على استعمال لغة أخرى ؛ للتعبير عن مشاعرى السامية وعواطفى الحارة ! ..

خيرية : مشاعرك السامية لا يناسبها غير الصراحة المجردة .. اكشف عن مطالبك ... ألا تعترف أنها باهظة ؟! ..

الباشا : لقد قبلت الصفقة .. وعرفت الثمن مقدما ! ..

خيرية : ها أنت ذا ترجع بسهولة إلى لغتك الحقيقية .. نعم .. لقد قبلت وعرفت .. ولو كان الأمر يتعلق بشرفى وحده لهان ، ولكنه الآن يتعلق بشرف زوجى ! ..

الباشا : شرف زوجك ! ..

خيرية : قد أستطيع التصرف فيما أملك ، ولكنى لا أستطيع التصرف فيما لا أملك ! ..

الباشا : شرف زوجك ؟! ..

خيرية : نعم بأى حق ألوثه أنا وأدنسه ؟! ..

الباشا : ياله من احتيال ! .. يوم كان الأمر يتعلق بك وحدك ، قلت لا بد من تصحيح الوضع ، ولا بد من زوج . فلما جاء الزوج ، قلت لا بد من المحافظة على شرف الزوج ، ولكنى أسارع فأدخل على قلبك الأمان ، وعلى ضميرك الاطمئنان ، وأخبرك أن زوجك لا شرف له ، حتى تحافظى عليه ! ..

خيرية : ماذا تقول ؟ ..

الباشا : إنه مزور محتال ! .. وتحت يدى البراهين والمستندات ، ولم

يمنعنى من فضح جرائمه وتقديمه إلى النيابة ، إلا حرصى عليك وعلى سمعتك ، وإبقائى على ما بيننا من صلات وعهود ! ..

خيرية : أنت كاذب ! .. لا أصدق أن حامد ..

الباشا : لقد تزوجت لصاً يا سيدتى ! .. لا أعنى فقط ذلك اللص الذى ضبط فى البيت ليلا .. ولكن هذا اللص الجالس على هذا المكتب يسرق أموال الشركة ! ...

خيرية : خسئت ! ..

الباشا : (**يخرج من جيبه سهماً**) إليك البرهان .. انظرى ! .. هذا سهم من أسهم الشركة .. إمضاء من هذا ؟ .. أليس إمضاء حامد بخطه ؟ .. إذن فاعلمى أن هذا السهم مزور مكرر ، مع ألوف غيره من الأسهم ، لقد زورها ، وعليها إمضاؤه بخط يده ، وباعها وقبض أثمانها ، معرضا مصالح المساهمين للخطر ، ولولا سلوكى النبيل نحوك ، وأخلاقى الكريمة التى لا تقدرينها ، لجعلتك تبصرين بعينك هذا الزوج العزيز والمدير المحترم ، مكبلا أمام الناس فى الحديد ! ..

خيرية : (**كالمخاطبة لنفسها**) حامد يفعل ذلك ؟ .. مرتبه يكفينا ، لماذا يفعل ذلك ؟ ..

الباشا : يفعل ذلك لأنه يريد أن يثرى سريعا .. هذا الشاب الذى دخل بيتك للحصول على نقود ، قد وضع فى رأسه الوصول إلى المال من أى طريق .. ولو من طريق الجريمة ، وما أنت فى حياته دائما إلا سلم .. سلم معلق على نافذة .. إن « روميو » فى هذا العصر شاب يريد أن يقفز إلى نوافذ المال والجاه ، ولو فتل من شعر « جولييت » سلما ، وجعل من جسدها درجا ! ..

خيرية : حامد لا يفكر هكذا الآن ! ..

الباشا : الآن وفى كل وقت .. ولكنك بلهاء .. لم تستطيعى أن تكشفى حقيقته .. أتظنين أن قلبك شيء يهمه أو يعنيه ؟ .. أتحسبين أنه يجهل ما يفعل ؟ .. إنه يفهم جيداً حقيقة وضعه منذ الساعة الأولى ، وإن كان فاته أن يفهم ذلك من قبل ، فلا يمكن أن يبقى جاهلا حتى الآن .. هذا الشاب ليس ساذجا ، حتى يعتقد أن نبوغه وحده هو الذى يؤهله لمنصب المدير .. إنه لا شك قد ساءل نفسه ، من أين له هذا ؟ .. وهو اليوم يدرك أن هذه القفزة الكبرى لشاب مثله لا بد أن يكون لها ثمن ، وهو يعرف هذا الثمن ! ..

خيرية : هذا كذب وبهتان . إنه لا علم له بشىء على الإطلاق .

الباشا : أقسم لك أنه على تمام العلم ، وعلى تمام الاستعداد أن يدفع الثمن ، أو تدفعيه أنت عنه .. على شرط أن يحتفظ بمركزه الاجتماعى الذى وصل إليه ، وأن يبقى فى هذا المستوى من الرفاهية والترف الذى اعتاده ! ..
إن زوجك هذا ليس أول شاب أعرفه من هذا الطراز ! ..

خيرية : أنت واهم .. حامد ليس مثل غيره من الشباب الوصولى .. إنه لا يمكن أن يبيع مبادئه ! ..

الباشا : أيتها الحمقاء ! .. إنه يبيعها بأبخس مما تتصورين ... أتظنين أنه يرضى الآن بالعودة إلى حى الأزهر ؟ .. يكدح فيه بقروش معدودة ، من أجل سواد عينيك ؟! .. أحسبت أنى صبرت عليك هذه الشهور الثلاثة ؛ لأنى صدقت حكاية مرضك !؟ ..
لا يا سيدتى الصغيرة ، بل لأنى أردت أن أصبر على هذا الشاب ، حتى يعتاد هذا المستوى المرتفع من الحياة الرضية الهنية ، فيعز بعدئذ على هذا المدير أن يهبط من حالق إلى أرض الأزقة . فيتحطم كإناء من الفخار ! ..

خيرية : شيطان ! ..

الباشا : لقد كانت روحه مستعدة للفساد . وإنى ما فعلت أكثر من أن أنلته ما أراد .. لقد نال منى بغيته .. بمنتهى السهولة ، ولكنه أصبح فى قبضتى كهذه الورقة .
(**ينتزع ورقة من فوق المكتب ويطبقها فى كفه**) أستطيع أن ألقى به أى وقت فى هذه السلة ! .. (**يلقى بالورقة فى سلة المهملات، تحت المكتب**) هكذا ..

خيرية : وأخيرا ؟! ..

الباشا : وأخيراً .. أرجو أن تكونى مثله فى الحكمة والتعقل .. إنه يعرف قدرتى ، ويدرك ما أريد منه ومنك .. وله رغبة فى الطاعة .. ويميل إلى أن يمهد لى طريقى .. كما مهدت له طريقه ! ...

خيرية : لن أصدق ذلك أبداً .. أبدا ... أبدا ..

الباشا : معى البرهان ! ..

خيرية : أرنى البرهان !! ..

الباشا : أصدرت إليه أمرى بالسفر .. الليلة .. إلى « الإسكندرية » .. فى مهمة صورية لا تستدعى عادة ذهاب المدير .. وهو أذكى من أن يعمى عن المقصود من هذا الإبعاد .

خيرية : لن يسافر ! ..

الباشا : سيسافر .. ولن يعترض ، ولن يرفض . وسيتركك الليلة وحدك ، وسأزورك أنا فى بيتك ، فى تمام التاسعة وأصحبك إلى السينما ، ثم نخرج منها إلى العش الجميل حيث تتناولين معى عشاء خفيفا لطيفا ! ..

خيرية : لن يتركنى الليلة ! ..

الباشا : سيتركك الليلة .. لى .. لى ..

خيرية : أأنت واثق من نذالته ؟ ..

الباشا : واثق من حكمته ! ..

خيرية : حكمته ؟ ..

الباشا : على شرط .. أن تدعيه يتصرف بمحض اختياره .. لا تحاولى التأثير على إرادته بأفكارك ، ولا تركعى عند قدميه ، تتوسلين إليه أن يبقى .

خيرية : لن أركع أبدا عند قدمى زوج من هذا الطراز ! .. كرامتى تأبى ذلك ! ..

الباشا : مرحى ؟! ... مرحى ! ... إنك دائما « خيرية » التى أعرفها .. ذكية .. فطنة .. تتفتح عيناك على الحقائق ، فى الوقت المناسب ! ..

خيرية : (**تتحرك للانصراف**) أرى أن الوقت الآن غير مناسب لبقائى هنا ! ..

الباشا : (**وهو يشيعها إلى الباب**) أتعودين إلى بيتك ؟ ..

خيرية : (**كالشاردة**) لا أدرى ! ..

الباشا : أغلب ظنى أن زوجك الآن فى البيت يعد حقيبة السفر .. كونى عند كلمتك هذه المرة ! ..

خيرية : (**كالمخاطبة لنفسها**) سأتركه يتصرف بمطلق حريته ! ..

الباشا : إلى اللقاء ! .. « خيرية » .. الليلة .. لاتنسى ! .. فى تمام التاسعة ! ..

(تخرج خيرية من الباب سريعا دون أن تجيب ، ويعود الباشا وهو مرح يدندن .. وعندئذ يسمع نقر على الباب ، ثم يطل السكرتير برفق ...)

السكرتير : سعادة الباشا يأذن ؟! ..

الباشا : (**يلتفت**) خيرا ! ..

السكرتير : مكتب سعادة الباشا اتصل بى تليفونيا الآن ، يوجد زوار فى الانتظار هناك ، وفد من « جمعية أنصار » ...

الباشا : (**مقاطعا**) آه .. نعم .. ولكنى لن أعود الآن إلى مكتبى .. إنى منصرف .

السكرتير : (**بتردد**) يظهر أنهم كانوا على موعد !؟ ..

الباشا : (**ينظر فى ساعته**) إذا استطاعوا أن يلحقوا بى هنا ، فى مدى عشر دقائق فإنى أنتظرهم .. أخطر مكتبى بذلك ! ..

(السكرتير يخرج ، ويتمشى الباشا فى القاعة ويتأمل الخرائط والإحصاءات على الحائط .. وعندئذ يفتح باب جانبى آخر بهدوء ، وتدخل امرأة فى مقتبل العمر ، وتسعل قليلا فيلتفت إليها الباشا) .

الباشا : (**مفاجأ**) ناهد ؟ .. (**بخشونة**) ماذا جئت تصنعين هنا ؟ ..

ناهد : علمت أنك هنا ، وإنى أعرف أنك لا تحب رؤيتى اليوم ، وأنك تتهرب من مقابلتى ، فلم أر من وسيلة إلا أن أدخل عليك هكذا ، بغير استئذان ! ..

الباشا : ماذا تريدين منى ؟ ..

ناهد : أن تصحح وضعى ! ..

الباشا : حقا ! .. لم يبق لى الآن فى الحياة من شغل إلى أن أصحح الأوضاع ! ..

ناهد : سيطردوننى من المدرسة ، ولن أجد عملا فى مدرسة أخرى ، فقد سرت الإشاعة أنى خليلتك ! ..

الباشا : ما عدت الآن خليلتى ، لقد انتهى كل شىء بينى وبينك ، كما تعلمين ! ..

ناهد : لقد كنت وعدتنى بالزواج ! ..

الباشا : أأنت مجنونة ؟ .. إنى رجل متزوج ! ..

ناهد : وما الذى يمنع ؟ .. لقد قلت لى إنك ستعقد علىّ ، وأكون زوجتك الثانية ، المحظية المحبوبة فى الستر ! ... بلا ضجة ولا ضوضاء ؟ .. أتنكر هذا القول اليوم ؟! ..

الباشا : أجئت اليوم لتذكرينى بكلام قديم ، قيل منذ عامين ، على سبيل المجاملة ؟ .. لا بد أنك قد أصبت بمس فى عقلك ! ..

ناهد : لقد أصبت بعار ... لن يمحوه إلا أن تفى بوعدك ، ولو لمدة يوم واحد ، ثم تطلقنى ! ..

الباشا : هذا إجراء متأخر . وليس عندى اليوم وقت لهذه المساخر ! ..

ناهد : ليس الذنب ذنبى ، لقد كنت تماطل وتؤجل ، وتخدرنا بمعسول القول إلى أن فتر اهتمامك بنا ، وقلت زياراتك لنا ، وأخيرا جاء اليوم الذى انقطعت فيه العلاقة بيننادفعة واحدة ، فهجرتنى وطردت أخى ، أليس فى قلبك رحمة ؟ .. أين الرحمة فى قلبك ؟ ..

الباشا : أنت تعلمين أنى قد صفيت الموقف معك نهائياً ، ومع أخيك : بكل كرم وسخاء ! ..

ناهد : ماذا تعنى ؟ .. أأنا أقبل منك ثمنا لعرضى ؟! ..

الباشا : لقد قبل أخوك الثمن ، وقبضه وانصرف ، ولكنه عاد يطالب بالمزيد ، وهأنت ذى تعودين لفتح موضوع التعويض .. تخفينه تحت ستار تلك اللغة القديمة التى لا تأثير لها فى المجتمع العصرى .. العرض والعار .. أنت أول من لا يقتنع بهذا الكلام العتيق ! .. وأول من يدرك أن علاج ذلك سهل الآن .. ففى شركاتى عشرات من الشبان مستعدون للزواج منك .. وسترعارك المزعوم ... ولكنك لا تريدين ذلك .. أنت إنما

تريدين اللقمة الكبرى والمغنم الأكبر ! ...

ناهد : أنت وغد ! ..

الباشا : لو كنت رجلا لصفعتك فى الحال ، وطردتك من هذا المكان كما يطرد الكلب ، ولكنك سيدة ... يرغمنى الأدب على احتمالك ! ..

ناهد : لك الحق أن تفعل أكثر من ذلك .. لقد أخذتنى لحما ورميتنى عظما .

الباشا : من الذى دفعك إلى المجىء هنا اليوم ؟ ... هو أخوك « شاكر » ؟ ...

ناهد : لا ، بل طمعى فى مروءتك ! ...

الباشا : ألا تعلمين أن « شاكر » يلاحقنى منذ مدة بالخطابات والتليفونات ؟ ... أحيانا يتوسل ويتمسكن . وأحيانا يتهدد ويتوعد ، حتى ضاق صدرى ، وأعلنته أخيرا أنى سأبلغ أمره إلى النيابة ! ...

ناهد : لقد أخبرنى أنك تتهمه بالتزوير والاحتيال ! ...

الباشا : لست أنا وحدى ، بل أعضاء مجلس الإدارة وكل المساهمين !...

ناهد : أنت تعلم أنه برىء ...

الباشا : ومن الذى ارتكب الجريمة . ووقع بخطه ؟ .. عفريت من الجن ، أو شبح من الأشباح ؟! ...

ناهد : أنصحك ألا تبلغ ! ...

الباشا : (هازئا) تنصحيننى ؟ ...

ناهد : لا تدفع به إلى اليأس ، لقد لمحت معه مسدسا ! ...

الباشا : (هازئا) ليطلقه على من ؟ .. علىّ أو على نفسه ؟ ...

ناهد : لست أدرى ! ...

الباشا : عين أسلوبه فى التهديد والوعيد ! .. عصابة صغيرة بارعة ، من

الجيل الجديد ! ...

ناهد : من خلقك أنت وصنعك ! ...

الباشا : من صنعي أنا ؟! ...

ناهد : ومن غرسك وزرعك ... كنا فى بيتنا المتواضع أنا وأختى نعيش آمنين ، نسعى إلى رزقنا البسيط بفخر ، ونأكل لقمتنا الطاهرة بعرق الجبين ! ... نسير فى الحياة بخطانا الطبيعية البطيئة ، ولكننا نؤمن بقيمة الفضيلة ومعنى الشرف ، ونعتقد أن لهما نورا قدسيا ... هو أبقى للنفس من بريق الذهب وأضواء اللآلئ ! .. كنا أغنياء بالنفوس ... أقوياء بالمبدإ ... نرى الثروة شيئاً فى قلوبنا ، لا رداء على الأبدان ! ... فجئت أنت ، ودخلت بيتنا ؛ فكأنه الشيطان الرجيم جاء يقلب حياتنا رأساً على عقب ! ...

الباشا : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ! ..

(يسبح بالسبحة ...)

ناهد : نعم .. استعذ بالله من نفسك ... لقد علمتنا أشياء ما كنا نعلمها ! .. وأريتنا طريق المال سهلا ميسوراً ، وأفهمتنا أنه هو كل شيء ! .. وبهرتنا به وأغريتنا بهالته ، فسرنا وراءك نتخذك إماما ، ونتبع خطاك دون أن نبصر فى أى طريق نسير ! ..

الباشا : أيتها المعلمة ... هذا كلام تخاطبين به تلاميذك فى رياض الأطفال ! ..

ناهد : لا تهزأ بمهنتى .. إن قلبى يتمزق ، كلما تذكرت أنى لم أكن جديرة بتعليم الجيل الصغير ! .. ماذا أعلمه ؟ ... وقد فسدت نفسى ، وزاغت عقيدتى ، وفقدت مثلى .. وأضعت مبادئى ؟! ..

الباشا : ومن المسئول ؟ ...

ناهد : أنت ! ..

الباشا : أما أنتم فلا ذنب لكم ولا جريرة ! .. أبرياء ! .. أبرياء أطهار بررة .. تبيعون مبادئكم التى تقولون إنها غالية نفيسة . وتقبضون الثمن وتضيعونه ، ثم تصيحون : لقد خسرنا ! .. إن كل صفقة ، أيتها المدرسة المهذبة ، تحتمل الربح والخسارة ، وكل من باع شيئا يجب أن يقدر أنه قد يربح وقد يخسر ، ولكنكم لا تقدرون دائما غير الربح .. الربح .. الربح ! ..

ناهد : إنك تكلمنى بلغة التجارة ... نحن لسنا تجارا ! ...

الباشا : مغامرون ... أنتم مغامرون ! ... وقانون المغامرة مثل قانون التجارة ! ..

ناهد : لا تنس أنا أطفال بالنسبة إليك ... وأنا كنا نراك فى مقام المنقذ الكريم ، والمرشد الرحيم .. وكان عليك أنت أن تقودنا إلى الخير والفضل والغنيمة .. لا إلى الضياع والفساد والجريمة ! ...

الباشا : أعترف أنى ما فكرت فى أن أقودكم إلى شىء ! ...

ناهد : هذا صحيح ... إنك ما كنت تفكر قط إلا فى نفسك . وفى أن تتخذ منا أدوات لأغراضك ! ...

الباشا : حذار أن تنكرى أنى بسطت لكم يدى . وأنى ما ضننت عليكم بشىء ، وما رفضت لكم مطلباً ! ...

ناهد : حقا .. يوم كنت ترجو شيئاً منى ! ..

الباشا : (**مستمرا**) وإنى أغرقتكم فى بحار نعمتى ! ..

ناهد : نعم .. أغرقتنا ! .. أغرقتنا ... أغرقتنا وتركتنا ! ..

الباشا : لن تغرقوا ... إنى أعرف أنكم تحسنون السباحة ! ..

ناهد : (**فى استعطاف**) ألن تمد إلينا يدك ؟ ..

الباشا : (**ينظر فى ساعته**) ليس الآن ، الآن أنا مشغول ، مشغول

جداً ! ...

ناهد : (**فى توسل**) ألق إلى ببعض الأمل .

الباشا : ومن يمنعك أن تعيشى بالأمل ؟! ..

ناهد : أتوسل إليك . أستحلفك بحبك لى ... حبك الذى مات ! ..

الباشا : (**يلتفت إلى الباب الذى يفتح**) صه ! ..

(**يظهر السكرتير على العتبة ...**)

السكرتير : سعادة الباشا ! ... حضر وفد جمعية ...

الباشا : (**فى ارتباك**) لحظة .. لحظة .. (**يلتفت إلى « ناهد »**) أرجوك يا ناهد . انصرفى الآن بسرعة . (**يسمع صوت وفد الجمعية بالباب . فيدفع ناهد إلى حجرة جانبية ويغلق عليها ...**)اختبئى هنا لحظة . (**ثم يتجه إلى الباب ويستقبل أعضاء وفد الجمعية الداخلين ...**) أهلا ! .. وسهلا ! ...

الوفد : أهلا بسعادة الباشا ! ...

الباشا : أنا فى غاية السرور بهذه الفرصة السعيدة ! ..

الوفد : (**بلسان كبير الأعضاء**) بل نحن فى غاية السرور ؛ إذ شرفنا سعادة الباشا بقبوله الرياسة الفخرية لجمعية أنصار الفضيلة ! ...

الباشا : (**فى تواضع مصطنع**) هذا شرف لى ! ...

الوفد : (**بلسان كبيرهم**) بل شرف للجمعية يا سعادة الباشا ؛ فإن ماضيك المجيد فى أعمال الخير له فى النفوس أثر لا يمحى .. وجهادك فى المجتمع من أجل الإصلاح له صفحات مشهورة ، ومساعيك فى صيانة الأخلاق لها مواقف مشكورة ! ...

الباشا : (**يطرق متواضعا ويسبح بالسبحة ويتمتم**) أستغفر الله ... أستغفر الله ! ...

الوفد : (**مستمرا**) وأنت فى المجتمع قطب من أقطاب البر والفضل

والخلق ، يلهج الناس باسمك فى كل مكان ، جاعلين منك المثل الذى يحتذى فى السير السليم ، والسلوك القويم ، رافعين إليك العيون ، مشيرين إليك بالبنان ! ..

الباشا : أستغفر الله ! ... أستغفر الله ! ...

الوفد : (**مستمرا**) فإذا تفضلت ونزلت وقبلت رياسة هذه الجمعية ، فإنما هو فضل من أفضالك ، وحسنة من حسناتك ، وكسب للأخلاق ، ونصر للفضيلة ! ..

(**يسبح بالسبحة** ...)

الباشا : أستغفر الله ! ..

(**يلمح حركة بباب الحجرة التى بها ناهد-يرى الباب يفتح قليلا . وتحاول ناهد أن تطل برأسها لترى ماذا يحدث بحجرة المكتب . فيسرع الباشا إلى الباب بحركة خفية لا يتنبه إليها أعضاء الجمعية.ويغلق الباب بعنف وهو يقول كأنه يؤنب ناهد :**) أستغفر الله ! .. أستغفر الله ! ...

كبير الأعضاء : (**يلتفت إلى وفد الجمعية صائحا**) اهتفوا معى ... فليحى رئيس جمعية أنصار الفضيلة ! ..

الوفد : (**هاتفا**) يحيا رئيس « جمعية أنصار الفضيلة » ! ...

(**بينما الباشا يهز رأسه بالتحية ويضع يديه على رأسه شاكرا** ....)

(ستار)

الفصل الرابع

(بهو فى شقة « حامد » الفاخرة بجاردن سيتى : أثاث يدل على ذوق ورخاء ... الوقت ليل ، والضوء ينبعث ورديا باهتاً من « أباجور » كبير فى أحد الأركان .. البهو خال ، والساعة تدق تسع دقات ، وعندئذ يرن جرس باب الشقة ، ثم تسمع حركة فتحه وإغلاقه ، ويظهر الباشا فى أتم أناقة ، وخلفه الخادم .)

الباشا : (**للخادم**) « حامد بك » ليس هنا بالطبع !؟ ..

الخادم : البيك سافر ! ..

الباشا : (**بلهجة العارف الواثق**) مؤكد ! .. والست ؟ ..

الخادم : الست فى حجرتها .. وهى الآن ...

الباشا : (**مقاطعا**) عظيم ! .. عظيم ! ... اذهب أنت لعملك ، لا حاجة بى الآن إليك .

الخادم : نحضر القهوة لسعادة الباشا ؟ ...

الباشا : لا .. لا تحضر شيئاً ، سنخرج بعد قليل .

(**ينظر فى ساعته ويضعها على أذنه ..**) كم الساعة الآن ؟ ..

الخادم : دقت التاسعة منذ لحظة ! ..

الباشا : (**كالمخاطب لنفسه**) فى موعدى بالضبط ... (**يلتفت إلى الخادم**) اذهب أنت إلى عملك ! ..

الخادم : (**متحركا**) أخبر الست ؟ ..

الباشا : (**يمنعه بإشارة**) لا .. لا .. أنا أخبرها بنفسى ... اذهب أنت ! ..

(الخادم يدير زر الكهرباء فى النجفة الكبرى ، فيضىء البهو

ضوءاً ساطعاً ثم يخرج ...) .

الباشا : **(وكان قد تهيأ للتحرك نحو باب الحجرة الثانية)** يا لك من أحمق ! أضعت النور الوردى الشاعرى ! ..

(يلقى نظرة أخيرة على هندامه فى مرآة البهو . ثم يقترب من باب الحجرة وينقر عليه بلطف ويهمس برقة ....) خيرية ! .. خيرية ! ...

(يفتح الباب فيتراجع الباشا من المفاجأة ، فقد ظهرت الأم تنظر إليه نظرات قاسية ....)

الباشا : **(من بين شفتيه)** أنت .. هنا ؟ .. ما معنى وجودك هنا الساعة ؟! ...

الأم : عليك أن تفسر معنى وجودك أنت أولاً ...

الباشا : ليس لأحد أن يطالبنى بحساب أو تفسير لتصرفاتى ! ..

الأم : تصرفاتك لا تحتاج إلى تفسير ! .. لقد أطلعتنى هى اليوم على كل شىء ، هلم معى .. بلا ضوضاء ... إلى منزلنا .. أرجوك .. هلم بنا .. اترك ابنتى ! ...

الباشا : أترك ابنتك ؟ ..

الأم : نعم .. أتوسل إليك أن تترك ابنتى ؛ لأنك لن تصل إليها إلا على جثتى .. أفهمت ؟ .. خير لنا يا « محمود » أن نغادر هذا المكان ! .. ونمضى إلى بيتنا بكل هدوء ، قبل أن تقع الكارثة ، قلبى يحدثنى أن كارثة ستقع ! ...

الباشا : ما هذا الذى تقولين ؟ ..

الأم : لقد صممت أن أقف الليلة على باب ابنتى ، أذود عنها وأحميها .. ما عدت أطيق عذابى الصامت الذى عشت فيه زمنا ... إنى ما كنت عمياء ولا بلهاء ، بل زوجة ، محبة مخلصة ، ترى وتلمح

وتلاحظ تلك الأشياء الغريبة المريبة التي تجرى حولها ! ...

الباشا : ماذا يجرى حولك ؟ ..

الأم : محمود ؟ .. لا تحاول الآن أن تنكر .. لطالما توليت أنا عنك الدفاع أمام قلبى .. إنك تعلم أنى مالفظت يوما كلمة نمّت على ارتيابى فيك .. كنت أحرص دائما على إخفاء ما خامرنى منك ؛ احتراما لنفسى ولك ... كان ذلك مبدئى معك منذ زواجنا .. أسمعت منى ذات مرة كلمة لوم أو تأنيب أو شك أو ارتياب ؟ .. لم يحدث قط .. ولكن الأمر يتعلق الآن بابنتى ! ...

الباشا : ماذا قالت لك ابنتك ؟ ..

الأم : لم تقل لى شيئا قبل اليوم ... اليوم فقط استدعتنى لتفضى إلىّ بالحقيقة ، بعد أن كتمتها عنى طويلا هى الأخرى ، وجعلتنى أتساءل فى خلوتى عن سر كتمانها ، وأتقلب على لهب العذاب بين الشك واليقين .. آلام مروعة .. ما ذاقتها زوجة قط ولا أم .. لقد أيقظت فى قلبى أيها الزوج الظالم الآثم من المشاعر الفظيعة والغرائز البشعة .. ما ندر أن يعرفه بشر ! .. تلك النظرات من عينيك الخيرية ، كانت أحيانا تلفح قلبى كأنها جمرات . ولكنى كنت أقول ، محاولة إقناع نفسى : إنها نظرات حنان من أب عطوف ، لم يرزق الخلف وكنت أسأل الله ، فى أعماق الليل وأنا أكتم زفراتى بمنديلى ، وأبلل وسائدى بالدموع ألا يكون الأمر غير ذلك ! ... « محمود » ! ... « محمود » ! .. لماذا عذبتنى هكذا ؟ .. أى شيطان دخل بدنك ، فجعلك تفرق بين الزوجة وزوجها والأم وابنتها ؟ .. أرجوك يا « محمود » ! .. أتوسل إليك .. أقبل قدميك ، عد إنسانا .. إنسانا ذا قلب رحيم و نفس كريمة أنقذ ما بقى منى .. وكافئنى على صبرى ... لقد برتنى الآلام وبرّحت

بى الهواجس ، فبدا على الكبر قبل الأوان ... ارحمنى ، وضمد جراحى ... إن قليلا من حنانك يعيد إلىّ بعض شبابى .. هلم بنا إلى منزلنا ! ... إلى بيتنا نحن ...

(**تتناول يده وتجذبه برفق ..**)

الباشا : (**يسحب يده منها**) أنت ولا شك جننت .. ذهبت بعقلك الغيرة من ابنتك الشابة .. هذا كل ما فى الأمر .. يحسن بك أن تعودى الآن إلى منزلك ، وتلزمى فراشك ، وتتناولى شراباً دافئاً مهدئاً للأعصاب ! ...

الأم : وأنت ؟ .. ألا تعود معى ؟ ..

الباشا : إنى جئت لمقابلة « خيرية » فى مسألة خاصة بها ، وإن شئت إيضاحا فهى مسألة خاصة بزوجها ، وليس من المناسب أن تطلعى على ذلك ! ..

الأم : لا أظنها تخفى عنى شيئاً ، حتى وإن كان خاصاً بزوجها ! ..

الباشا : أنت مغفلة ! .. لقد اعترفت الساعة أنها كانت تكتم عنك أشياء كثيرة

الأم : فعلت ذلك حقا .. حتى لا تؤذى شعورى ! ...

الباشا : لهذا السبب أخفت عنك كل ما يتعلق بزوجها ! ..

الأم : أتكتم عنى أنا أمها ، ما لا تكتمه عنك أنت ؟ .. أهذا معقول ؟ ..

الباشا : معقول جدا .. وإذا أردت الدليل فارجعى بذاكرتك الضعيفة إلى ثلاثة أشهر فقط .. إلى تلك الليلة التى أعلنت فيها أنا خطبة ابنتك إلى حامد .. أكنت تعرفين هذا الشخص من قبل ؟ .. ألست أنا الذى قدمته إليك ؟ .. ألست أنا وحدى الذى كنت أعرف ما بينه وبين ابنتك ؟ .. ألست أنا الذى توليت إنقاذ الموقف ؟ ..

منعا للفضيحة ، وحفظا لسمعة « خيرية » وسمعتك ؟ ..

الأم : لقد كانت لك مآرب أخرى من وراء ذلك .. مآرب أنت تعرفها ولا حاجة بى إلى ذكرها الآن ! ..

الباشا : بل اذكريها الآن ، من فضلك ! ..

الأم : لقد سهلت لها الزواج من هذا الشاب ؛ ليسهل عليك الوصول إليها ! ..

الباشا : أهى التى قالت لك ذلك ؟ ... يالها إذن من ناكرة للجميل .. أرادت أن تظهر أمام عينيك فى صورة الحمل ، وأن تظهرنى فى صورة الذئب ! ..

الأم : لا أصدق ما تقول فى « خيرية » ! ..

الباشا : وتصدقين ما تقول فى أنا ؟ .. أقدم إليك نصيحة خالصة .. عودى إلى البيت ! .. اذهبى الآن إلى بيتك ، وضعى كل ثقتك فى زوجك ! ..

الأم : لن أتركك هنا .. وحدك ! ..

الباشا : عدت إلى الغيرة .. الغيرة العمياء التى تنهش قلبك فى ظلام الأوهام ! ...

الأم : مهما يكن من أمر ، فإن واجبى الآن أن أبقى هنا معك وأن أذهب معك ! ..

الباشا : سأقابل « خيرية » بمفردى ، وستذهبين إلى البيت وحدك ! ..

الأم : لن أذهب وحدى .. لن أتركك هنا .. لقد توسلت إلى « خيرية » أن أحميها الليلة منك ! ..

الباشا : تحمينها منى ؟ .. وحش مفترس له مخالب سينشبها فى عنقها ... (يريها أصابعه ...) ها هى ذى أصابعى قد انقلبت مخالب ! .. ماذا يصور لك وهمك أيضا ؟ .. سامحك الله أيتها الزوجة

الوفية .. أهذا رأيك فى زوجك ؟ .. زوجك الذى أجمع الناس على أنه سند للأخلاق ، ونصير للفضيلة .. ألا تقرئين الصحف ؟ ..

الأم : نعم .. قرأت فيها كثيرا أنك قطب من أقطاب .. الفضيلة والأخلاق ! ..

الباشا : قرأت ذلك .. بحروف مطبوعة .. و لم تصدقى .. أيتها الغارقة فى الوساوس ! ... ماذا بعد شهادة الصحف والمجتمع والرأى العام ؟! ..

الأم : ابنتى .. لو سمعتها الليلة ، وهى ترتجف خوفا منك ، وترجو منى أن أبقى بجانبها ، كى أحميها وأدرأ عنها ! ..

الباشا : معذورة .. إنها تلتمس الحماية حقا ، لا لنفسها ، ولكن لشخص آخر . هو وحده الذى يتعرض الآن للخطر .. أتدرين من هو ؟ ..

الأم : من هو ؟ ..

الباشا : زوجها « حامد » ... إنها لا تريد مقابلتى الليلة ، حتى لا تسمع من فىّ ما أنا قائل فيه : قول لا يسر ، ولكنه مدموغ بالإثبات والدليل ، وإن رقة حاشيتى وعلو تربيتى ، يأبيان على أن أزيد فى أوجاعك ، وأخوض فى سمعة شخص .. إلا أمام من هى ألصق الناس به ، لعلها تنصحه أو تنقذه من ورطته ! ..

الأم : ورطته ؟! ..

الباشا : نعم ورطة تتعلق بذمته ونزاهته فى الشركة التى استؤمن على إدارتها ! .. أنت لا تجهلين البيئة التى انتشلناه منها ، ولكن العرق دساس ، والطبع غلاب ! .. أستغفر الله ... لا تحرجينى ! .. لا تحرجينى ! .. ولا تدفعينى إلى الكلام فى غيبته .. المسألة كما

ترين ، لا تتصل بك ، وليس فى يدك حلها .. اتركينى أتدبر مع « خيرية » الأمر ، وأنقذ ما يمكن إنقاذه ! ..

الأم : إذا صح ما تقول ، فما الضرر أن أكون معكما ؟ .. سأبقى هنا ، ولن أذهب إلا معك ! ...

الباشا : (**بعنف**) ستذهبين وحدك .. الآن .. وبأسرع ما تستطيعين ، لأن صدرى قد ضاق . وصبرى قد نفد ! ..

الأم : إنى أرفض الانصراف ! ...

الباشا : (**بقوة**) آمرك أن تنصرفى إلى بيتك الآن ! ..

الأم : تأمرنى ؟ .. بأى حق ؟ ..

الباشا : بما لى من حق الأمر ، وما عليك من واجب الطاعة ! ..

الأم : سأبقى لأرى ما يكون منك ! ..

الباشا : تتحدين ؟! .. لم أخطىء ساعة قرأت فى وجهك نية التحدى .. اذهبى إلى بيتك بالحسنى ! ...

الأم : وإذا لم أذهب ؟! ...

الباشا : إذا لم تذهبى إلى بيتك فى الحال ، فأنت طالق ! ..

الأم : (**فى صيحة مكتومة**) طالق ؟! ..

(تظهر عندئذ « خيرية » خارجة من الحجرة الجانبية ، وتهرع إلى أمها ...)

خيرية : أماه ! .. انصرفى إلى بيتك .. أرجوك .. أرجوك .. انصرفى فى الحال إلى بيتك ! ..

الأم : أسمعت اليمين ؟ ..

خيرية : اعذريه .. انصرفى فى الحال .. الذنب ذنبى أنا يا أمى ، لقد كذبت عليك ، وافتريت عليه ! ..

الأم : كذبت على ؟! ..

خيرية : كل ما قلت لك اليوم زور وبهتان ! ..

الأم : ما هذا الكلام يا « خيرية » ؟ .. وما رأيت أنا بعينى زور وبهتان ! ..

خيرية : نعم .. نعم .. اذهبى إلى بيتك ! ..

(تنظر إلى ابنتها ملياً مفكرة مترددة . ثم تتحرك بعزم ...)

الأم : وهو كذلك . لقد فهمت الآن ما ينبغى أن أفعل ! ..

(وتخرج سريعا : ويسمع صوت باب الشقة يفتح ثم يغلق ، وخيرية فى مكانها مطرقة ..) .

الباشا : (لخيرية) مناورة بارعة وتمثيل متقن ! ..

خيرية : كان يجب أن أفعل ذلك ؛ لأنقذ أمى ! ...

الباشا : أتراها اقتنعت بكلامك حقا ؟ .. أم خافت يمين الطلاق ؟ .. كما خفت عليها منه ، ومثلت هى الأخرى بإتقان ، لتنسحب بلباقة ! ..

خيرية : أرجو أن تكون اقتنعت ؛ ففى ذلك راحة لها ، ما كان ينبغى أن أقحمها فى مشكلاتى .. إنى لست طفلة .. إنى أستطيع أن أدفع عن نفسى ، وأن أواجه كل خطر بمفردى ، حتى وإن كان الخطر هو دناءة رجل مثلك .. والآن .. اخرج من هنا ! ..

الباشا : لن أخرج قبل أن أحدثك عن زوجك ؟ .. زوجك هذا الذى يحرص على مركزه قبل أن يحرص عليك أنت .. أين هو الليلة ؟ .. سافر .. كما أمرته أنا وكما أكدت لك .. لقد عارضتنى وكذبتنى فى مكتبه اليوم بالشركة وما صدقت قط أنه سيسافر ويدعك لى ، تمضين الليلة معى ، أين هو ؟ .. أين هو هذا الزوج المحب المخلص الغيور ؟ .. أين هو ؟ .. أجيبى ! ..

خيرية : (مطرقة) سافر ! ..

الباشا : نعم .. سافر حقا .. هل عندك تعليل لسفره غير ما ذكرت لك ؟ ..

(ترفع رأسها بقوة ..)

خيرية : لا ، ولا أريد أن أدافع عنه هو الآخر .

الباشا : أرأيته قبل السفر ؟ ..

خيرية : رأيته و لم أحادثه .. كما وعدت .. و لم يحادثنى ، وأخذ حقيبته وانصرف .

الباشا : نعم .. انصرف إلى مايهمه من هذه الحياة ! ..

خيرية : هو حر ينصرف إلى ما يشاء ! ..

الباشا : وأنت حرة تنصرفين إلى ما تشائين ! ..

خيرية : إن لى مبادئ ونظراتى فى الحياة ! ..

الباشا : نظراتك الصائبة تستطيع على كل حال ، أن تميز بين شخص يأخذ منك ويرتفع على كتفيك ، وشخص يعطيك ويجثو عند قدميك ! ..

خيرية : لا أريد أن أدخل الآن فى مجال المفاضلة والتمييز ! ..

الباشا : أفهم ظرفك المؤلم .. لقد صدمت . ليس أقسى على الزوجة من تلك اللحظة التى يتضح لها فيها أن زوجها يهجرها ويهملها ، سواء أكانت تحب هذا الزوج أم تكرهه ؛ فإن كرامة الزوجة تثور لمجرد الإهمال ... إنى أرثى لك يا « خيرية » ! ..

خيرية : أرجو أن ترثى أيضاً لأمى ؛ فإن حظها ليس أسعد من حظى ! ..

الباشا : حظك أنت هو العاثر المنكود ، هذا الشاب العامل فى « المكتبة الأحمدية » كان يجب أن يعبدك عبادة ... أنت التى علمته كيف يسكن شقة فاخرة فى « جاردن سيتى » ، أما أمك فقد أخذتها أنا من بيتها القديم فى حى متواضع لأضعها فى « ڤيلا » باذخة فى حى

« الزمالك » ! ..

خيرية : أنت دائما هكذا ، تجعل للثراء كل القيمة فى الحياة ! ..

الباشا : وزوجك ؟ .. هذا الشاب الذى كفر بك وبقلبك .. أخبرينى ما هى أهدافه العليا فى الحياة ؟! ...

خيرية : هى الأهداف التى تعلمها منك ! ..

الباشا : منى أنا ؟! .. نعم ! .. كل كارثة تحيق بك أنا علتها ، وكل مصيبة تنزل بك أنا سببها ، وكل شخص يسرقك أنا ضامنه، وكل إنسان يطعنك أنا ديته . أنت فى ثورة غضبك وأزمة غيظك . فى حاجة إلى إناء تضربين به الأرض ، وحائط تقذفينه بأمتعتك ، وبرىء تلقين بتهمك فى وجهه ! .. إنه ليسرنى يا « خيرية » أن أكون فى يدك كل هذه الأشياء التى نصيبها التحطيم ، ما دام فى ذلك تهدئة لروعك ... لقد جئتك الليلة .. وأنا متأكد أن نقمستك على زوجك الوغد ، لن تنفجر إلا فى صدرى أنا ! ...

خيرية : لا تقل عن زوجى إنه وغد ! ..

الباشا : تحبينه ؟ .. بعد كل ذلك ؟! ...

خيرية : كرامتك التى داسها هذا الزوج ، الذى لم يقدرك قدرك ؟! ..

خيرية : إنه حقا لم يقدرنى قدرى ، ولكن ! ..

الباشا : ولكنك امرأة من ذلك الصنف ، الذى لا يحب من الرجال إلا ذلك الذى يصفع وجهها ، ويأكل من جيبها ، ويأخذ من جعبتها ، ولا يعطيها غير الأجوف من الكلام .

(**يلاحظ أن « خيرية » قد أطرقت وبدا عليها الألم** ...) عفوا يا « خيرية » أنت تعلمين أنى ما أقصد إيلامك أو إهانتك ! .. إنما أقصد مصلحتك ... وجهك شاحب ، وعيناك غائرتان .. قد رسم الهم تحت جفنيك خطا أسود ، أتستطيع ساعات قليلة من

الغيظ والكمد أن تحدث فى نضارتك كل هذا الأثر ؟ .. قومى انظرى إلى وجهك فى المرآة .. أيسرك أن تذبلى كل هذا الذبول ؟ ..

خيرية : لا شأن لك بوجهى ! ..

الباشا : تقولينها بتحد ... ولكنك ككل امرأة ، لا تبصرين فى المرآة وجهك الحقيقى بل الوجه الذى تريدينه لنفسك ! ...

خيرية : وهل تبصر أنت وجهك الحقيقى ؟ ..

الباشا : بالطبع ! ..

خيرية : أوَ لم تخف منه وتخجل ، ويستولى عليك الذعر والاشمئزاز ؟ ..

الباشا : (**ناظراً إلى المرآة**) يا للهول ! .. أهو إلى هذا الحد قبيح ؟ ..

خيرية : (**تشير إلى وجهه**) لست أقصد وجهك هذا ! ..

الباشا : أعرف ما تقصدين : وإنى لأسائل نفسى كثيراً : ما جريمتى عندك ؟ .. ماذنبى الذى استحققت عليه كل هذا الازدراء منك ، وكل هذه البغضاء ؟ هل حرمتك نعمة ؟ .. هل ضننت عليك بخير ؟ .. هل بددت لك ميراثا ؟ .. هل أكلت لك مالا ؟ ... هل سحقت لك قلباً ؟ .. هل اتخذتك وسيلة للثراء أو سلما للوصول ؟ .. ما جنايتى التى جعلتنى فى نظرك شريرا مخيفا ؟ .. إنى أبحث فلا أجد لى غير جريمة واحدة هى : أنى أحببتك .. هل حبى لك جريمة ؟ ..

خيرية : نعم .. جريمة .. أتجهل ذلك ؟ ... جريمة منكرة .. جريمة يجب أن يحمرّ لها وجهك خجلا ! ..

الباشا : لماذا ؟ .. أريد أن أفهم ؟! ...

خيرية : لا حاجة بى إلى إفهامك ؛ لأنك فاهم .. وفاهم .. وفاهم ! ..

الباشا : إذن قلبى لا يفهم ، ولا أستطيع أن أرغمه على الفهم ؛ لأنه ليس

ملكى ... إنه طائر حر ، إذا طار يوما ، وحط على يدك ، فلا ذنب لك ولا ذنب لى ... إن رحمتك تحتم عليك عندئذ ألا تذبحيه ولا تخنقيه ، ولا تؤاخذيه بجرم ، بل تمسحى على جناحه برفق ، وتبقيه ، و تقدمى إليه الحب ...« خيرية »! .. إن كل ما أطلب إليك الآن من زاد شىء زهيد .. ابتسامة ! .. ابتسامة منك الساعة . هى لى أكثر من غذاء .. إنها دواء .. ابتسمى .. هذه الابتسامة خير لى من البرشامة ! ...

خيرية : لا أريد أن أبتسم . أريد أن تنصرف ! ...

الباشا : وحدى ؟ .. أنصرف وحدى ؟ ... لن أنصرف وحدى . اذهبى الآن وارتدى ثياب الخروج ، ولنمض معا إلى السينما ، لترفهى عن نفسك الكئيبة (**ينظر فى ساعته**) لم يزل أمامنا فى الوقت متسع .. أسرعى والبسى فى خمس دقائق ! ..

خيرية : أنت جننت ؟ .. إنى أمام مجنون ! ..

الباشا : أى بأس فى الخروج معى ؟ ..

خيرية : لن أخرج معك ، بل لن أخرج وحدى وزوجى غائب .. إنى لم أستأذنه ! ..

الباشا : تستأذنين هذا الزوج ؟ هذا الزوج الذى سافر ، وهو يعلم أنى سألقاك الليلة ؟ .. إنه قد أذن لك ، وذهب وتركك لى ! ..

خيرية : تفريط الزوج فى واجباته لا يبيح للزوجة أن تفرط فى واجباتها ! ..

الباشا : أيتها الحمقاء .. لقد دفع بك إلى ذراعىّ ... لقد ألقى بك فى أحضانى ! ..

خيرية : إنى لست سلعة ولا دمية ، حتى يلقى بى حيث شاء .. إنى امرأة آدمية ذات كرامة .. وإنى عندما أرفض الدنس ... لا أراعى فى ذلك سمعته هو ، بقدر ما أراعى سمعتى أنا ! ..

الباشا : كلمات جوفاء .. استحوذت على عقلك ، وأسدلت على عينيك

ستاراً من دخان ، يمنعك من رؤية مباهج الدنيا .. أنت مريضة ، ولكن فى مقدورى علاجك ... علاج سهل ، قد ترين فيه أول الأمر شيئا من الجرأة . الطبيب يجب أن يكون جريئا فى بعض الحالات قد يصدم المريض فى البداية ولكن الشعور بالراحة يغمره بعد قليل ! ..

(**يدنو من « خيرية » فتتراجع ...**)

خيرية : (**برعب**) ابتعد ! .. ابتعد ! ..

الباشا : سأسقيك أنا الدواء ، من شفتى ! ..

خيرية : (**تصفعه**) لا تمسنى ! .. أيها الوقح ! .. أيها الوحش ! ..

الباشا : (**بوحشية وهو يدنو منها**) مريضتى ! .. لن تفلتى منى الليلة ! ..

خيرية : (**صائحة**) لا تدن منى ! .. لا تدن منى ! ..

(**وفجأة تظهر الأم قادمة من باب ...**)

الأم : (**بصوت أجش**) دع ابنتى ! ..

خيرية : (**تتنفس**) أمى ؟! ..

الأم : دع ابنتى ! .. واخرج من هنا ! ...

الباشا : أكنت فى الشقة إذن ... لم تذهبى ... تظاهرت بفتح الباب وإغلاقه لتبقى وتتجسسى ؟! ..

الأم : دع ابنتى ، واخرج من هنا ! ..

الباشا : ما هذا البريق المخيف فى عينيك ؟ .. هل أصابك مس من الجنون ؟ ...

الأم : (**من بين شفتيها**) دع ابنتى ، واخرج من هنا ! ...

الباشا : أتفهمين معنى ما تقولين ؟ ...

الأم : أفهم معنى ما أقول . لن تطأ قدمى أعتاب بيتك بعد الآن ، لن

أرى لك وجها ، سأعيش مع ابنتى حيث تكون ، اخرج من هنا ! ..

الباشا : أخرج من هنا ؟ .. أخرج من البيت الذى صنعته بيدى ؟! .. أنسيت أن ابنتك تعيش فى بيت من صنع يدى ؟ ..

الأم : لن نعيش فى بيت من صنع يدك ! .. سنرضى بالكفاف ، ونعيش فى حى فقير ، ونبيت ، إذا لزم الأمر على الطوى ... أنـا و « خيرية » ... أليس هذا رأيك يا ابنتى ؟ ..

خيرية : نعم .. نعم .. يا أمى ! ...

الأم : والآن .. اخرج من هنا حتى ندبر لأنفسنا حياة أخرى .. اخرج ! ..

الباشا : لا تجعلى الغضب يعمى بصرك .. إن هذا ليس بيتك .. إنه على الأقل بيت رجل لا يعنيه من أمركما شىء .. رجل مشغول بمستقبله ، وهو فى جيبى .. مثل هذا السيجار ... (**يخرج سيجارا ويشعله**) أستطيع أن أحرقه وقتما أشاء ! ..

الأم : سنعتمد على الله ! .. جميعنا ! ..

خيرية : سأعمل مدرسة يا أمى .. أو عاملة فى محل .. ونأكل من عرق الجبين ! ..

الأم : خذى بعض متاعك يا « خيرية » ... ولنذهب إلى بنت خالتك .. فى « مصر الجديدة » ... إلى أن نعد لنا سكنا ! ..

الباشا : يحسن بى أنا أن أنصرف .. أولا .. ستندمان على هذا الموقف العدائى بلا ضرورة .. وستسعيان إلىّ يوم تواجهان حقائق الحياة وقوتها ؛ لتركعا عند قدمى ! ..

(حامد يظهر من الباب الذى ظهرت منه الأم)

خيرية : (**بلهفة**) حامد ! ..

الأم : (**بعتاب**) لماذا ظهرت الآن يا « حامد » ؟ ..

حامد : (**للأم**) لم أستطع البربوعدى لك .. والانتظار حتى يذهب هذا الرجل ... يجب أن أقول له كلمتين ، بكل هدوء ، ورباطة جأش ! ...

الباشا : ما هذا ؟ ...

حامد : (**بتحد وعنف**) لم أسافر .. ولم يكن فى نيتى السفر ! ...

الباشا : كان فى نيتك أن تعد لنا هذه المفاجأة ! .. أيها الشاب المولع بالمفاجآت ! ... يظهر أنك كنت تكثر من قراءة الروايات البوليسية ، يوم كنت عامل مكتبة ، فأغراك ذلك بدخول البيوت من النوافذ ، ومفاجأة الناس بمثل هذه المواقف ! ...

خيرية : (**تهرع إلى ذراعى « حامد »**) حامد ! ... إنى سعيدة بهذه المفاجأة ، متى جئت ؟

حامد : منذ قليل ... ما كدت أخرج مفتاح الشقة ، حتى انفتح الباب ورأيت أمامى (**يشير إلى الأم**) أمنا .. فدخلت وأغلقنا الباب ! ...

الأم : (**تشير إلى حيث كانا مختبئين**) نعم ... كان طول الوقت معى هنا ... وتفاهمنا على كل شىء ! ..

الباشا : هى إذن مؤامرة ... لضبطى فى موقف مريب ! ..

حامد : بل لأحمل أمتعتى الخاصة من بيتك ، هذا الذى صنعته بيدك .. القذرة ، وأبصق فى وجهك . وأذهب إلى غير رجعة ! ..

خيرية : (**صائحة**) وأنا .. يا « حامد » ... أوَ تتركنى ؟ ...

حامد : (**وهو يطوقها بذراعه**) كيف أتركك ؟! .. ولكن .. هل تستطيعين الحياة بعيدا عن هذا الترف ؟ ... (**يشير إلى رياش البهو**)

خيرية : إنى معك ... حيثما تكون .. وأمى معنا ! ...

الأم : حيثما تكون يا « حامد » ... نحن معك ولنكافح من أجل اللقمة الشريفة معا .

الباشا : معا .. حيثما يكون .. ؟ يا للسذاجة ... أنسيتما أين سيكون ؟! .. إنه سيكون غداً فى السجن ! ..

الأم : (**صائحة**) لا .. لن تفعل ذلك .. لن تسجنه ، لن تقضى على مستقبل برىء ... كن رحيما ! ...

حامد : (**للأم**) لا أريد هذا الاستجداء ... لن أخشى غير حكم الضمير ... إنى منذ زلتى الأولى ما ارتكبت قط ما يندى له الجبين ... ضميرى لن يديننى أبداً وإنى لحكمه مستريح ! ..

الباشا : غداً أمام القضاء ... قدم ضميرك مستنداً ، تدرأ به أدلة الاتهام ، إلى اللقاء ... جميعكم ! ... (**ينصرف وهو يقول للأم**) عودى إلى بيتك ، ولا ترتكبى حماقة ! ..

(**يخرج ، وهو يسمع الأم تصيح**)

الأم : لن أعود ! ...

خيرية : (**لحامد**) إنى خائفة عليك مما يبيت لك من شر ! ...

الأم : (**مقبلة على « حامد »**) أما من سبيل إلى إنقاذك ؟ ..

حامد : أمرى إلى الله ... هذا الرجل قد صنع الدليل قبل أن يصنع الاتهام ! ..

الأم : إن الله لن يخزى بريئا أبدا ...

خيرية : فكر معنا يا « حامد » ... عن طريقة .. فلنفكر معا ! ...

حامد : (**يفكر**) ماذا يمكن أن أصنع ؟ .. إن فى السماء إلها ! ...

(**يسمع طلق نارى . خارج الشقة . ثم أصوات صياح وجلبة وطرق شديد على الباب . فيستولى الوجوم على الأم**

و « خيرية » و « حامد » . ويظهر « الباشا » يسنده الخدم . وهو يضع يده على الدم المتفجر من صدره . بينما صفارات البوليس تنطلق فى الشارع ...)

الباشا : (بصوت متداع) قتلنى « شاكر » ... فى السلم ... كان متربصا لى ... فى السلم . هل ضبطوه ؟ ... اضبطوا « شاكر » ... اضبطوه ! ..

الأم : (تهرع إلى زوجها ملهوفة) « محمود » ! ... (تجلسه مع الخدم على مقعد كبير) .

الباشا : (يمد يده المتساقطة نحو التليفون) الدكتور ! .. التليفون ! ...

الأم : الدكتور يا « حامد » ! ... بسرعة .. أقفلى باب الشقة يا « خيرية » ، واطردى الناس ! .. علىّ بقطن .. أليس هنا قطن ! ..

(.. خيرية تجرى مهرولة هنا وهناك)

حامد : (الذى كان قد أسرع إلى التليفون) ألو .. ألو .. الإسعاف من فضلك بسرعة ! ..

الأم : (صائحة وهى تنظر إلى يدها الملوثة بالدم) علىّ بمفرش ، أقف هذا الدم .

(خادمة تسرع ملبية ...)

الباشا : (فى حشرجة) شربة ... ماء ! ...

الأم : (صائحة) كوبة ماء ! .. « خيرية » ! .. « حامد » ! .. كوبة ماء على عجل .. على عجل .

(تأتى الخادمة بمفرش كبير . فتضعه الأم على صدر زوجها ...)

الباشا : (تخفت حشرجته بالتدريج)

(الخادم يأتى بكوبة الماء فتتسلمها منه « خيرية » . ويتسلمها « حامد » ويسرع بها)

حامد : (قرب الأم) الماء ! ...

الباشا : (ينحدر رأسه عن صدر زوجته)

الأم : (تنظر فى وجه الباشا وتجس نبضه وتصيح) محمود ! .. محمود ! .. مات ! .. مات ! .. (تنتحب) زوجى ! .. زوجى ! زو ..جى ! .. (يبادر حامد والأم والخدم فيسجون الباشا . ويسدلون على وجهه المفرش) .

(ستار)

الفهرس

صحفة

رقم الإيداع ٢٩٦١ / ١٩٩٤

الترقيم الدولى 4- 0848- 11- 977

دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه



دار مصر للطباعة
سعيد جوده السحار وشركاه